عبدالله إبراهيم العسكر

تاريخ اليمامة في صدر الإسلام

محاولة للفهم

Jadawel جداول

الكتاب: **تاريخ اليمامة في صدر الإسلام: محاولة للفهم**
المؤلف: **عبدالله إبراهيم العسكر**

جداول
للنشر والتوزيع
الحمرا - شارع الكويت - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 746638 1 00961 - فاكس: 746637 1 00961
ص.ب: 5558 - 13 شوران - بيروت - لبنان
email: info@jadawel.net
www.jadawel.net

الطبعة الأولى
كانون الثاني / يناير 2012
ISBN 978-614-418-090-7

طبع في لبنان

Hamra Str. - Al-Barakah Bldg.
P.O.Box: 5558-13 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2012 Beirut

صورة الغلاف: عامود سدوس في نجد
رسم ديوز (dawes)
وقد نشر في رحلة لويس بيلي إلى نجد عام 1865م

فهرس المحتويات

المقدمة

نشرت دارة الملك عبد العزيز ودار إثيكا البريطانية جزءًا من أطروحتي للدكتوراه عن اليمامة في كتاب صدر في لندن عام 2002، وعنوانه: Al - Yamama in the Early Islamic Era. وقد لاقى الكتاب قبولًا واسعًا في الدوائر العلمية في الغرب، وحظي بتعليقات ومراجعات علمية. وكنت أشعر دائمًا أن تاريخ اليمامة في صدر الإسلام يحتاج إلى معاودة تبيّن مجمله وتأثيره في تاريخ الجزيرة العربية، وربما التاريخ الإسلامي برمته. لهذا شرعت في تحرير هذا الكتاب الذي يأخذ بنظرية الإقليمية في تفسير تاريخ اليمامة في صدر الإسلام.

لم يستقطب تاريخ اليمامة إلّا كتابات قليلة، ومعظم ما كُتب عنه يأتي في سياق حروب الردة أو مقرونًا بتاريخ الحجاز. ولا أعرف أن دراسة علمية خُصصت لتاريخ اليمامة إلّا أطروحة الماجستير التي تقدم بها نزار الحديثي إلى كلية الآداب في جامعة بغداد سنة 1971م، وهي أطروحة نظرت إلى تاريخ اليمامة من خلال ردة بني حنيفة. وهناك مقالات قليلة تعالج نقاط محددة لا تُشكّل في مجموعها نظرة واسعة إلى مجمل تاريخ اليمامة، مثل: مقالة بارثلود الروسي الذي ركز على نبوءة مسيلمة، أو مقالة إيكلمان الأميركي الذي درس

نبوءة مسيلمة من منظور اجتماعي. أما المقالات العربية فهي قليلة جدًّا يركز معظمها على تجميع بعض المعلومات التاريخية للردة. من هذا فلم يحظَ تاريخ اليمامة بدراسة موسعة تشمل مدة زمنية طويلة كما هو الحال في هذا الكتاب الذي يدرس تاريخ اليمامة قبل الإسلام وفي صدر الإسلام، ويعالجه كمنظومة واحدة.

يبدو من غير المنطقي النظر إلى تاريخ اليمامة من زاوية الردة أو نبوءة مسيلمة. ذلك أن اليمامة منطقة واسعة وغنية بمقاييس القرنين السادس والسابع الميلاديين، وقد شهدت حراكًا سياسيًّا قبل الإسلام وبعده لا يمكن إغفاله. وتبدّى لمؤلف هذا الكتاب أنه يمكن دراسة مجمل تاريخ اليمامة في حقبة زمنية طويلة لعله يصل إلى نتيجة يطمئن إليها. وهذا ما حدث بعد إعادة النظر في كتابي الذي صدر باللغة الإنجليزية المومأ إليه، وبعد أن توفر لي نتف تاريخية مهمة. على أنني رجعت إلى جزاء أطروحتي التي لم تنشر، والتي تتعلق بنظرية الإقليمية ومدى صحتها وإمكانية تطبيقها على تاريخ الإسلام المبكر. وقد رأيت إدراج مناقشة مختصرة جدًّا عن مفهوم الإقليمية وما يمكن تطبيقه على تاريخ اليمامة في صدر الإسلام.

لم تصل معظم الدراسات، وهي على كل حال قليلة، إلى نتيجة منطلقة من تاريخ اليمامة الواسع، وبسبب تركيزها على مسألة الردة ونبوءة مسيلمة اللتين يشكلان جزءًا من تاريخ واسع. ولو رجع مؤلفو تلك الدراسات إلى عصر ما

قبل الإسلام، وإلى عصر ما بعد مسيلمة، لوجدوا منطلقات فكرية أنتجت صراعًا سياسيًّا وبناء علاقات سياسية، وتحالفات قبلية، ثم لوجدوا أن الحراك السياسي في اليمامة بعد الإسلام هو امتداد لحراكها قبل الإسلام، وإن اختلفت الوسائل وتباينت الطرق.

المشكلة أن ردة بني حنيفة ونبوءة مسيلمة صبغت تاريخ اليمامة، ولم يعد يهتم الإخباريون المسلمون إلّا بهما. لهذا قلّت المعلومات التاريخية عن اليمامة، بل إنها تكاد تنعدم في بعض المسائل. وكان على مؤلف هذا الكتاب أن يفحص كل المصادر التاريخية، والدينية، والمذهبية، والاقتصادية، والبلدانية، والجغرافية، والأدبية، والتراجم، وكتب المال، والخراج، والإدارة، والسياسة، وكتب اللغة، والمعاجم وغيرها كثير من أجل التقاط كل شاردة وواردة لإعادة بناء مجمل تاريخ اليمامة في صدر الإسلام.

لقد شهدت منطقة اليمامة الواقعة في وسط الجزيرة العربية العديد من المعارك بين السكان المحليين والجيوش الإسلامية للمدينة المنورة ودمشق خلال القرن الأول من الإسلام. وكانت هذه المعارك كلها تعبيرًا عن الشعور الإقليمي القوي لأهل اليمامة الذين قاتلوا باستمرار للمحافظة على استقلال منطقتهم. وكان شعورهم الإقليمي يستند إلى المصالح الاقتصادية المشتركة، وإلى التضامن تجاه الحكومات المجاورة الطموحة.

يكشف التحليل الجغرافي والاقتصادي لليمامة قبل

الإسلام الأساس المادي للتضامن الإقليمي. لقد كانت اليمامة معزولة جغرافيًّا عن بقية الجزيرة العربية بالسهول الرملية المجدبة، وكانت مكتفية ذاتيًّا من ناحية الماء والمنتجات الزراعية. وكانت كل مستوطنة متخصصة ببعض المحاصيل، أو بالتعدين، أو بصناعة القماش والأسلحة. وكان هذا يعني أن كل مستوطنة كانت تعتمد على الأخريات من أجل السلع التي لا تنتجها. وكذلك كانت المنطقة تصدر حبوبها الفائضة إلى مكة والبحرين (شرق الجزيرة العربية) والعراق، وتؤمن الحماية والخدمات الأخرى للتجار الذين يعبرون شبه الجزيرة.

إن دراسة معمّقة لاستراتيجيات ثلاثة من زعماء اليمامة، وهم: الملك هوذة بن علي، ومسلمة بن حبيب الحنفي، المعروف بمسيلمة الكذاب، ونجدة بن عُمير الحنفي، زعيم خوارج النجدات، تكشف المصالح الإقليمية وراء شعبيتهم. فقد أسّس هوذة بن علي سلطة مدنية، وأقام علاقات متينة مع ملك فارس، وطلب معونة حكومة بلاد فارس ضد معارضيه، قبيلة تميم. وبعد موته، اختار اليماميون زعيمًا دينيًّا آخر للدفاع عن مصالحهم. واعتبر مسيلمة الكذاب أن الدولة الإسلامية ليست أكثر من شكل من أشكال هيمنة أهل المدينة المنورة. وشجع أهل اليمامة على المقاومة باللجوء إلى التعصب المحلي. وقد سحقت الجيوش الإسلامية جيش مسيلمة، على أي حال، وقُمعت فكرة الإقليمية اليمامية طوال السنوات الخمسين التالية. لكنها ظهرت ثانية في عام 61 هجري /680 ميلادي مع تأسيس دولة خارجية في اليمامة. وقد انهارت هذه الدولة

أيضًا، على أي حال، لأن زعماءها الطموحين أبعدوا مؤيديهم المحليين المعارضين لتوسيع سيادتهم إلى ما وراء حدود اليمامة الطبيعية.

لم تستعد اليمامة، بعد هزيمتها المبدئية على يد الخليفة أبي بكر، أهميتها الاقتصادية والسياسية السابقة قطّ. وقد ظلّت خلال الفترة الأموية إقليمًا مهملًا فقيرًا. وهذا الكتاب هو محاولة لفهم تاريخ كل هذا الحراك السياسي والديني والعسكري، ولهذا فقد جاء عنوان هذا الكتاب بأنه محاولة لفهم تاريخ اليمامة في صدر الإسلام.

وقد رأيت في هذا الكتاب على غير عادتي أن أُترجم الهوامش الأجنبية على أن أبقى أصولها الأجنبية في لغاتها الأصلية في صفحة المصادر حتى يتسنى للقارىء الاستدلال على مضان الهوامش والأفكار والاحالات المعرفية.



- 1 -
تمهيد

بين يدي المصطلح

يدور السؤال الأول، الذي يثور عند القيام بمثل هذه الدراسة، حول معنى مصطلح «الإقليمية regionalism» الذي يعتبر غامضًا، وله مضامين مختلفة في ميادين علمية مختلفة. فهو يشير أحيانًا إلى قارة كاملة مثل أوروبا. وفي أحيان أخرى، يضيق مفهوم «إقليم»، وفقًا للحدود الجغرافية والاقتصادية، ليصبح وحدة سياسية صغيرة أو كيانًا ثقافيًّا. وفي ما يلي بعض تعريفات مصطلح الإقليمية في ميادين علمية مختلفة ذات صلة بموضوعنا.

في العلوم السياسة، يتحدد المعنى التحليلي والوصفي لمصطلح الإقليمية بمستوى التحليل. على سبيل المثال، إذا كان مستوى التحليل هو النظام الدولي، فإن الإقليمية تنتمي إلى الحالة التي تكون فيها لدول، مثل الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي السابق، مصالح معينة وخاصة جدًّا في منطقة معينة ما: مثل الولايات المتحدة في أميركا اللاتينية، أو الاتحاد السوفياتي السابق في أوروبا الشرقية. وبشكل أساسي، على مستوى النظام الدولي، يعني مصطلح الإقليمية أن أغلبية الدول القومية تنظر إلى بعض المناطق، وإلى الدول القومية، أنها أكثر أهمية من الأخرى.

وأما على مستوى الدول القومية، فإن مصطلح الإقليمية يشير إلى المنافسة بين السلطة المركزية للدولة والوحدات الفرعية المختلفة التي توجد ضمنها. والهدف الأساسي للصراع بين الدولة المركزية ووحداتها الإقليمية هو ليميز السكان الإقليميون الدولة أو الوحدة الإقليمية الفرعية باعتبارها سلطة ذات سيادة، وأن يلتزم شعبها بالطاعة. إن احتمال أن تتنافس المجموعات الإقليمية مع السلطة المركزية يحدده مدى التكامل الجغرافي والثقافي - الاجتماعي للمنطقة مع الدولة المركزية. وبذلك، عندما يكون مستوى التكامل الاقتصادي ـ الاجتماعي منخفضًا، يتزايد احتمال ظهور المنظمة السياسية العدائية بشكل مثير[1].

يبدو أن التعريف السياسي لمصطلح الإقليمية غامض جدًّا. ويختلف استعمال التعبير من ثقافة إلى أخرى. ففي الغرب، ظهر مصطلح «الإقليمية» فقط خلال حكم هنري السابع حين كان يُستعمل لوصف أمة معينة، وكان يعبر عن إرادة جماعية للشعب في العيش معًا في مجتمع. وقد أصبح هذا التعبير يحمل لاحقًا معنى إداريًّا[2].

يستعمل الجغرافيون تعبير «منطقة جغرافية» بمعنى طبوغرافي وبيئي. ويتحدث علماء الجغرافيا الاقتصادية وعلماء الاقتصاد على

(1) مايكل س. هدسن، **السياسة العربية: البحث عن الشرعية**، (نيوهيفن ولندن 1977)، ص12 ـ 36.

(2) تيد روبرت غار، **لماذا يثور الرجال**، (برنستون 1970)، ص183.

«الإقليم الاقتصادي»، والذي يوحي بمنطقة شكلت كيانًا متميزًا من وجهة نظر الإنتاج الاقتصادي[1].

يتردد علماء الإنسانيات خصوصًا المتخصصين في الأنثروبولوجيا في تعريف المنطقة ثقافيًا. فبالنسبة إليهم ليس من الضروري التفكير في وجود علاقة لإحدى الثقافات مع أي وحدة جغرافية أو سكانية معينة. وبكلمة أخرى، إن الحجم والشكل ليسا سمتين ذواتي علاقة بتعبير «منطقة»، مهمًّا يكن تعريف هذا التعبير. ولهذا السبب، ليس من السهل اكتشاف صلة ضرورية بين ثقافة ما ومنطقة ما، أو تعريف تعبير «الإقليمية»[2].

أما في العالم العربي فيحمل مصطلح «الإقليمية» دلالة سلبية لأنه فكرة كانت تشجعها الإمبريالية والاستعمار وتقف في صف معارض للقومية. وقد كتب أحد الكتّاب العرب أن العرب لم يعرفوا «الإقليمية» قبل القرن التاسع عشر[3]. وفي الحقيقة يعتقد روي متحدة أن العرب لم يحملوا، في الماضي، أي مشاعر نحو الأرض أو المنطقة، ولكن نحو التضامن العشائري فقط[4].

(1) موريس بارميلي، **الإقليمية الجغرافية الاقتصادية والاتحاد العالمي**، (نيويورك 1949).

(2) وارد هـ. غودإيناف، **الثقافة واللغة والمجتمع**، (بيركلي 1981)، ص102 ـ 10.

(3) عبد الله الريماوي، **الإقليمية الجديدة**، (بيروت 1970)، في مواضع متفرقة.

(4) روي متحدة، «الخلافات الشعوبية والتاريخ الاجتماعي في إيران الإسلامية»، **المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط** 7، (نيسان/ أبريل 1976)، ص161 ـ 82.

كانت السلطة السياسية في الجزيرة العربية، خلال القرون الوسطى، تستند إلى عناصر مختلفة، مثل القبيلة، أو المنطقة، أو الهيبة الشخصية، وظلّ الشعور الإقليمي طفيفًا. ومع ذلك، ثمة دليل كافٍ في المصادر القديمة يوحي بأن العرب كانوا، في أثناء حقبتي ما قبل الإسلام والقرون الوسطى، متأثرين بالمشاعر الإقليمية، وكافحوا لنيل الحكم الذاتي الإقليمي.

لقد كان سكان اليمامة يميزون أنفسهم عن العرب الآخرين في مجال التضامن. ولم يكن هذا التضامن عشائريًّا فقط، لكنه كان يرتبط أيضًا بالأرض والمصالح الاقتصادية، ويحمل معه وعيًا سياسيًّا معينًا. وكان يربط السكان معًا في تعاون متبادل ضد القوى الخارجية. وكان بإمكان المرء القول إن أهل اليمامة شاركوا في العديد من الملامح الثقافية، بما فيها لغة عربية مشتركة ومعرفة عامة عن التقنيات الزراعية الضرورية لزراعة المنطقة. كما كان لديهم أيضًا فهم مشترك لتاريخهم المحلي ومجموعة مشتركة من الفولكلور، بالإضافة إلى أساليب الأدب والفن والطبخ.

ربما شكل هذا التراث المشترك، متحدًا مع المصالح الاقتصادية المشتركة، أساسًا للوحدة الإقليمية. وفي الحقيقة، سيناقش هذا الكتاب أن تعريف وتحليل مصطلح «الإقليمية» الذي جرى بحثه آنفًا يوحي بصورة إيجابية أنه يمكن تصنيف اليمامة أنها «إقليم» متميّز.

اليمامة ومصطلح الإقليمية

ثمة هوية إقليمية دائمة كانت توجد بين سكان اليمامة منذ القرن السادس الميلادي حتى نهاية الخلافة الأموية (132هـ/

749م وربما تأخرت إلى حقب زمنية متأخرة). ولذلك، فمن الأفضل فهم العديد من الصراعات، التي ثارت بين اليمامة وجيرانها، أنها صراعات تتعلق بسكان اليمامة من أجل الحكم الذاتي أو الاستقلال الإقليمي. ويختلف هذا التفسير عن تفسيرات العلماء الآخرين الذين ينظرون إلى هذه الصراعات في ضوء النزاعات الطائفية أو العشائرية. وسوف يتبيّن أن الإحساس الإقليمي أو الالتزام الديني أو التعصب العشائري كان وراء الحروب والثورات التي كان يقودها، أو يدعمها، سكان اليمامة.

كان الإحساس بالهوية الإقليمية الشائع عند سكان اليمامة يستند إلى عنصرين: (1) مصالحهم العامة المشتركة، و(2) دورهم باعتبارهم وسطاء تجاريين بين بلاد فارس والحجاز واليمن والعراق. وقد سببت سيطرة أهل اليمامة على طرق التجارة عبر شبه الجزيرة، احتكاكهم بصورة متكررة بالفرس والحجازيين، وأتاحت لهم إدراك الاختلافات الثقافية بينهم وبين زبائنهم، وشجعتهم على توسيع هوية ثقافية واضحة منفصلة لليمامة. وقد كانت هذه الهوية الأساس، بدورها، من أجل أهدافهم ونشاطاتهم السياسية.

لقد سعى أهل اليمامة إلى المحافظة على تميزهم بطرق مختلفة، اعتمادًا على التطورات الاقتصادية والسياسية الأوسع التي أثّرت في منطقتهم. وقد اتخذت نشاطاتهم السياسية، بصورة خاصة، خلال القرن الأول قبل الإسلام شكل صراع علماني من أجل الحكم الذاتي الإقليمي، حين قامت المجموعة المهيمنة في اليمامة، بنو حنيفة، بتشكيل تحالف ضعيف مع الإمبراطورية

الفارسية لإحباط طموح الحكومات العربية الأخرى المجاورة. وفي ما بعد، على أي حال، حين بدأت الدولة الإسلامية تتشكل وتوحد قبائل الحجاز تحت راية حكم ديني، حاول بنو حنيفة تأسيس دولتهم الدينية بصورة مماثلة.

بينما كان النبي محمد ﷺ لا يزال على قيد الحياة، احتشد بنو حنيفة حول نبيهم الخاص، مسيلمة. وبعد وفاة النبي ﷺ وهزيمة مسيلمة اللاحقة على يد الخليفة أبي بكر، اتخذ الصراع من أجل استقلال اليمامة أشكالًا دينية مماثلة أخرى. وكانت الثورة الأكثر جدية هي ثورة دولة (النجدات) الخوارج، التي عارضت كلًّا من الأمويين في سورية والزبيريين في مكة المكرمة. وكان زعماء هذه الثورة، على أي حال، واقعين تحت إغراء توسيع التمرد ليشمل البحرين. وقد كلفهم طموحهم دعم الكثير من اليماميين الذين لم يريدوا شيئًا أكثر من استقلال إقليمي، وساهموا بذلك في هزيمتهم بواسطة الجيوش الأموية. وأعقبت هذه المحاولة الخارجية الفاشلة محاولة أخرى، هي ثورة المهير بن سلمى، التي نعرف القليل عنها، ومحاولة كبيرة ثالثة جرت خلال فترة الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

على الرغم من أن هذه الدراسة تنتهي بسقوط الخلافة الأموية عام 132هـ/ 749م، فإن ثمة خاتمة ستُظهر أن هذا التفسير يحمل صلاحية متواصلة عبر العصور اللاحقة. لقد أخذت الثورة الجدية الثانية شرعيتها من العقيدة الدينية الشيعية، وليس الخارجية، عندما أسّس أحد أحفاد علي بن أبي طالب دولة بني الأخيضر في اليمامة (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي).

وقد كان، على أي حال، عاجزًا عن نيل دعم اليماميين المخلص لأنه حاول دمج أهدافهم الإقليمية كليًّا بطموحه المذهبي. وكان أن امتصت حركته القبائل المحلية، وهمدت مقاومة اليماميين.

لم يضعف الدافع للاستقلال الإقليمي حتى هبط معدل الإنتاج الاقتصادي لليمامة بشكل جدي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. ونتيجة ذلك، فقدت اليمامة معظم سكانها بسبب الهجرة إلى العراق ومصر. ومع ذلك، يمكن القول إن الإحساس بالهوية الإقليمية المشتركة قد ظهر ثانية، إلى حد ما، في الحركة الاصلاحية التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي كانت بداياتها في قلب منطقة اليمامة.

ولإظهار هذا، من الضروري، أولًا، ترسيخ الحدود والملامح الجغرافية للمنطقة المعروفة باسم اليمامة في العصور ما قبل الإسلامية، ووصف الخلفية الاجتماعية لسكانها وتحديد قبائلها الكبرى، ومناطقها، وأماكن استيطانها. وسيتبع هذا وصف مفصل للإنتاج المحلي (الزراعة والتعدين والصناعة)، وللتجارة مع المناطق الأخرى. بعد ذلك سيجري بحث أربع مراحل للسياسة الإقليمية. بدأت الأولى مع فراغ السلطة في وسط الجزيرة العربية بعد سقوط دولة كندة، والذي حاول أن يملأه بنو حنيفة بتأسيس دولتهم الخاصة. وكانت المرحلة الثانية هي فترة حكم ملك اليمامة، هوذة بن علي. وأما المرحلة الثالثة فكانت محاولة مسيلمة الدينية السياسية تأسيس دولة دينية في اليمامة للمرة الأولى. وكانت محاولة الخوارج النجديين في اليمامة هي المرحلة الأخيرة.

بعد ذلك سنعرض وصفًا للتأثيرات التي أحدثها ظهور الإسلام في اليمامة، ورد الفعل الديني الذي واجه به اليماميون التحدي الإسلامي. وسيتضمن هذا مناقشة نقدية لبعض المسائل الدينية ذات العلاقة مثل رحمن اليمامة، والعلاقات بين النبي محمد ﷺ ومسيلمة. وستوضح مناقشة الغزو الإسلامي لليمامة، الذي جرى بعد وفاة النبي محمد ﷺ، كيف كان المسلمون قادرين على هزيمة اليماميين، على الرغم من أن الجانبين كانا متكافئين.

وأخيرًا، سيكون هناك وصف إداري لليمامة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين. ففي العصر الإسلامي، أنكر المسلمون وجود اليمامة بأنها وحدة ثقافية، أو اجتماعية، أو حتى إدارية متميزة. وقد كانت تدار من المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد، وغالبًا ما كانت تُمنح حكمًا ذاتيًّا إقليميًّا صغيرًا. وهناك دليل، على أي حال، بأن الهوية الإقليمية قد استمرت، وسيجري تقديم هذا الدليل. وسيكون في الختام ثمة اقتراح بأن جميع الثورات التي حدثت في اليمامة، بما فيها حركة مسيلمة، كانت تهدف إلى تأسيس حكم ذاتي في اليمامة، وأنه ربما ساهمت هوية اليمامة الإقليمية في تأجيج حركة الإصلاح الديني التي قامت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

ـ 2 ـ
الموقع الطبيعي

شبه الجزيرة العربية

ربما جرت تسمية الجزيرة العربية استنادًا إلى سكانها. وقد كانت، كما توحي الحدود التي عيّنها لها الجغرافيون الكلاسيكيون، أرض الشعب العربي أو العرب المُستعربة[1]. وعند تأمل الأعمال العربية التي تصف شبه الجزيرة العربية، فمن الصعب إفراد عمل يمكن اعتباره الأكثر دقة. وربما يكون الكتاب الأفضل هو كتاب **صفة جزيرة العرب** للهمداني (توفي عام 334هـ/ 945م). هذا الكتاب غني بالمعلومات، لكنه يفتقر إلى وجهة نظر شاملة سليمة لشبه الجزيرة بكاملها، ويركز على موطن

(1) شمس الدين بن عبد الله شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، تحقيق أ. ميهيرن (لايبزيغ 1923)، ص214؛ انظر أيضًا جورج رينتز، **شبه الجزيرة العربية**، (الظهران، أرامكو)، ص1، وفريد ماكغرو دونر، **الغزو الإسلامي المبكر**، (برينستن 1981)، ص11. وفي ما بعد دونر، **الغزو**، انظر أيضًا عرفان شهيد، «الجزيرة العربية قبل الإسلام»؛ **تاريخ كامبردج عن الإسلام**، إعداد م. أ. هولت (كامبردج 1970)، الجزء الأول، ص3 ـ 4.

المؤلف، اليمن[1]. ويمكن وصف شبه الجزيرة العربية بأنها منطقة مستطيلة واسعة، مساحتها أكثر من مليون كيلومتر مربع. وهي تقع بين أفريقيا والكتلة الرئيسية لقارة آسيا. وأما البحر الأحمر، الذي يشكل حدودها الغربية، فهو جزء من صدع الغور الكبير الذي يتجه شمالاً عبر خليج العقبة والبحر الميت ونهر الأردن[2].

ترتفع سلاسل الجبال بحدة على طول الساحل، من الحجاز إلى اليمن وتميل هابطة من الغرب إلى الشرق باتجاه المنحدر اللطيف للخليج العربي. وتواجه الجزيرة العربية البحر من ثلاثة جوانب. وأما حدودها البرية الوحيدة فهي الصحراء السورية. ومن الصعب تقريبًا عبور هذه الأرض الرملية المقفرة مثل الإرساء على ساحل عديم المرافئ.

تقسيم الجزيرة العربية

عند الحديث عن أقسام شبه الجزيرة العربية، فمن المألوف ذكر عدد كبير من المناطق المختلفة التي يمكن تصنيفها وتلخيصها

---

(1) حمد الجاسر، «المصادر الجغرافية القديمة»، العرب، 12 (أيلول/ سبتمبر 1969)، ص1058. يشير حمد الجاسر إلى أن الهمداني يفتقر في كتابه **صفة جزيرة العرب**، إلى المعرفة الدقيقة عن الجزيرة العربية، باستثناء بلاده هو، اليمن. انظر أيضًا المقدمة في كتاب الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الكوع (الرياض، دار اليمامة 1974)، ص12 ـ 13. وفي ما بعد الهمداني، **صفة**.

(2) أبو العلاء، **جغرافية شبه الجزيرة العربية**، (القاهرة 1965)، الجزء الأول، ص7. وفي ما بعد أبو العلاء، **جغرافية**.

بطرائق مختلفة. لقد كان المدائني، وهو مؤرخ عربي، وابن الكلبي (توفي عام 204/ 819)، وهو عالم عربي بالأنساب، والأصمعي (توفي عام 213/ 828)، وهو عالم لغوي، وابن عباس (توفي عام 69/ 688)، وهو عالم دين، كلهم يعتبرون مع اختلافات طفيفة أن شبه الجزيرة العربية تتألف من خمس مناطق: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض (أي اليمامة والبحرين) واليمن[1]. واعتبر مالك بن أنس (توفي عام 179/ 795)، وهو مؤسس المذهب المالكي، أن مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واليمامة واليمن فقط هي مناطق شبه الجزيرة العربية[2]. وأما الشافعي (توفي عام 204/ 819)، وهو مؤسس مذهب آخر، والقلقشندي (توفي عام 821/ 1418)، وهو مؤرخ، فقد اعتبرا كلاهما أن المدن الثلاث الشهيرة، مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واليمامة

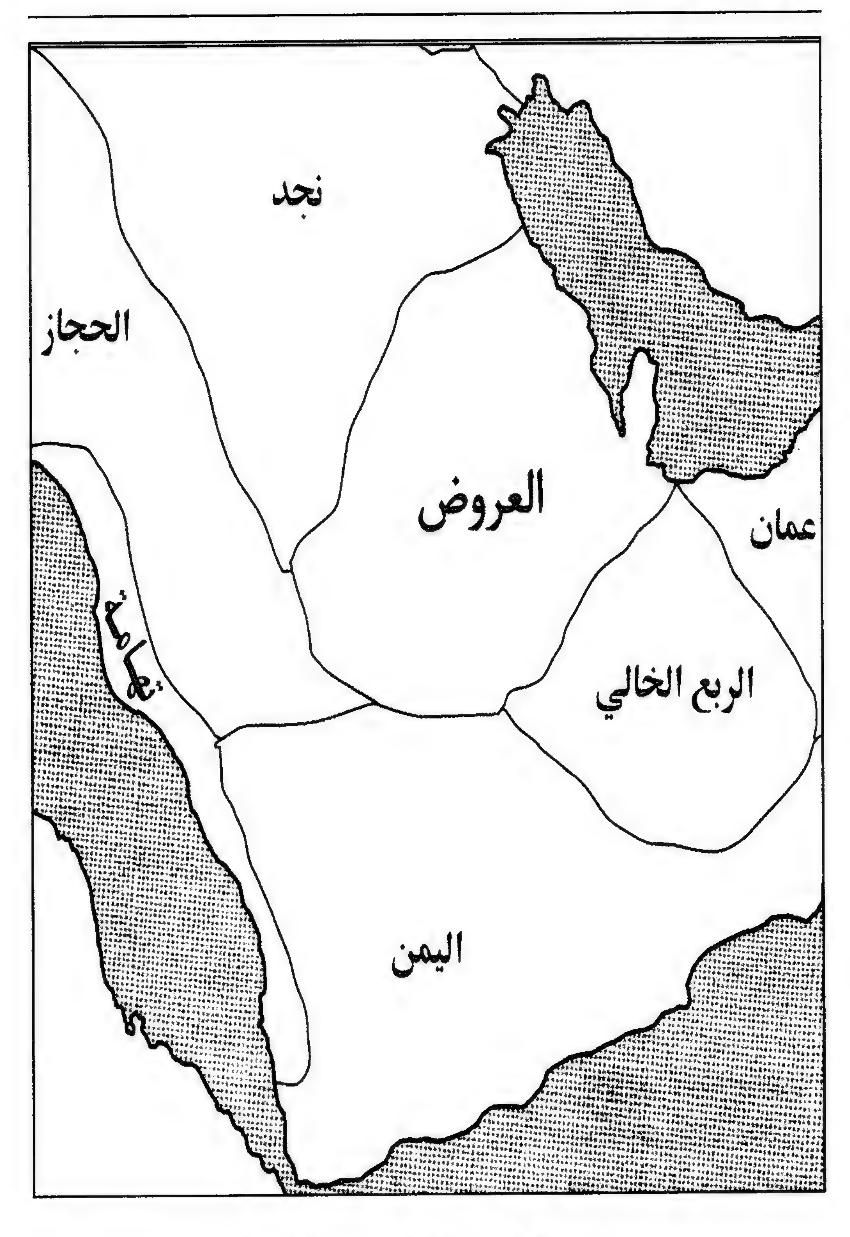
(1) من أجل الأولى انظر أبو الفدا، **تقويم البلدان**، إعداد م. رينو وآخرين. (باريس، المطبعة الملكية 1840)، ص78، وفي ما بعد أبو الفدا، **تقويم**. من أجل الثانية انظر الهمداني، **صفة**، ص58. من أجل الثالثة انظر علي بن أحمد السمهودي، **وفاء الوفاء** (بيروت، دار إحياء التراث 1973) الجزء الرابع، ص1176. وفي ما بعد السمهودي، وفاء. انظر أيضًا ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، إعداد ف. ووستنفيلد (لايبزيغ 1867 ـ 1873) الجزء الثاني، ص205. وفي ما بعد ياقوت، **معجم**. من أجل الرابعة انظر ياقوت، **معجم**، الجزء الثاني، ص78.

(2) إبراهيم بن إسحق الحربي، **المناسك وأماكن طرق الحج**، تحقيق حمد الجاسر، (الرياض، دار اليمامة 1969)، ص531. وفي ما بعد الحربي، **مناسك**.

فحسب، هي التي تمثل مناطق شبه الجزيرة العربية[1]، وأخيرًا كان ابن حوقل (توفي عام 367/ 977)، وهو جغرافيّ عربي، يعتبر أن شبه الجزيرة العربية تتألف من منطقتين رئيسيتين، هما الحجاز (مكة المكرمة، المدينة المنورة، واليمامة) ونجد (الأرض الباقية شرق اليمامة)[2]. (انظر الخريطة 1).

(1) من أجل الأولى انظر مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، **المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق حمد الجاسر، (الرياض، دار اليمامة 1969)، ص102، وفي ما بعد الفيروز آبادي، **مغانم**، من أجل الثانية انظر أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق عبد اللطيف حمزة (القاهرة 1962)، الجزء الرابع، ص244. وفي ما بعد القلقشندي، **صبح**.

(2) أبو القاسم محمد بن حوقل، **صورة الأرض**، تحقيق م. ج. دي جويج (لايدن 1873)، ص19. وفي ما بعد ابن حوقل، **صورة**.



الخريطة 1: مناطق الجزيرة العربية

عند مناقشة وجهات النظر هذه، يجب أن يفهم المرء أن بعض تعريفات مناطق الجزيرة العربية تعكس دوافع دينية، وبخاصة تعريفات مالك بن أنس والشافعي والقلقشندي. ورغم أن اليمامة قد تكرر ذكرها في تقسيماتهم، فإنها كانت تعتبر دائمًا جزءًا من الحجاز. ويمكن فهم هذه الظاهرة في ضوء حروب الردة التي جرى فيها إخضاع اليمامة بالقوة لسيطرة المدينة المنورة. واعتبارًا من تلك المرحلة فصاعدًا كانت تعتبر جزءًا من الحجاز. ونتيجة هذا التعريف الديني لليمامة، اعتبر الفقهاء المسلمون أنه من غير المشروع لغير المسلمين أن يقيموا هناك.

وهكذا، من الواضح أن المصالح الدينية والاقتصادية والسياسية قد تجلّت عبر مثل هذه التعريفات، ويميل بعض المؤلفين المحدثين إلى الاعتقاد بأن الروابط التجارية التي تربط اليمامة بمناطق شبه الجزيرة العربية المختلفة كانت وراء الفوضى المتعلقة بحدودها[1].

ثمة نقطة أخرى مهمة هي النقاش حول ما إذا كانت اليمامة جزءًا من نجد أم لا. إن أبا الفدا (توفي عام 732/ 1331)، وهو

(1) إبراهيم بيضون، «التشكيل العشائري في الحجاز وعلاقته بطرق التجارة قبل الإسلام»، مجلة **الباحث**، 5 (السنة الرابعة 1982)، ص19. أشار ابن حوقل بوضوح إلى أن الروابط التجارية بين اليمامة والحجاز كانت سببًا للتشويش بين المؤرخين بخصوص تقسيم الجزيرة العربية. واقترح أيضًا أن التقسيمات الاجتماعية (الحضرية والبدوية) يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في دراسة جغرافيا الجزيرة العربية. انظر **ابن حوقل**، صورة، ص19.

جغرافي ومؤرخ، وياقوت الحموي (توفي عام 630/ 1332)، وابن الفقيه (توفي عام 290/ 902)، وهم من علماء البلدانيات، يعتبرون أن اليمامة تشكل منطقة وحدها[1]. ومن ناحية أخرى، فقد كان البكري (توفي عام 487/ 1044)، وهو جغرافي، يعتقد أن نجد هي جزء من منطقة اليمامة وليس العكس[2]، بينما تجاوز الأصفهاني (توفي في القرن الثالث/ التاسع) وهو عالم بلداني، ما قاله البكري ليدخل جزءًا من اليمن وجنوب العراق ضمن إقليم اليمامة[3]. ومن الواضح أن الحدود بين اليمامة ونجد كانت متداخلة. وفي الحقيقة، فإن فكرة الحدود ليست فكرة حديثة.

---

(1) من أجل الأولى انظر أبو الفدا، **تقويم**، ص79. من أجل الثانية انظر ياقوت، **معجم**، الجزء الرابع، ص1027. من أجل الثالثة انظر ابن أبي بكر بن محمد ابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، إعداد م. ج. دي جويج (لايدن، إ. ج. بريل 1885)، ص30. وفي ما بعد ابن الفقيه، **بلدان**.

(2) أبو عبيدة البكري، **معجم ما استعجم**، إعداد مصطفى السقا (القاهرة 1945)، الجزء الأول، ص12. نُشر المجلد الثاني في عام 1947. وفي ما بعد بكري، **معجم**.

(3) الحسن بن عبد الله لغدة الأصفهاني، **بلاد العرب**، تحقيق حمد الجاسر وآخرين. (الرياض، دار اليمامة 1968)، ص325. وفي ما بعد لغدة، **بلاد**. تجدر الملاحظة بأن الخليفة عمر بن الخطاب لم يعتبر اليمامة جزءًا من جزيرة العرب، وهكذا عندما أعلن أن غير المسلمين لم يكن مسموحًا لهم أن يقيموا في شبه الجزيرة العربية، كانت الحجاز ونجران فقط تعتبران جزيرة العرب. انظر أبو عمر أحمد بن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وآخرين (القاهرة 1948 ـ 50)، الجزء الثالث، ص489. وفي ما بعد ابن عبد ربه، **العقد**.

ولذلك فإن تعريف الحدود الذي وُجد في الأدب الكلاسيكي يجب أن يُفهم وفقًا لمهنة الكاتب ودافعه[1].

اسم اليمامة

كانت اليمامة في العصور القديمة تعرف بأسماء منها: جو، والعِرض والقرية. وكانت جو تُعرف بالعاصمة القديمة لمنطقة اليمامة[2]. وقد اعتبر البلاذري (توفي عام 279/ 892) أن جو كان الاسم القديم لليمامة. وعلى أي حال، فقد كان الاسم مستعملًا من قبل السكان الأوائل لتلك المنطقة، وهم بنو «جديس»[3]. ومن المحتمل أن كلمة جو مشتقة من جديس. وربما تكون قبيلة أخرى، طسم، قد أعطت اليمامة اسمًا آخر[4]. ومن غير الواضح متى استُعمل اسم اليمامة للمرة الأولى. ووفقًا لبعض المؤرخين، فقد تعرضت جو لهجوم من قبل حسان بن تبع؛ حاكم اليمن الذي

---

(1) أبو العباس أحمد القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة 1959)، ص17. وفي ما بعد القلقشندي، **نهاية**.

(2) الهمداني، **صفة**، ص161. أشارت الأسماء الأخرى إما إلى قرية أو إلى هضبة جبلية.

(3) أحمد بن يحيى البلاذري، **أنساب الأشراف**، تحقيق م. حميد الله (القاهرة، دار المعارف 1959)، الجزء الأول، ص86. وفي ما بعد البلاذري، **أنساب**.

(4) عبد الله الغنيم، إعداد. **جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك** تأليف أبي عبيد البكري، (الكويت 1977)، ص50. وفي ما بعد الغنيم، **جزيرة**.

دمّر المدينة، وأطلق عليها اسم اليمامة، على اسم امرأة تدعى اليمامة بنت سهم بن طسم. وقد كانت اليمامة مشهورة في الفولكلور ما قبل الإسلامي باسم زرقاء اليمامة، وهي امرأة كانت تملك قوة نظر حادة، وكانت قادرة على الرؤية من مسافة تعادل ثلاثة أيام سفر بواسطة الجمل. غير أن القصة يمكن أن تُعكس بالسهولة نفسها، لأنه من المحتمل أن تكون زرقاء اليمامة قد حصلت على اسمها من منطقة اليمامة، وليس العكس.

حدود اليمامة

للوصول إلى فكرة مقبولة عن حدود اليمامة من الضروري الرجوع إلى أعمال مختلفة، وبخاصة أعمال البكري وياقوت والهمداني لجمع أسماء الأماكن والمدن والقرى والآبار ومواقع أخرى قيل إنها كانت في اليمامة. وعندما توضع قائمة بتلك، ومقارنتها مع التي عُثر عليها في الخرائط الحديثة، يمكن معرفة الحدود التقريبية لليمامة. ثمة عقبتان تقفان في طريق هذه العملية. إحداهما هي أن أكثر الأسماء المستعملة في منطقة اليمامة خلال القرن السابع الميلادي لم تعد معروفة أو تغيرت. والثانية هي الخلاف بين المؤرخين العرب الكلاسيكيين حول حدود اليمامة، وبخاصة الواقعة غرب المنطقة[1]. وربما تكون اليوم المنطقة الإدارية للرياض في وسط المملكة العربية السعودية هي منطقة اليمامة نفسها في القرن السابع الميلادي.

(1) سعد بن جنيدل، «شبه جزيرة العرب»، **العرب،** (الرياض 1979)، الجزء 5 و6، ص398 ـ 401.

وفقًا لابن رستة (توفي عام 290/ 902)، وصلت الحدود الشرقية لليمامة إلى البحرين، ووصلت في الغرب إلى مكة المكرمة، وفي الشمال إلى البصرة وفي الجنوب إلى اليمن(1). وحدد القزويني (توفي عام 682/ 1283)، موضع اليمامة بين منطقة الحجاز واليمن(2). واعتبر أبو الفدا (توفي عام 732/ 1331)، أن المرتفعات الواقعة شرقي مكة المكرمة هي جزء من اليمامة(3). كما حدد ابن خلدون (توفي عام 808/ 1405)، على أي حال، موضع اليمامة بين منطقة البحرين وأراضي بني تميم(4). (احتلت تميم نجد الواقعة إلى شمال اليمامة). وتُعتبر ملحوظات ابن خلدون من الملحوظات القليلة التي لا تخلط بين اليمامة ونجد. واعتبر البغوي (توفي عام 682/ 1117)، أن البحرين تقع شرقي اليمامة، والحجاز واليمن غربها، ونجران جنوبها، ونجد شمالها(5).

تقع التعريفات الجغرافية الكلاسيكية لهذه الحدود ضمن فئتين: التعريف الجغرافي السياسي لابن خلدون والبغوي، والتعريف الإداري للقزويني وأبي الفدا. وبصورة عامة، لم تكن

(1) أبو علي أحمد بن رسته، **الأعلاق النفيسة**، تحقيق م. ج. دي جويج (لايدن 1891)، ص182.

(2) زكريا بن محمد القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، (بيروت، دار صادر 1960)، ص131. وفي ما بعد القزويني، **آثار**.

(3) أبو الفدا، **تقويم**، الجزء الثاني، ص97.

(4) أبو يزيد عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، (بيروت 1971)، الجزء الثاني، القسم 2، ص625. وفي ما بعد ابن خلدون، **العبر**.

(5) القلقشندي، **صبح**، الجزء الخامس، ص58.

حدود اليمامة ثابتة، بل خضعت لتغيرات مثيرة بسبب عدم الاستقرار السياسي، والتغييرات السكانية التي حدثت طوال التاريخ الإسلامي. هذه هي العوامل الكامنة خلف تناقضات تعريف حدود اليمامة في المصادر. وبصورة عامة، لم يكن المجتمع العربي محدّدًا إقليميًّا. وكانت المنطقة التي تسيطر عليها المجموعات العربية من دون صراع تتوسع أو تتقلص وفق الظروف السياسية في المنطقة المحيطة بها والخطوط المتبدلة للمجتمعات البدوية والمستقرة. وفي الحقيقة، كما عبر عن ذلك أحد المستشرقين، فإن عرب الشمال كانوا يتألفون من المزارعين بدلًا من الحضر[1].

تقترن اليمامة غالبًا مع اسم جبال العارض، المعروفة اليوم باسم جبال طويق[2] التي تمتد من الجنوب إلى الشمال (انظر

---

(1) استُعمل المصطلح الذي طوره فريدريك ماينيك. اعتقد فون غرونباوم أن محمدًا ﷺ والإسلام قد حولا المزارع العربي إلى حضري. انظر ج. فون غرونباوم، «طبيعة الوحدة العربية قبل الإسلام»؛ Arabica، 10، (1963)، ص5، 7. وفي ما بعد فون غرونباوم، «طبيعة الوحدة العربية قبل الإسلام».

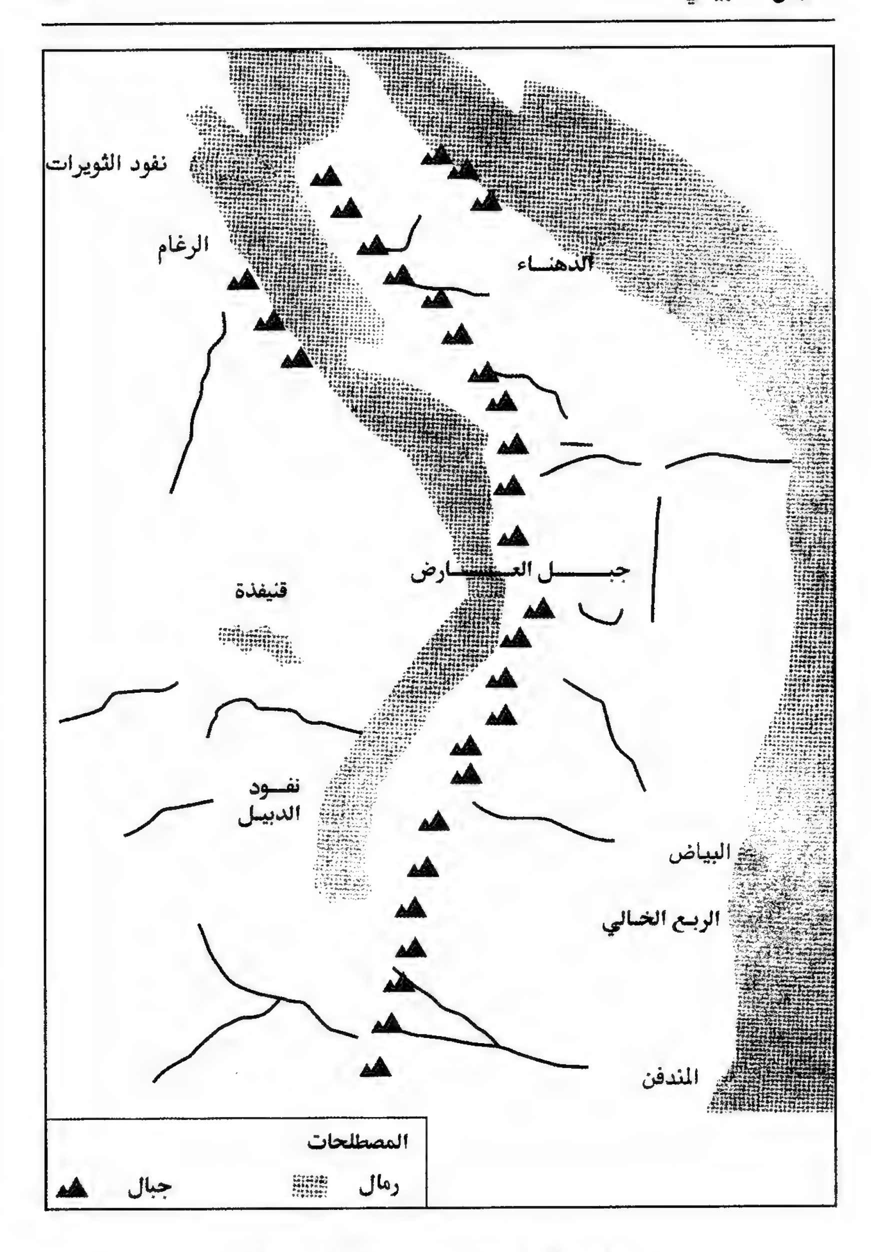
(2) العارض والعرض والعروض ثلاثة مصطلحات تختلف معانيها عن مصطلحات القرن السابع. لتعريفها اللغوي انظر مادة «عرض» في **لسان العرب** تأليف ابن منظور **وتاج العروس** تأليف الزبيدي. من أجل تفاصيل جغرافية أكثر انظر ابن بليهد، محمد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، إعداد م. م. عبد الحميد (بيروت 1972)، الجزء الأول، ص195. وفي ما بعد ابن بليهد، **صحيح**. انظر أيضًا لغدة، **بلاد**، ص231 وعبد الله بن خميس، **معجم اليمامة**، (الرياض 1978)، الجزء الأول، ص31 ـ 5. وفي ما بعد ابن خميس، **معجم**.

الخريطة 2). وتقع مواضع منطقة اليمامة وقراها على السفوح الشرقية والغربية لهذه السلسلة الجبلية. ويبدو أن سلسلة جبال العارض، التي يذكرها الشعراء غالبًا كانت مهمة لسكانها[1]. وكانت مقسمة إلى قسمين بواسطة مجرى الماء الرئيسي، وادي العارض، الذي أصبح اسمه الحديث وادي حنيفة. والجزء الغربي للسلسلة أعلى من الجزء الشرقي، والمركزي أعلى من الطرفين الشمالي والجنوبي[2]. يوضح هذا كمية الرمل التي تغطي كليًّا الجزء الأدنى من الجبال عند طرفيها الشمالي والجنوبي. كما أن طوبوغرافيا العارض قد أثرت في اتجاه مجاري المياه (الوديان)، التي تجري من الغرب إلى الشرق. وتشكل هذه الوديان بوابات طبيعية بين قسمي جبال العارض، حيث توجد القرى والمستوطنات.

---

(1) أبو بكر محمد بن الأنباري، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق أ. هارون (القاهرة، دار المعارف 1963)، ص383. وفي ما بعد ابن الأنباري، **شرح**.

(2) الهمداني، **صفة**، ص308.



الخريطة 2: تضاريس منطقة اليمامة

وديان اليمامة

يذكر كُتّاب القرون الوسطى ثلاثة وأربعين واديًا، على الأقل، يُقال أنها موجودة في منطقة اليمامة[1]. وأسماء هذه الوديان العديدة، إلى جانب الأسماء الحديثة للمواضع في اليمامة، جمعها عبد الله بن خميس، وهو كاتب معاصر، ونُشرت في **معجم اليمامة**. هذا النوع من العمل الجغرافي عسير جدًّا لأنه من الصعب غالبًا مطابقة الأسماء الحالية مع السابقة. ورغم أن ابن خميس كان دقيقًا وعلميًّا، فإن غياب الخرائط، وقلة البيانات الدقيقة والثابتة من المصادر الأولى، قد منعت مؤلف هذا الكتاب من الاستفادة على نحو كامل من عمله[2]. على أي حال، من المهم معرفة أسماء الوديان ومواقعها لأن أغلبية مستوطنات اليمامة في القرن السابع الميلادي كانت، كما قيل، موجودة على امتداد ضفافها. وتظهر الوديان الأكثر أهمية في الخريطة (رقم 3)، وهي:

1 ـ **وادي الفقي**: وقد جرى تعريف موقعه على نحو خاطئ من قبل أغلبية الجغرافيين الأوائل ما عدا الهمداني. وهو يقع

---

(1) ابن خميس، **معجم**، الجزء الأول، ص19 ـ 33.

(2) عمل ابن خميس **معجم اليمامة**، ابن جنيدل، **عالية نجد**، المعجم الجغرافي 3 أجزاء (الرياض، دار اليمامة 1978). في ما بعد ابن جنيدل، **عالية نجد**. تم الرجوع إليهما من أجل الأسماء والمواقع. ومن أجل **نقد عمد الأول** انظر حمد الجاسر، «نظرات في **معجم اليمامة** تأليف ابن خميس»، العرب، الجزء 14 (الرياض 1980)، في مواضع متفرقة.

حقيقةً في الجزء الشمالي من اليمامة. ويجري هابطًا من قمة الجزء الشمالي لجبال العارض، ويتجه نحو الشرق. وتنضم إليه عدة روافد قبل أن يتجه إلى منخفض العتك. واسم وادي الفقي الحديث هو وادي سدير. وقد تجمعت أغلبية مستوطنات الوادي على ضفافه مثل الحائط حيث تأسّست فيها سوق كبيرة من قبل بني العنبر، وجماز وتويم واشي والخيس[1].

2 ـ **وادي قرّان**: يقع إلى الجنوب من وادي الفقي. اسمه الحديث هو وادي ملهم. وهو وادٍ كبير، ينحدر من جبال العارض نحو الشرق. وقبل أن يبلغ اتجاهه في منخفض الخفس، يعبر مئات المستوطنات والمزارع.

وقد كان وادي قرّان يشكل إحدى المناطق الرئيسية لبني حنيفة. ويبدو أن الوادي كان يضم أوائل المستوطنات في اليمامة مثل بلدة قرّان التي عُثر فيها على بقايا كنيسة. وقد كانت هذه البلدة وتوأمها، ملهم، مشهورة في العصور ما قبل الإسلامية، وأتى ذكرها في الأدب ما قبل الإسلامي باسم القُريّتين[2].

3 ـ **وادي العارض**: يقع في مركز منطقة اليمامة. وقد سُمّي على اسم جبال العارض. ويجري من الشمال إلى الجنوب ويعبر العديد من الوديان والروافد قبل أن يبلغ نهايته في السهبا بمنطقة

---

(1) لغدة، **بلاد**، ص258، الهمداني، **صفة**، ص285، ابن خميس، **معجم**، تحت كلمتي «سدير» و«الفقي».

(2) الهمداني، **صفة**، ص308، لغدة، **بلاد**، ص225، ابن خميس، **معجم**، تحت كلمتي «قرّان» و«ملهم».

الخضارم. وقد كان لهذا الوادي العديد من الروافد. وقد قدرها الهمداني بـ 300 رافد. ولا يزال الوادي مشهورًا بكمية المياه الكبيرة فيه؛ واسمه الحديث هو وادي حنيفة.

ربما كان وادي العارض أول موقع يجذب المستوطنين الأوائل. وقد قيل إن بعض مستوطناته، مثل حجر، كانت أول المستوطنات التي زُرعت. ومن الواضح أن قبيلة بني حنيفة قد امتلكت أغلب المستوطنات في هذا الوادي[1].

4 ـ **وادي ماوان**: يقع في منطقة الخضارم، ولا يزال يعرف باسمه القديم. وهو مشهور بكمية المياه الكبيرة فيه، وبروافده وينابيعه[2].

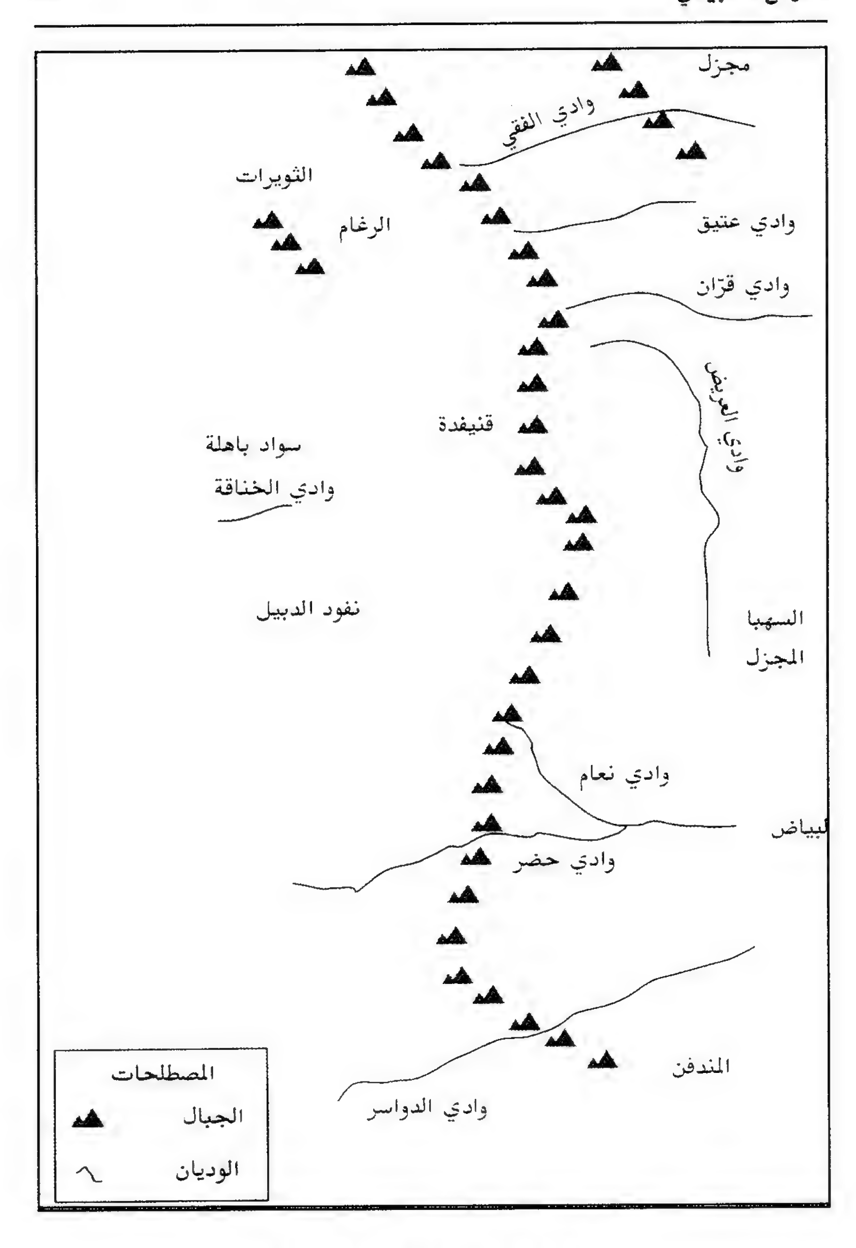
5 ـ **وادي نعام**: كان يقع في منطقة الفلج. وقد انحدر من جبال العارض نحو الشرق. وانضمت إليه عدة روافد، واتجه إلى بلدة الحريق، وتدفق من هناك إلى وادي بيرك الذي انضم إليه ليشكل واديًا منفردًا سُمّي وادي المجازة. وكانت مستوطنات هذا الوادي مشهورة بمحاصيلها الزراعية، وبخاصة النخيل[3].

---

(1) بكري، **معجم**، ص932، والإدريسي، محمد الشريف، **نزهة المشتاق**، تحقيق إبراهيم شوقي، نشرة الأكاديمية العراقية، 21، (بغداد 1971)، ص45. في ما بعد الإدريسي، **نزهة**. انظر أيضًا ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «وادي حنيفة».

(2) الهمداني، **صفة**، ص308، ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «موان».

(3) ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «حريق».



الخريطة 3: الوديان الرئيسية في اليمامة

6 ـ **وادي الهدار**: كان يقع في منطقة الفلج. وربما كان الوادي الأكثر خصوبة في هذه المنطقة. وهو مشهور بكمية المياه الكبيرة فيه، وينحدر من جبال العارض ويتجه شرقًا حتى يصب في منخفض الدُبيل. وقيل إن عدة مستوطنات قد وُجدت على طول هذا الوادي مثل الهدار والبداعي ومروان وسويدان[1].

مستوطنات اليمامة

تشبه مشكلة تمييز مكان مستوطنات اليمامة وتحديدها مشكلة تمييز أسماء الوديان، إن لم تكن أصعب منها. وتوجد اليوم على الأقل آثار ممرات المياه، لكن القليل من آثار المستوطنات قد بقي. وأغلب المستوطنات التي أتى ذكرها في المصادر، إما أنها لم تعد معروفة أو أن لها أسماء جديدة. وقد كانت سلسلة جبال العارض العمود الفقري للقرى والمستوطنات التي تناثرت على منحدراته. ويبدو أن الجغرافيين العرب الكلاسيكيين، بمن فيهم الهمداني، يميزون أربع مستوطنات رئيسية في اليمامة[2]. وهي كالآتي:

1 ـ **الفلج**: تقع في الجزء الجنوبي من اليمامة؛ واسمها الحديث هو الأفلاج. وكانت تشتهر بإنتاجها الزراعي، وبخاصة بساتين النخيل ومصادر المياه مثل الينابيع وجداول المياه. وكان

---

(1) الهمداني، **صفة**، ص296.

(2) المرجع السابق، في مواضع متفرقة، وانظر أبو القاسم عبد الله ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، إعداد م. ج. دي جويج (لايدن 1889)، في مواضع متفرقة.

سكانها بشكل رئيسي من بني جعدة وبني قشير وكانت الفلج مشهورة بسوقها المركزية. وكانت المزراع وحسيمة وأثيل وأكمى والغيل أفضل المستوطنات المعروفة في الفلج[1].

2 ـ **المجازة**: كانت تقع في جنوب وادي بيرك. وكان معظم سكانها من بني هزّان. وقد تضمنت المستوطنات الرئيسية قرارة ونعام والحائط[2].

3 ـ **اليمامة**: الجزء الأكثر أهمية في المنطقة. وليس من الواضح في عمل الهمداني، أو في أعمال الجغرافيين العرب الأوائل الآخرين، إن كان هذا التعبير هو اسم منطقة أو مجرد اسم مدينة. على أي حال، لقد قيل إن الخضارم أو جو الخضارم تُعرف باسم اليمامة. وهنا يميل المؤلف إلى اعتبار تعبير اليمامة اسمًا لمدينة، ولمنطقة، وللإقليم بكامله. وكانت منطقة اليمامة واقعة في الجزء المركزي لجبال العارض. وتضمنت أغلب المستوطنات، مثل حجر، العاصمة التقليدية، ومنفوحة، ووبرة، وملهم، وقرّان. وجاء أغلبية سكانها من بني حنيفة وتميم[3].

4 ـ **العرض**: كانت تقع في الطرف الغربي من جبال العارض. وكانت مشهورة بمصادرها الطبيعية مثل مناجم الذهب والفضة؛ وكان أغلب سكانها يعملون في صناعة التعدين

(1) الهمداني، **صفات**، ص304 ـ 6.
(2) المرجع السابق، ص306.
(3) المرجع السابق، ص307 ـ 8.

والنشاطات المتعلقة بها. وكانت المجموعة الرئيسية للمستوطنات في هذه المنطقة هي سواد باهلة وقرقرى[1].

هذا، على الأقل، ما أشار إليه الهمداني. وربما يكون هناك، على أي حال، أخطاء وتناقضات في وصفه. وقد استند الهمداني والجغرافيون الأوائل الآخرون في عملهم إلى النقل الشفهي (الرواية الشفهية) وحده. ولم ينحصر هذا الميل في المصادر القديمة. وبعد الهمداني بنحو قرن، كان الإدريسي (560/ 1164)، الذي وضع كتابين في علم الجغرافية، **نزهة المشتاق** و**أنس المهج**، قد اعتمد على النقل الشفهي أيضًا. وقدم في هذين العملين أسماء المستوطنات فقط، والمسافات بينها، والمهن الرئيسية للسكان. وقد أخفق في وضع معرفته الجغرافية في أي نوع من النظام[2].

كما ذُكر آنفًا، لم توصف منطقة اليمامة وفق التقسيمات الداخلية في المصادر الجغرافية المبكرة. وعلى أي حال، فقد حاول العمل المهم، **معجم اليمامة**، الذي وضعه ابن خميس في مجلدين القيام بمثل هذا التقسيم. وباعتباره أحد الأشخاص الأكثر معرفة ممن كتبوا عن تاريخ اليمامة وجغرافيتها يميز ابن خميس بين المناطق أو الأجزاء التي شكلت منطقة اليمامة[3]. وهي

---

(1) المرجع السابق، ص309 ـ 10. انظر أيضًا ابن جنيدل، **عالية نجد**، تحت كلمة «القويعية».

(2) الإدريسي، **نزهة**، ص45.

(3) ابن خميس، **معجم**، انظر الأسماء المعطاة.

كالآتي: (1) منطقة الرياض، بما في ذلك الشعيب، والمحمل، والخرج، والفرعة، ضرما، والدرعية. والوادي الرئيسي الذي يعبر هذه المنطقة هو وادي حنيفة الذي يجري من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي؛ (2) منطقة سدير؛ (3) منطقة الزلفي (الطرف الشمالي لمنطقة اليمامة)؛ (4) منطقة الوشم؛ (5) منطقة الفلج؛ (6) منطقة وادي الدواسر (الطرف الجنوبي لمنطقة اليمامة)؛ (7) منطقة العرض، و(8) منطقة السر. وينطبق هذا التقسيم مع المنطقة الإدارية الحالية للرياض.

النماذج الجغرافية والبيئية

إن القصد من الطريقة المتبعة هنا هو دراسة مستوطنات اليمامة في ضوء الخرائط الحديثة، ولكن من دون استعمال الأسماء الحديثة. ومع ذلك يمكن وضع الأسماء القديمة، وذلك من طريق مسح المصادر الكلاسيكية بعناية ومقارنتها مع المعاجم الجغرافية الحديثة. ويمكن رسم خريطة اليمامة في القرن السابع الميلادي بهذا الأسلوب لأنه من المقبول على نطاق واسع أن طوبوغرافية المنطقة هي الآن نفسها كما كانت في القرن السابع. وهكذا يمكن تقسيم منطقة اليمامة إلى ثماني مناطق، كل منها تُعرف إما باسم وادٍ رئيسي أو باسم مصدر طبيعي مثل منجم. وبكلمة أخرى، يبدو أن المستوطنات ترتبط بقوة إما باقتصاد زراعي، أو بنشاط تعدين، أو بأعمال صناعية. ومن الواضح أن مستوطنات اليمامة كانت كيانات مكتفية ذاتيًّا شكَّلت نموذجًا اجتماعيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا مميزًا. ويبدو أن هذا المنهج يتطابق

جيدًا مع الطبيعة الاجتماعية ـ الاقتصادية لليمامة في القرن السابع الميلادي[1]. وفي ما يلي المستوطنات، بدءًا من الشمال وانتقالًا إلى الجنوب (انظر أيضًا الخريطة 4).

منطقة الفقي

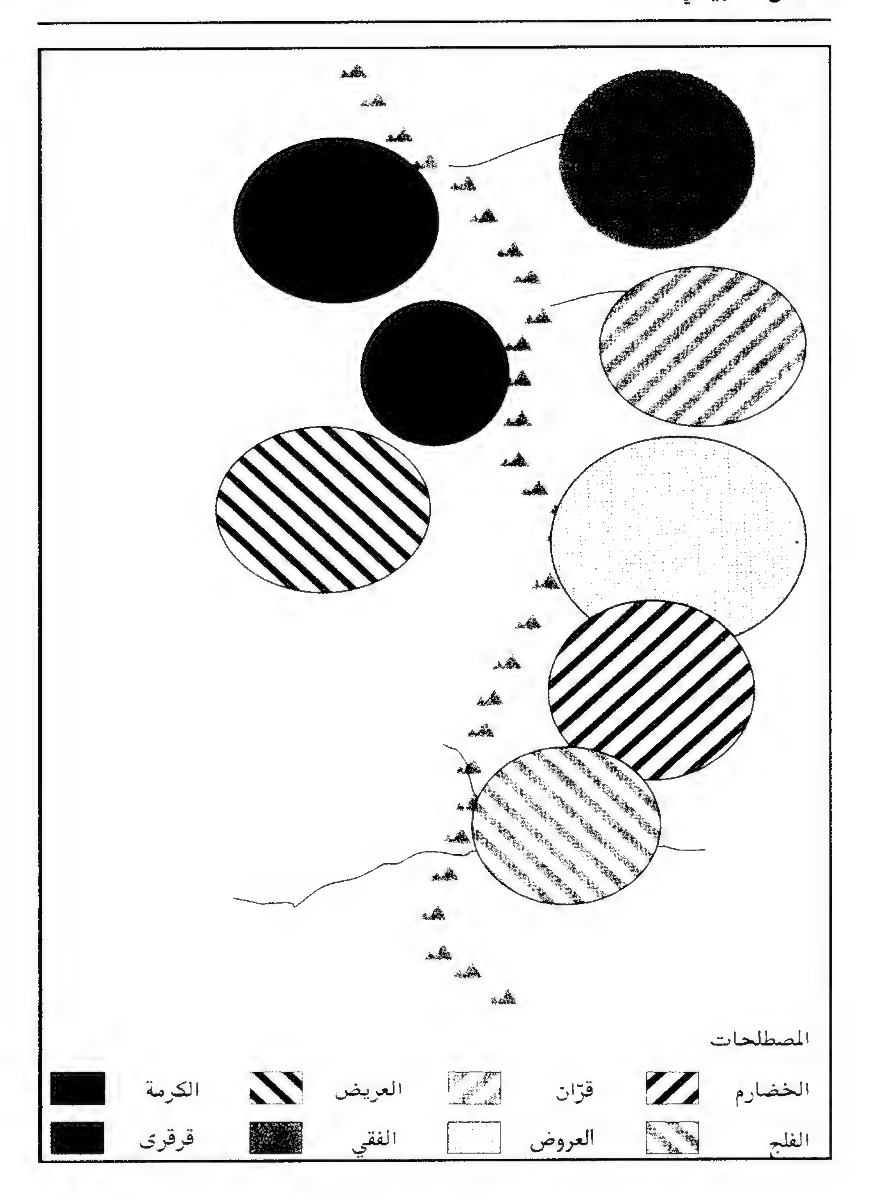
الفقي اسم وادٍ رئيسي يقع إلى الشرق من الرأس الشمالي لجبال العارض. وربما تكون هذه المنطقة قد أخذت اسمها من الوادي نفسه. واسمها الحديث هو سدير. وثمة خلاف بين الجغرافيين الأوائل بخصوص موقع الفقي. ويبدو أنه كان هناك مكانان معروفان بهذا الاسم. أحدهما كان واديًا والآخر مدينة واقعة في منطقة الوشم[2].

كان وادي الفقي يتلقى أغلبية مياه فيضانه من منحدرات العارض، ثم يتجه شرقًا. وكانت أغلبية مستوطناته تتجمع على طول ضفاف الوادي.

---

(1) لغدة في كتابه، **بلاد العرب**، وابن خرداذبه في كتابه، **المسالك والممالك**، يميلان إلى استعمال منهج مشابه للمقدم هنا. على أي حال، كلاهما يخفق في ربط الأسماء الجغرافية مع أي نوع من الحقائق الاقتصادية الاجتماعية.

(2) من أجل منطقة الفقي انظر ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «الفقي». على أي حال، إن أكثر المصادر المبكرة مشوشة في ما يتعلق بهذا التعبير. على سبيل المثال وصف السكوني الذي يعد الفقي منبرًا في ثرمدا. للمزيد من التفاصيل انظر ياقوت، **معجم**، الجزء الرابع، ص902.



الخريطة 4: مناطق اليمامة

كانت حدود منطقة الفقي كالآتي: إلى الغرب منحدر جبال العارض؛ وإلى الشرق السلسلة الصغيرة للجبال المعروفة باسم جبال المجازة، التي تمتد من جبال العارض؛ وإلى الجنوب وادي العتك، وإلى الشمال هضبة الثويرات الرملية حيث تصب سيول وادي الفقي. وهناك على الأقل سبعة روافد تجري عبر هذه المنطقة وتغني وادي الفقي.

كانت الزراعة هي المهنة الرئيسية للسكان. وليس هناك أي ذكر للتعدين، وهكذا لم تكن الصناعة على ما يبدو موجودة هناك. وكانت الأقسام الرئيسية لهذه المنطقة كالآتي[1]: زلفي، وجلاجل، والروضة، والبرقة، وكلها يستوطنها بنو العنبر؛ وقد استوطنت تويم بنو همّام، واستوطنت الغاط بنو ثعلبة.

منطقة قرّان

كان قرّان اسم وادٍ رئيسي في جنوب وادي الفقي على منحدرات جبال العارض. واسمه الحديث هو وادي ملهم. ويتجه إلى الشرق حيث تصب مياهه في منخفض العتك.

كانت الزراعة والتجارة هما المهنتان الرئيسيتان في هذه المنطقة. ويبدو أن جزءًا من السكان لم يكن مستقرًّا تمامًا. ولذلك كانت الروابط بين السكان والبدو المجاورين قوية. وقد عاش أغلبية السكان قرب الوادي في مستوطنات مثل قرّان وسدوس. كما أن أقسامًا من عشائر بني حنيفة الثلاث الرئيسية حلّت هنا. وكانت

---

(1) يمكن العثور على تفاصيل أكثر حول هذه الأسماء لدى ابن خميس، **معجم**، تحت أسمائها الخاصة.

هذه: (1) بنو سحيم بن مرة بن الدول، قبيلة ملك اليمامة، هوذة ابن علي (رغم أن هوذة بن علي لم يسكن هذه المنطقة، فإن العديد من التقارير تشير إلى أن قسمًا من قبيلته كان في قرّان)؛ (2) بنو سحيم، قبيلة نجدة بن عمير وأبي طالوت، مؤسسا فرقة الخوارج النجدية في اليمامة، و(3) بنو يشكر وبنو غبرة[1].

منطقة العارض

تقع منطقة العارض إلى جنوب قرّان، وهي محاطة بثلاثة وديان: وادي نيسا، ووادي السهبا، ووادي العتك. وربما يكون اسم هذه المنطقة مشتقًا من اسم السلسلة الجبلية الرئيسية التي تشكّل العمود الفقري لطوبوغرافيا اليمامة. وهي تحتل الجزء المركزي من جبال العارض، واسمها الحديث هو وادي حنيفة. وخلافًا للوديان الأخرى في المنطقة، يجري هذا الوادي من الشمال إلى الجنوب. وله هضبة خصبة على جانبه. ويبلغ طوله نحو 100 ميل، وعرضه نحو 20 ميلًا. وينتهي قرب منطقة جو الخضارم. وتوجد في هذه المنطقة أغلب المستوطنات المشهورة التي تميزت في تاريخ اليمامة، بما في ذلك منفوحة وحجر[2]، العاصمة التقليدية لليمامة.

---

(1) المرجع السابق، تحت كلمتي «قرّان» و«ملهم».

(2) من الناحية اللغوية فإن كلمة **حجر** تعني الحجارة أو يُحجّر، أي يُقسّي مثل الحجر، مكان تحت الوصاية، يمنع الوصول إلى شيء ما، أو يحرّم ويمنع. انظر ابن منظور، **لسان**، تحت كلمة «حجر»؛ والزبيدي، **تاج**، تحت كلمة «حجر». قد يستنتج المرء أن حجر قد بنيت بالحجارة وكان من الممكن الدفاع عنها. تُعرف حجر اليوم باسم الرياض، =

كانت منطقة العارض تشتهر بمنتجاتها الزراعية، وبشكل رئيسي الحنطة والنخيل. وكانت الحرف والصناعات الأخرى موجودة أيضًا كما يقال. وقد احتلت بعض المستوطنات، مثل حجر ومنفوحة إذا ذكرنا اثنتين فقط، مكانة خاصة في تاريخ اليمامة.

لم تتم كتابته تاريخ حجر. وعلى الرغم من هذا، اعتبر الهمداني أن طسم وجديس، وهما قبيلتان قديمتان، كانتا أول من أسّسها[1]. وليس على المرء أن يقبل باستنتاج الهمداني، إذ يجب تقرير هذه القضية بدليل أثري مؤكد أكثر. ولا يزال موقع الحجر يحتوي على أطلال وآثار قديمة تنتظر الدراسة الأثرية. وعلى أي حال، لقد تم الاتفاق على أن حجر سكنها ثانية عبيدة بن ثعلبة وقبيلته[2]. ويعتقد البعض أن خضرا حجر، وليس حجر، كانت هي البلدة التي جعلها عبيدة بن ثعلبة آهلة بالسكان ثانية[3]. وقد اعتبر الحفصي، وهو عالم يمامي من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أن عبيدة بن ثعلبة استقر أولًا في قرية صغيرة تدعى شط الوتر[4]. واسمها الحديث هو وادي البطحاء، في مركز الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية.

= عاصمة المملكة العربية السعودية. انظر حمد الجاسر، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، (الرياض، دار اليمامة 1966)، ص9. وفي ما بعد الجاسر، **مدينة**.

(1) الهمداني، **صفة**، ص284.

(2) ياقوت، **معجم**، الجزء الثالث، ص908.

(3) الهمداني، **صفة**، ص284.

(4) ياقوت، **معجم**، الجزء الرابع، ص902.

لا يهم أين استقر عبيدة بن ثعلبة أولًا. إضافة إلى ذلك، فربما دلّت الأسماء المختلفة على مكان واحد، أي حجر. ومن المعروف جيدًا أن أي مكان ربما يكون له أكثر من اسم واحد، وأن كل اسم قد يؤكد شيئًا مختلفًا. وحجر ببساطة هو اسم المدينة، بينما كانت خضرا صفة بمعنى «خضراء». وهذه الصفة تؤكد إحدى سمات المدينة، أي طابعها الزراعي.

مما يدعو إلى الدهشة أن حجر سرعان ما أصبحت أهم مدينة في اليمامة. ومع ظهور الإسلام، أصبحت حجر عاصمة اليمامة والمدينة الأكثر ازدهارًا في المنطقة[1]. ومن المحتمل أن موقع حجر الاستراتيجي هو الذي جعلها تتطور إلى عاصمة، إذ كان موقع حجر بين ثلاثة وديان كبيرة: وادي العارض (الذي أصبح اسمه الحديث وادي حنيفة)، ووادي السلي (الذي ظل اسمه الحديث كما هو)، ووادي شط الوتر (الذي أصبح اسمه الحديث وادي البطحاء). لقد كان هذا المكان كافيًا لجعل المدينة في مركز زراعي. وثمة سبب آخر لنمو المدينة، وهو موقعها على طريق التجارة بين اليمن والعراق وبلاد فارس، بالإضافة إلى موقعها على طريق التجارة بين البحرين ومكة المكرمة.

كانت إلى الشمال من حجر ثمة مستوطنات زراعية مشهورة مختلفة بما فيها العمارية، وفيشان، وهزّان، وجعد، وأباض، وعقرباء، حيث قاتل بنو حنيفة الجيوش الإسلامية لاحقًا. وعبر

(1) لغدة، **بلاد**، ص357. قيل إن مدينة حجر مسكونة قبل الإسلام بقرنين من قبيلة عبيدة بن ثعلبة، وهذا وقت كافٍ للمدينة الصغيرة كي تصبح كبيرة مع ظهور الإسلام. انظر الجاسر، **مدينة**، ص14 ـ 15.

وادي العارض كانت هناك العيينة والهدار، حيث قيل إن مسيلمة كان يمتلك أرضًا زراعية وآبارًا[1].

وكانت منفوحة تقع إلى الجنوب من العاصمة حجر. وفي فترة ما قبل الإسلام كان يسكنها بنو قيس بن ثعلبة[2]. وقد ناقش البعض أن منفوحة سُكنت بعد حروب الردة فقط. وعلى أي حال، يظلّ مثل هذا الرأي على خلاف مع حقيقة أن منفوحة كانت معروفة جيدًا في فترة ما قبل الإسلام، وكانت مقر سكن الأعشى، وهو شاعر ما قبل الإسلام. وإلى الجنوب من منفوحة كانت هناك مستوطنات زراعية مختلفة مثل: المصانع، والمسيل، ووبر، وعقة، والغبراء[3]. وإلى الغرب من هذه القرى كانت المستوطنة المعروفة باسم سدوس التي كانت قرب منحدر وادي العارض، وكانت مشهورة بآثارها القديمة. وعلى مسافة أبعد باتجاه الشمال الغربي، حيث ينتهي وادي قرّان، كانت ملهم وقرّان اللتان غالبًا ما أتى ذكرهما في أدب ما قبل الإسلام[4].

---

(1) الهمداني، **صفة**، ص307 ـ 10، ياقوت، **معجم**، الجزء الثاني، ص762. تُعرف قران اليوم باسم القرينة. وتقع قرب وادي الشعيب. انظر حمد الجاسر، **مدينة**، ص47.

(2) لغدة، **بلاد**، ص360، الزبيدي، **تاج**، الجزء الثاني، ص242.

(3) المرجع السابق، ص385، الهمداني، **صفة**، ص307، ياقوت، **معجم**، الجزء الأول، ص72، والجزء الثاني، ص262، وانظر أيضًا ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «منفوحة».

(4) الهمداني، **صفة**، ص308، بكري، **معجم**، ص1036، ياقوت، **معجم**، الجزء الثاني، ص89، وابن بليهد، **صحيح**، الجزء الثالث، ص22، والجزء الرابع ص67.

منطقة قرقرى

كانت قرقرى تقع إلى غرب العارض بين منطقة الوشم إلى الشمال ووادي نسا إلى الغرب. وكانت هناك روافد عديدة تصب مياه فيضها في وادي قرقرى. ومن المحتمل أن هذه المنطقة قد أخذت اسمها من الوادي نفسه. واسمها الحديث هو الباطن.

ومن مستوطناتها كانت حزما، وضرما، والمزاحمية، وقرما، وجورا، والبرة. وكانت الأخيرة مقر سكن الشاعر العباسي يحيى بن طالب الحنفي الذي ربما كان ممثلًا لبعض الشخصيات العباسية في هذه المنطقة[1]. ويبدو أن هذه المنطقة قد جرت زراعتها في وقت متأخر عن بقية منطقة اليمامة. ومن المحتمل أن سكانها لم يكونوا مستقرين كليًّا حتى أوائل العصر الأموي. وكان للمنطقة موقع استراتيجي يمر عبره الطريق التجاري بين اليمامة ومكة المكرمة. وقد يكون ثمامة بن أثال، الذي منع ذات مرة شحن الحنطة من اليمامة إلى مكة المكرمة، من هذه المنطقة[2].

منطقة الكرمة

كانت الكرمة تقع بين منخفض الرغام الرملي إلى الشرق

(1) الهمداني، **صفة**، ص307 ـ 8، ياقوت، **معجم**، الجزء الأول، ص546، والجزء الرابع، ص67، وابن خميس، **معجم**، تحت كلمتي «قرقرى» و«الباطن».

(2) لغدة، **بلاد**، ص222، 273؛ ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «الكرمة» و«الوشم».

وهضبة صفرا إلى الغرب. وكانت منطقة الفقي شرق الكرمة، وكانت منطقة قرقرى إلى الجنوب.

وتُعرف هذه المنطقة اليوم باسم الوشم. وكانت على ما يقال منطقة مدن مشهورة وكبيرة. ويذكر بعض المؤرخين أربعًا منها[1]. ويضيف آخر مدينة خامسة. وقد قيل إن إحدى هذه المدن، وهي ثرمدا، كانت مركزًا صناعيًّا كبيرًا. وقال السكوني، وهو عالم من اليمامة، إنه كانت هناك مدينة تدعى فقي قرب ثرمدا، وكانت تعتبر عاصمة الكرمة. وقد أتى ذكر منبر هناك[2].

وكما ذُكر سابقًا، كانت الفقي منطقة شرقي الكرمة، وليست مدينة. وقد دفع هذا الغموض بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن بعض أسماء الأماكن المعطاة إلى منطقة الكرمة لم تكن أسماء الأماكن الفعلية، بل كانت مجرد أسماء للأقسام الإدارية[3]. وقد وضّح الهمداني في كتابه أنه اعتبر الفقي اسم وادٍ، وليس اسم مدينة[4].

كانت الرغام منطقة واسعة مغطاة في أغلبها بالرمل[5]. وكان

---

(1) ياقوت، **معجم**، الجزء الثالث، ص106.

(2) لغدة، **بلاد**، ص273؛ ياقوت، **معجم**، الجزء الرابع، ص930.

(3) ياقوت، **معجم**، الجزء الرابع، ص902؛ ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «الفقي».

(4) نزار الحدايثي، «اليمامة وردة مسيلمة» (أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1971)، ص37. وفي ما بعد نزار، **اليمامة**.

(5) الهمداني، **صفات**، ص285 ـ 6.

هناك بعض المستوطنات، مثل قصيبة، ومرات، ورمادا، وأثيثية. وكانت النشاطات الرئيسية لهذه المستوطنات هي الحرف التي أصبحت صناعة منظمة لاحقًا[1]. وكان يُنتج الملح على نطاق واسع في مرات ورمادا[2]. كما كانت تُنسج هنا الأقمشة التي كانت تُعتبر الأفضل في شبه الجزيرة العربية كلها[3]. وقد اعتبر ياقوت على نحو خاطئ أن مرات هي مستوطنة ما قبل الإسلام لأسرة امرؤ القيس[4]، لكن الحقيقة هي أن بني حنيفة كانوا مالكي مرات، وقد طُردوا منها بعد حرب اليمامة. عندئذ جاء القادمون الجدد، ومن بينهم عائلة امرؤ القيس، للاستقرار فيها[5]. وكانت مستوطنات أخرى، مثل شقراء؛ العاصمة المعاصرة للمنطقة، وأشيقر، وذات غسل، مستوطنات صغيرة، وربما سكنها شبه بدو من بني تميم[6].

منطقة الخضارم

كانت الخضارم تسمّى أحيانًا باسم الجو أو جو الخضارم. وكانت تقع جنوبي منطقة العارض في نقطة التقاء منخفض سهبا ومنطقة الفلج في الجنوب[7]. واسمها الحديث هو الخرج. وكانت

(1) ياقوت، **معجم**، الجزء الرابع، ص430.
(2) لغدة، **بلاد**، ص271، 273.
(3) ياقوت، **معجم**، الجزء الرابع، ص481.
(4) المرجع السابق.
(5) نزار، **اليمامة**، ص41.
(6) ابن بليهد، **صحيح**، الجزء الرابع، ص252.
(7) خضارم أو خضرمة (جمع خضارم) تعني الكثير من الماء الذي يمكن =

الخضارم بالتأكيد المنطقة الزراعية الأكثر إنتاجًا في منطقة اليمامة بسبب مياهها الوفيرة والينابيع العديدة التي تتخلل الأرض. ويحدها من الجنوب البياض، على حافة الربع الخالي.

ربما كانت الجو المستوطنة الأولى التي ستتطور في هذه المنطقة. وقد أصبحت عاصمة اليمامة في فترة طسم وجديس[1]. وتتضح أهمية هذه المدينة وتاريخها القديم إلى حد ما من تنوع أسمائها وتعددها. وعلى سبيل المثال، لقد استُعمل اسم الجو، وجو الخضارم، وأخيرًا الخضارمة كلها من أجل موقع واحد[2]. وقد استعمل الأعشى، شاعر ما قبل الإسلام، الأسماء الثلاثة كلها في شعره[3].

لقد بدا أن هذه المنطقة تجذب الناس الذين جاءوا إلى هناك للاستقرار بسبب ثروتها وازدهارها اللذين حدثا نتيجة توفر

= استعماله لمكان مزروع وري جيد. انظر ابن منظور، **لسان**، والزبيدي، **تاج**، تحت كلمة «خضارم». قيل إن خضارمة كانت مسكونة لمدة قصيرة قبل الإسلام. واليوم هي قرية صغيرة تُسمّى باسم اليمامة في منطقة الخرج. انظر الجاسر، **مدينة**، ص45.

(1) يعتقد أن المدينة القديمة دمرتها الفيضانات. انظر سانت جون فيلبي، **قلب الجزيرة العربية: سجل السفر والاستكشاف**، (لندن 1923)، الجزء الثاني، ص31. في ما بعد فيلبي، **الجزيرة العربية**.

(2) الهمداني، **صفة**، ص307، ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «الخرج».

(3) ميمون بن قيس الأعشى، **ديوان الأعشى الكبير**، تحقيق محمد حسين، (بيروت 1972)، القصيدة 13، ص150 ـ 61. في ما بعد الأعشى، **ديوان**.

المياه. كما أن الموقع الاستراتيجي للمنطقة، التي كان يمر عبرها طريق تجارة اليمن إلى بلاد فارس، كان ميزة أخرى. وكانت أغلبية سكانها من بني حنيفة، بمن في ذلك هوذة بن علي، ملك اليمامة. وقد استقر بنو الأخيضر فيها لاحقًا. وجعلوا عاصمتهم في الخضارم[1].

منطقة الفلج

كانت الفلج تقع إلى الجنوب من منطقة الخضارم. وكان يحدها جبل العارض من الغرب، والربع الخالي من الشرق. وأما اسمها الحديث فهو الأفلاج. وكانت هذه المنطقة تتألف من الواحات العديدة التي اشتهرت بعدد سكانها الكبير ومصادر مياهها الوفيرة مثل ينابيع الرقادي، وأطلس، والزهامي الكبيرة[2]. وتصل الحافة الجنوبية للمنطقة إلى حدود نجران، والتي كان يمر عبرها طريق التجارة من بلاد فارس إلى اليمن. إضافة إلى ذلك، كانت هذه المنطقة مشهورة بمحاصيلها الزراعية مثل النخيل، وبمراكزها التجارية مثل سوق الفلج. وربما كان مركز سوقها العظيم أكبر سوق في منطقة اليمامة. ووفقًا للهمداني، كان هذا السوق محاطًا بخندق وسور بعرض 15 مترًا مع بوابات حديدية خارج السور[3]. أما داخل السوق، فقد كان هناك حوالى 200 بئر للشرب والري، و400 دكان. ويبدو أن سوق الفلج كانت السوق

(1) ابن خميس، **معجم**، تحت كلمة «جو».

(2) ياقوت، **معجم**، الجزء الثالث، ص908.

(3) لغدة، **بلاد**، ص222، 273.

الرئيسية للمنطقة بكاملها على الرغم من حقيقة أن هذه السوق تنتسب بشكل رئيسي إلى بني جعدة.

يشير وصف الهمداني للسوق، ومرافقها وإمكاناتها، إلى أنها لم تكن تستعملها قبيلة واحدة فقط، أو حتى عشيرة وحيدة، ولكن كانت تستعملها منطقة اليمامة بكاملها. كما أن موقع السوق قد جعل من الممكن استقبال وإسكان القوافل التجارية القادمة من اليمن وبلاد فارس. ولهذا الغرض كان هناك أكثر من 20 قلعة، مثل الحيسمية[1] التي كان يدافع عنها مستوطنوها جيدًا، وكانت تشارك في حماية السوق.

منطقة العرض

لا تزال هذه المنطقة تعرف باسمها القديم. وهي تُسمّى أحيانًا باسم عرض شمام. وكانت تقع في الجزء الغربي لمنطقة اليمامة. وقد كانت منطقة جبلية. وكان جبل العارض أحد معالمها الطبوغرافية الرئيسية. وكان الجبل يمتد من الشمال إلى الجنوب مع ممر طبيعي في منتصفه يُسمّى باسم وادي الخنقة. يجري هذا الوادي من الشرق إلى الغرب. وينحدر معظم وديان هذه المنطقة من جبال العارض. وهي تحمل المياه شرقًا إلى منخفض حائل الرملي الكبير. ويُسمّى هذا المنخفض اليوم باسم الهدبا.

وفقًا لسعد بن جنيدل، وهو مؤلف حديث ألّف معجمًا

---

(1) سانت جون فيلبي، «مسارات السيارات والنقوش الوثنية في نجد» المجلة الجغرافية 116 (1950) في مواضع متفرقة.

جغرافيًّا لهذه المنطقة، فإن منطقة العرض يمكن أن تقسم إلى أربعة أقسام[1]:

1 ـ سواد باهلة التي تشكل أغلب الوديان والمستوطنات الشمالية والشرقية والوسطى. وكانت تسكنه قبيلة باهلة. وربما يكون قد أُخذ اسمه من هذه القبيلة، أو ربما كانت القبيلة قد سُمّيت على اسمه[2]. وكان مشهورًا بمناجمه الكبيرة والعديدة. ويبدو أن هذا الجزء قد سُكن في وقت مبكر. وهو مذكور في شعر لبيد بن أبي ربيعة.

2 ـ الجمح الذي كان يشكل القسم الشمالي الغربي من منطقة العرض. ويبدو أن هذا القسم كان أقل أهمية من الناحية الاقتصادية من القسم السابق. وكان سكانه بشكل رئيسي من قبيلة بني نمير. ومن المحتمل أنهم لم يكونوا مستقرين كليًّا.

3 ـ الريب الذي كان يشكل القسم الجنوبي الشرقي من منطقة العرض. واسمه الحديث هو الرين. وكان يسكنه بنو قريش.

4 ـ يذبيل وعماياتان اللذان كانا يقعان في القسم الجنوبي الغربي لمنطقة العرض. وهما معروفان اليوم باسم سبها وحصاة قحطان. وكانت تستوطنهما بشكل رئيسي باهلة، وحريش، وعجلان.

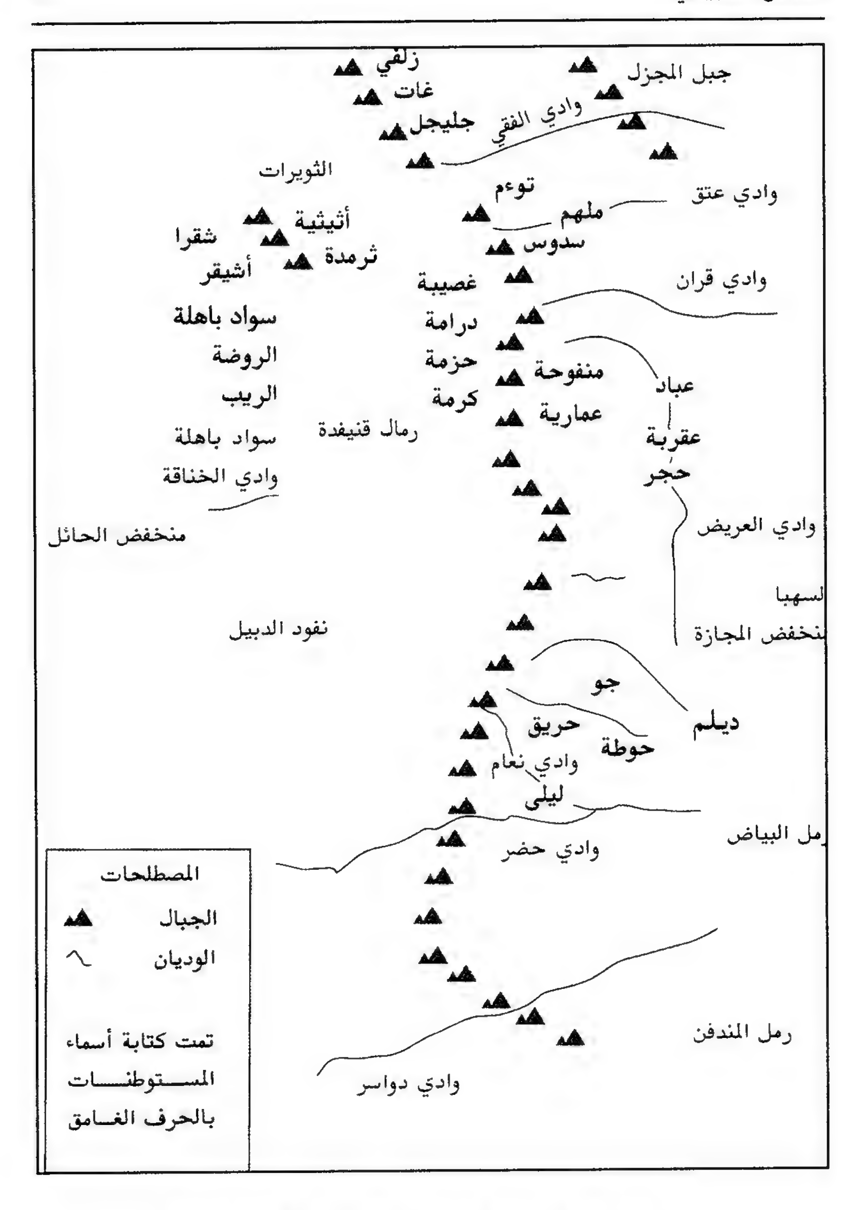
كانت منطقة العرض تتألف من المستوطنات المختلفة

(1) ابن جنيدل، **عالية نجد**، تحت كلمة «القويعية».
(2) الهمداني، **صفة**، ص152.

أمثال: شمام، وتُميرة، وهبود، والكوكبة، والحسان، والخسيراء. وكانت مناجم الذهب والفضة الرئيسية في اليمامة تقع في هذه المنطقة. وكانت المستوطنات المذكورة لها أسماء المناجم نفسها. وكان التعدين والنشاطات الصناعية المتعلقة به هي المهنة الرئيسية للسكان[1].

يبدو واضحًا أن الزراعة كانت غير متطورة وغير كافية للاستهلاك المحلي. وربما كان غياب الزراعة قد ساهم جزئيًّا في عدم تمدن هذه المنطقة. وفي العصر العباسي، عندما كانت المناجم تُستنزف أو تصبح الحالة السياسية غير آمنة، كان فرع من بني نمير يبدأ في شن الغارات على المناطق الأخرى من اليمامة، وبخاصة المشهورة بإنتاجها الزراعي (انظر الخريطة 5).

(1) لغدة، **بلاد**، ص235، الهمداني، **صفة**، ص310، وابن جنيدل، **عالية نجد**، تحت كلمة «القويعية».



الخريطة 5: المستوطنات الرئيسية في اليمامة



- 3 -
النظام الاجتماعي

قبائل اليمامة

توافق المصادر على أن اليمامة ظلّت خالية بعد هزيمة طسم وجديس على يدي حسان بن تبع، ملك اليمن الحميري[1]. وقد سكن اليمامة ثانية بعد ذلك عبيد بن ثعلبة وقبيلته الذين استقروا في حجر[2]، العاصمة السابقة لليمامة. لذلك، يمكن للمرء الاقتراح بأن بني حنيفة عاشوا في اليمامة فترة طويلة كافية لتأسيس المستوطنات ولزراعة الأرض. وبعد إقامة هؤلاء الناس واستقرارهم، بدأ تماسك القبيلة يضعف ببطء. وانخفضت الأخلاقيات القبلية بشكل تدريجي إلى ولاء أضيق نحو العشيرة، وتحولت في ما بعد قاعدة الحياة الاجتماعية من علاقة تأسّست على النسب إلى علاقة سكن مشترك. وحل بين القرى والمواضع شعور إقليمي واعتزاز جماعي محل التعصب والحرب العشائرية اللذين كانا بين القبائل المحيطة بمنطقة اليمامة.

---

(1) ياقوت، **معجم**، الجزء الثاني، ص209، والجزء الرابع، ص424. انظر أيضًا بكري، **معجم**، ص83 **وموسوعة الإسلام**، الطبعة الأولى (لايدن 1934)، تحت كلمة «اليمامة»، تأليف أدولف غروهمان.

(2) ياقوت، **معجم**، الجزء الثاني، ص210.

كان بنو حنيفة، في بادئ الأمر، حزبًا نشيطًا في أيام العرب[1]. وكانوا إلى جانب بكر بن وائل ضد تغلب[2]. لكن بعد ذلك، تبعثرت قبائل بني حنيفة وبكر بن وائل وعنزة في اليمامة والمناطق المحيطة[3]. ويعتقد بعض المؤرخين أن بني حنيفة انحازوا إلى تغلب، الذين كانوا في صراع دامٍ مع بكر بن وائل. وكان منهم ابن الأنباري الذي منح بني حنيفة شرف الهزيمة التي تلقتها تغلب على يدي بكر بن وائل[4]. ويبدو أن حجة ابن الأنباري تستند إلى بعض القصائد التي قادته إلى النتيجة الخاطئة. وعلى أي حال، فإن الأحداث التي تلت معركة قثاء تدعم حقيقة

(1) شارك بنو حنيفة في معركة الظهر التي جرت بين بني حنيفة وبني تميم. ويبدو أن هذه المعركة كانت المعركة الرئيسية الوحيدة التي خاضها بنو حنيفة. وقد نُظمت قصائد من شعراء مختلفين بمن فيهم الأعشى. انظر ياقوت، **معجم**، الجزء الثالث، ص582.

(2) أبو بكر محمد بن دريد، **كتاب الاشتقاق**. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1958)، الجزء الثاني، ص207. في ما بعد ابن دريد، **الاشتقاق**.

(3) بكري، **معجم**، ص85.

(4) ابن الأنباري، **شرح**، ص446. انظر أيضًا أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، الجزء 11 (القاهرة، من الجزء 1 ـ 16 منشورات دار الكتب 1927 ـ 59، ومن 17 ـ 24 منشورات الهيئة المصرية 1970 ـ 74). في ما بعد الأصفهاني، **أغاني**. اعتقد الأصفهاني أن بني حنيفة تحالفوا مع قبيلة تغلب ضد تجمع بكر بن وائل. انظر أيضًا **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية. (لايدن 1971)، تحت كلمة «حنيفة» تأليف م. واط، الذي يعتبر أن بني حنيفة انسحبوا من تجمع بكر بن وائل بعد حرب البسوس وانضموا إلى قبيلة تغلب.

أن بني حنيفة كانوا إلى جانب بكر بن وائل ضد تغلب الذين يبدو أنهم هاجموا أراضي بني حنيفة[1].

على الرغم من أن بني حنيفة كانوا أقوياء، وأغنياء ومنضبطين جيدًا، فقد أصبحوا بعد هزيمة تغلب مشاركين غير نشيطين في نزاعات ما بين القبائل. وقد أرادوا المحافظة على درجة من الاستقرار الاجتماعي والسياسي في مستوطناتهم الزراعية. وعلى سبيل المثال، لم يشارك بنو حنيفة في الحزب الذي شُكّل بين الأحلاف، داخل الاتحاد السياسي قبل الإسلام (حلف اللهازم)، والذي أُقيم بين بكر بن وائل والقبائل الأخرى ذات الصلة. ويخبرنا المؤرخون أن بني حنيفة كانوا أقوياء بما يكفي لتشكيل حزب منفرد وحدهم. وفي الحقيقة، فإن ازدهار بني حنيفة جعل منهم هدفًا لهجمات مختلفة قامت بها القبائل المحيطة باليمامة. لكن هذه الهجمات كانت تُصد بسهولة لوجود دفاع قوي، ومستوى قتالي جيد، وتصميم لدى بني حنيفة على حماية مستوطناتهم وقاعدتهم الاقتصادية.

لقد كان بنو حنيفة كثيري العدد جدًّا بحيث اعتبر الجاحظ أنهم قبيلة كبيرة[2]. ويجب عدم نسيان موقعهم الاستراتيجي الذي

---

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، (بيروت، دار الثقافة 1964)، الجزء الأول، ص925. في ما بعد ابن قتيبة، **الشعر**.

(2) الجاحظ، عمر بن بحر، **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1968)، الجزء الرابع، ص380. في ما بعد الجاحظ، **الحيوان**. قيل إن بني حنيفة انتقلوا من الحجاز إلى اليمامة بعد =

منحهم موضعًا طبيعيًّا حصينًا (قلاع قوية، الكثير من الطعام والماء وطرق التجارة التي كانت تحت سيطرتهم). ويناقش بعض الكتاب بأن حلف اللهازم كان بين البدو فقط. ولأن بني حنيفة كانوا قبيلة مستقرة، فإنهم لم يستطيعوا المشاركة فيه[1].

عشية الإسلام، كان وسط الجزيرة العربية تحت سيطرة تجمع عشائري كبير يدعى بكر بن وائل[2]. وقد تضمن هذا التجمع عدة قبائل منفصلة، كان أبرزها كما جاء في المصادر: بنو شيبان، وبنو عجل، وبنو قيس، وبنو ثعلبة، وبنو ذهل، وبنو تيم اللات، وبنو يشكر، وبنو حنيفة. وكان عدد كبير من الأنساب

= زوال حضارة أقدم هناك. وعلى أي حال، يعتقد م. واط أن انفصال بني حنيفة عن بقية قبيلة بكر بن وائل قد حدث قرب نهاية حرب البسوس. انظر **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية (لايدن 1971)، تحت كلمة «حنيفة» تأليف م. واط.

(1) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق أنتوني أشلي بيفان، (لايدن 1905)، ص728. في ما بعد أبو عبيدة، **النقائض**.

(2) ف. ماكغرو دونر، قبائل بكر بن وائل والسياسة في شمال شرقي جزيرة العرب عشية الإسلام؛ Studia Islamica, LI، (1980)، ص25. في ما بعد دونر، «بكر» .Studia Islamica LI على المرء أن يدرك هنا أهمية شعار **أهل اليمامة**، الذي يتكرر كثيرًا في المصادر المبكرة. يمكن أن يوحي بحقيقة أن التضامن كان يستند إلى الأرض (المنطقة بدلًا من القبيلة). انظر الفقيه، **مختصر**، ص29. هذا الرأي، على أي حال، على تناقض حاد مع رأي روي متحدة الذي يعتقد أن العرب، خلافًا للفرس، قد استندوا في تضامنهم إلى القبيلة، ولم يكن لديهم أي مشاعر نحو الأرض أو المنطقة. انظر روى متحدة، مصدر سابق.

المنفصلة قد وجد ضمن كل من هذه القبائل. واستنتج دونر (Doner) أن تجمع بكر بن وائل تضمن كلًا من البدو والحضر، وأثار مسألة حاسمة حول مستوى التعريف في هذا التسلسل العشائري الذي يتطابق مع التماسك الجماعي المهم. وللإجابة عن مثل هذا السؤال، يجب تذكر أن التجمع العشائري الذي يشير إليه دونر لم تكن له هوية مشتركة. وفي الحقيقة، كانت بكر بن وائل اتحادًا كبيرًا إلى درجة أنها تضمنت أكثر من قبيلة واحدة. وكان بعضها مستقرًّا، بينما كان بعضها الآخر بدويًّا. وعندما طلبت بكر ابن وائل الدعم من أقربائها بالدم لمحاربة تغلب، لم يهب لمساعدتها سوى القليل منهم فقط. ومن الناحية الاجتماعية تضم بكر بن وائل عنصرين على الأقل: القبائل المستقرة (مثال على ذلك: بنو حنيفة) والبدو (مثال على ذلك: بنو شيبان).

حوالى عام 630 ميلادي كانت قد نمت أهمية مثل هذه التجمعات ما بين العشائرية. ومع التهديد الإسلامي سعت بعض القبائل، مثل بني حنيفة، إلى تجديد التجمع السابق، وذلك في حلف اللهازم[1].

لقد أخفق بنو حنيفة في تجديد الحلف أو في تأسيس حلف

(1) كان حلف اللهازم تجمعًا قبل الإسلام. وكان برئاسة بجير بن بجير العجلي. انظر محمود شكري الألوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجت الأثري (القاهرة 1342 هجري)، الجزء الثاني، ص69. في ما بعد الألوسي، **بلوغ**.

جديد لسببين على الأقل. أولًا، كانت أغلبية القبائل المحيطة بهم قد أخذت جانب المسلمين، وثانيًا، كان العديد من الأعضاء المحتملين الآخرين في الحلف، مثل هوذة بن علي، ملك اليمامة، متحالفين مع بلاد فارس. ويبدو أن بلاد فارس عارضت أي محاولة لتوحيد القبائل العربية، لكنها في الوقت نفسه لم تتوقع التهديد الإسلامي، أو ربما قلّلت من حجمه.

العلاقة بين قبائل اليمامة

في أي دراسة للعلاقات بين قبائل اليمامة، يجب التفكير بتميم أولًا. فقد تبعثرت في جميع أنحاء نجد واليمامة والبحرين. ويبدو أن تميمًا كانت أكبر قبيلة في الجزء المركزي من شبه الجزيرة العربية عند مجيء الإسلام[1]. وفي الحقيقة إن كل عشيرة من هذه القبيلة يمكن أن تشكّل قبيلة بحد ذاتها تقريبًا[2]. ومع العودة إلى اليمامة، يمكن للمرء أن يقبل، مع بعض التحفظ، الرأي القائل إن بني تميم استقروا هناك بعد حروب الردة عندما كانت بعض القرى إما دُمّرت في القتال، أو أنها لم تدخل في معاهدة السلام مع المسلمين، وجرى إخلاؤها نتيجة ذلك. وهكذا

(1) بكري، **معجم**، الجزء الأول، ص88.

(2) أبو عبيدة، **النقائض**، الجزء الأول، ص66؛ يوليوس فلهاوزن، Skizzen und Vorarbeiten، (برلين 1884 ـ 99)، الجزء الخامس، ص12، وإلياس شوفاني، **الردة والغزو الإسلامي لجزيرة العرب**، (تورنتو 1972)، ص34. في ما بعد شوفاني، **الردة**. انظر أيضًا دونر، «بكر» Studia Islamica LI، ص25.

كانت الحالة مثالية بالنسبة إلى أفراد من تميم كي يعودوا ويستقروا ثانية في القرى والمستوطنات الخالية[1].

على الرغم من أن الصراع بين بني حنيفة وتميم كان سببه جزئيًّا الازدهار الذي تمتع به بنو حنيفة، فإنه يمكن النظر إليه أيضًا أنه صراع بين السكان المستقرين والبدو. فقد كان أغلب القرى والمستوطنات في اليمامة تنتمي إلى قبيلة بني حنيفة. وهذا لا يعتبر، على أي حال، دليلًا كافيًّا لإقناعنا بأن تميمًا لم تقم في اليمامة. لقد كانت تميم في اليمامة وحولها سواء قبل الإسلام أو بعده. كما أن بعض أهل تميم قاتلوا إلى جانب بني حنيفة خلال حرب الردة. وقد نُقل أن ضبة (عشيرة من تميم) كانت تمتلك وادي سالي[2].

الخريطة السكانية

من المهم إدراك أن الخريطة السكانية لمنطقة اليمامة قد تغيرت بعد هزيمة مسيلمة على يد المسلمين. ويمكن ملاحظة التغيير بمقارنة فترة ما قبل حرب الردة مع الفترة التي تلتها. لقد كانت الحرب، التي حدثت خلال خلافة أبي بكر، نقطة تحول. فقبل

(1) لغدة، **بلاد**، ص305؛ الهمداني، **صفة**، ص306. للمزيد من التفاصيل حول بني تميم في اليمامة انظر **موسوعة الإسلام**، الطبعة الأولى (لايدن 1934)، تحت كلمة «تميم» تأليف ليفي ديلا فيدا، وجواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بيروت، دار العلم للملايين 1968)، الجزء الخامس، ص405. في ما بعد جواد علي، **مفصل**. يعتقد جواد علي أن بني تميم استقروا في اليمامة قرب ظهور الإسلام.

(2) لغدة، **بلاد**، ص303، والهمداني، **صفة**، ص280.

الحرب، كانت المنطقة غنية ومزدهرة ويسكنها عدد كبير من الناس. وقد استمتعت بهذا الازدهار أربع قبائل على الأقل - بنو حنيفة، وتميم، وبعض العشائر من ربيعة، وعنزة. وكان بنو حنيفة، قبل الحرب، يتمركزون في جبال العارض وعلى امتدادها من قرّان في الشمال إلى بيرك في الجنوب. وعلى أي حال، حدث كثير من التغييرات في اليمامة بعد معركة عقرباء ومعاهدة السلام بين بني حنيفة والجيش الإسلامي. ويمكن تعدادها كما يأتي:

1 - قُتل عدد كبير من بني حنيفة أو أُعدم.

2 - اعتُبر ثلث الجنود والعبيد الأسرى، على الأقل، سجناء حرب، ثم أصبحوا عبيدًا يعملون لدى سادتهم في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وبخاصة في المدينة المنورة. وقد ظلّوا على هذه الحالة حتى خلافة عمر الذي أعلن أن جميع العرب المستعبدين يجب تحريرهم[1].

3 - أُخلي عدد من القرى والمستوطنات التي لم تدخل في معاهدة السلام، أو رفضت الدخول فيها. كما دُمّر بعض القرى التي أبدت مقاومة.

4 - سكن بعض التميميين الذين كانوا مع المسلمين ثانية في القرى الشاغرة أو أتوا إليها، واشتروا من المسلمين الآبار والأرض التي اعتُبرت غنيمة حرب.

نتيجة ذلك، بدأت اليمامة تمر بهبوط حاد في عدد السكان

(1) محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف 1970)، الجزء الثالث، ص341. في ما بعد الطبري، **تاريخ**.

كما أن دورها السياسي في شبه الجزيرة العربية قد ضعف. وفي ما يأتي العشائر الأكثر ديمومة ومساكنها في اليمامة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين[1]:

بنو نمير

يبدو أن فرعين من هذه القبيلة استقرا في اليمامة. كان أحدهما نصف بدوي، وأقام في منطقة العرض. وأقام الفرع الآخر على ما يبدو في أماكن مختلفة من مناطق اليمامة الشمالية لفترة طويلة، وكان قد أصبح مستقرًّا كليًّا، وانشغل غالبًا بالأنشطة الزراعية. وكانت مستوطناته: الحزما، وذهلان، وكرمة، وطبرق، والوشم، وقرقرى، وعكاش، قد أصبحت منتجة. وقد اشترك بنو نمير في مستوطناتهم مع عشائر من قبيلة بني حنيفة.

بكر بن وائل

كان هذا التجمع العشائري الأكبر في اليمامة. وكانت عشائره مبعثرة على نطاق واسع، وامتلكت واحات زراعية كبيرة. وكانت التجمعات الفرعية الأكثر أهمية لبكر بن وائل[2]: (1) بنو حنيفة، الذين أسّسوا أغلب المستوطنات في اليمامة، وربما كانوا أول قبيلة لبكر بن وائل تصل إلى اليمامة. وكانت مستوطنات بني حنيفة تنتشر

(1) جمع عبد الله السيف أسماء القبائل والعشائر التي قيل إنها كانت في اليمامة. هذه القائمة من **كتابه، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العصر الأموي**، (بيروت 1983)، ص227 ـ 40.

(2) للمزيد من المعلومات حول الدور السياسي والاجتماعي لهذا التجمع انظر **موسوعة الإسلام**، الطبعة الأولى، (لايدن 1913)، تحت كلمة «بكر بن وائل» تأليف ج. شلايفر، ودونر، «بكر» .Studia Islamica LI

في جميع أنحاء اليمامة وكانت الحكومة في أيديهم (2) قيس بن ثعلبة، الذين كانوا أصغر ربما من بني حنيفة في العدد. وقد استقروا في الخضارم، ونميلة، والمصانع، ومنفوحة. (3) بنو سدوس بن ذهل بن عقبة الذين كانوا على ما يبدو الفرع الأصغر بين تجمع بكر ابن وائل، وانشغلوا غالبًا في نشاطات صناعية وأعمال زراعية بسيطة. ويبدو أنهم كانوا يمتلكون أغلب سدوس. (4) بنو غبر من يشكر الذين كانوا في البلدية وملهم. ويحصل المرء من المصادر على انطباع بأن هذه العشيرة قد استقرت في وقت متأخر عن العشائر الأخرى بين تجمع بكر بن وائل. وعلى أي حال، لقد كانت مستوطناتهم أقل إنتاجًا من الناحية الزراعية.

بنو تميم

كان بنو تميم من بين الأكبر، إن لم يكونوا أكبر القبائل التي استقرت في اليمامة. وكانوا في الأغلب من البدو أو أنصاف البدو[1]، والذين كان لهم مستوطنات في نجد أيضًا. ويبدو أن التميميين المستقرين أو أنصاف البدو فقط كانوا في اليمامة؛ وأما البقية، الذين كانوا من البدو غالبًا، فقد كانوا في نجد. وقد أصبح بنو تميم الأغلبية في اليمامة بعد معركة عقرباء عندما أُخليت عدة مستوطنات من سكانها بني حنيفة، وأعيد إسكانها ببني تميم. كما يحتمل أن يكون الوجود الكبير لبني تميم في اليمامة قد ساعد على

(1) أدت تميم دورًا سياسيًّا مميزًا، ليس في اليمامة فقط، ولكن في شبه الجزيرة كلها. للمزيد من التفاصيل انظر م. كيستر، «مكة المكرمة وتميم»، **مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المشرق**، 8 (1965)، ص113 ـ 63. في ما بعد كيستر، «مكة المكرمة وتميم».

إسراع عملية إعادة توطين أبناء عمومتهم ثانية في القرى الشاغرة.

لقد عُثر على خمس عشائر من تميم في اليمامة[1]: (1) بنو العنبر بن عمر الذين كانوا في الفلج؛ (2) بنو امرئ القيس وبنو مالك الذين كانوا في ثرمدا، ومراة، وأثيفية، وذات غسل، وشقراء، وأشيقر؛ (3) بنو مالك بن مناة الذين كانوا في أثيفية؛ (4) بنو كليب بن يربوع الذين كانوا في أثيفية، وذات غسل ومراة، و(5) بنو ربيعة بن مالك بن زياد بن مناة الذين كانوا مبعثرين في المستوطنات المختلفة.

بنو هزّان

كان بنو هزّان الذين ينتمون إلى أسد بن ربيعة مستقرين كليًّا، وعملوا بشكل رئيسي في المزارع. ويبدو أن القليل من أفراد القبائل الأخرى قد شاركوا في المستوطنات. وعلى أي حال، فإن الارتباط بالأرض واضح وقوي كما أن مستوطناتهم - التي كانت في بيرك، ونعام، والمجازة، وماوان - كانت غنية بالنشاط الزراعي والتجارة[2].

باهلة

أقامت قبيلة باهلة التي تنتمي إلى معن بن أعصر في قرية السواد والحسين. ولم تكن مستوطناتهم منتجة زراعيًّا، لكنهم كانوا أغنياء بالمناجم. وكان أغلب أفراد قبيلة باهلة يعملون في التعدين والنشاطات الصناعية. وثمة خلاف بين المؤرخين حول مصدر اسم

---

(1) شوفاني، **الردة**، ص34.

(2) حمد الجاسر، **مدينة**، ص35.

باهلة ومعناه. ويعتقد ابن دريد، مثلًا، أن باهلة كان اسم ممرضة اعتنت بجد القبيلة فسُمّيت القبيلة على اسمها. كما كانت مكانة باهلة موضع خلاف، ربما بسبب عملهم في التعدين والصناعات المتعلقة به، وهي مهن كان العرب ينظرون إليها بقليل من الاحترام[1].

بنو كلاب

استقر عدد صغير فقط من بني كلاب الذين ينتمون إلى ربيعة في اليمامة. وكانوا مبعثرين أيضًا في أماكن مختلفة بحيث أن تأثيرهم في أمور اليمامة كان طفيفًا.

بنو كعب

كان بنو كعب بن ربيعة بن عمير بن صعصعة عشيرة اشتغلت في مهن مختلفة. وقد عملت بعض عشائرها الثانوية في المزارع، وكرس آخرون وقتهم للعمل في المناجم، وبخاصة الذين أقاموا قرب المناجم مثل بني عقيل. وكانت هذه القبيلة تتألف على الأقل من خمس عشائر ثانوية: (1) بنو قشير الذين كانوا في الفلج، وقران، والشطبتان؛ (2) وجعدة الذين كانوا في الفلج، والشطبتان، والصدارة؛ (3) والحريش الذين كانوا في صداع والشطبتان، وفي مستوطنات صغيرة حول وادي الهدار؛ (4) بنو عقيل الذين كانوا في الفلج، ونعام، وخزية وعقيق التي تنتمي إلى بني عقيل؛ (5) وبنو البكاء الذين كانوا في الفلج مع تميم، وحصلوا في النهاية على حصة الأسد وامتلكوا العديد من القرى في اليمامة[2].

(1) نزار، **اليمامة**، ص94؛ زركلي، **الأعلام**، الجزء الثاني، ص42.

(2) ابن دريد، **الاشتقاق**، الجزء الثاني، ص123.

ناقش بعض المؤرخين المحدثين بأن تميمًا كانت متلهفة للاستقرار في اليمامة والحلول محل بني حنيفة. وكانت تلك الرغبة تواجه بالدفاع القوي والفخر الإقليمي لدى بني حنيفة[1]. ومع ذلك كان ثمة أفراد من بني تميم في اليمامة وحولها ممن عاشوا هناك يمتلكون أو يشاركون في كثير من القرى. وكان بنو تميم يقسمون إلى قسمين: الأول بدوي والآخر مستقر. وقد استقر الأخير في اليمامة، والبحرين، والعراق، ومناطق حضرية أخرى. وكان هؤلاء الناس فلاحين وحرفيين وتجارًا.

يبدو أن أنصاف البدو من بني تميم أو الفلاحين من بينهم فقط حلوا في قرى بني حنيفة الشاغرة لأنه لا توجد دلالات على أن الإنتاج الزراعي قد تناقص بعد حرب الردة. وإذا كان بدو تميم، كما يعتقد البعض، قد استقروا ثانية في قرى اليمامة، فإن محاصيل تلك القرى كان يمكن أن تتأثر من نقص معرفة البدو بالزراعة.

على أي حال، لا تتحدث المصادر عن مثل هذا التناقص في القرن السابع الميلادي. ولذلك قيل إن بني تميم كانوا مبعثرين في منطقة اليمامة بعد حرب الردة. وقد قام نزار الحديثي، وهو مؤرخ معاصر، على نحو تقريبي بجمع أسماء المستوطنات التي قيل إن بني تميم عاودوا استيطانها. ومع قراءة قائمته، يجب تذكر أن بعض المستوطنات كانت تسكنها عشائر مختلفة من بني تميم قبل الإسلام. وعلى أي حال، يمكن حل هذا اللغز بمقارنة قائمة

---

(1) نزار، **اليمامة**، ص66.

نزار مع قائمة المستوطنات التي لم تدخل معاهدة السلام، والتي جمعها بارثولد، العالم الروسي. ويمكن للمرء، بعد القيام بذلك، وبالرجوع إلى المصادر المبكرة، أن يتوصل إلى النتائج الآتية:

1 ـ كان بنو تميم في اليمامة قبل الإسلام. وهناك دليل على أن بعض السكان من بني حنيفة أو من عشائر أخرى قد باعوا أراضيهم وآبارهم. لذلك ربما يكون بنو تميم قد اشتروا الأرض والآبار.

2 ـ من الواضح من قائمة نزار أنه يعتبر أن بني تميم استقروا ثانية في جميع المستوطنات التي لم تدخل في معاهدة السلام. وهذه ليست الحالة بالضرورة.

3 ـ إن سكان بعض المستوطنات المذكورة في المصادر المبكرة لم يكونوا مالكين لها، لكنهم ربما استقروا هناك بعد حرب اليمامة. وبكلمة أخرى، إن السكن في مكان معين لا يعني ملكية ذلك المكان. ويبدو أن هذه هي حال بعض بني تميم الذين جاءوا واستقروا أو أُعيد توطينهم فحسب.

4 ـ إن سيفًا بن عمر (توفي 180/ 796)، وهو ناقل أغلب الروايات المتعلقة بإعادة التوطين، كان من تميم. وربما يكون، لذلك، قد أهمل المالكين من غير تميم، أو ربما يكون قد أدرج أسماء قبيلته فقط لأسباب شخصية[1].

---

(1) س. بروكلمان، Geschichte der Arabischen Litteratur، (لايدن 1943)، الجزء الثالث، ص213. رفض بروكلمان كليًّا وصف سيف بن عمر. على أي حال، ثمة كاتب معاصر، وهو حسين العسكري، قد توصل إلى استنتاج مستقل بأن سيفًا لفق **كتاب الفتوح والردة بكامله**. =

أسماء العشائر	المستوطنة
امرؤ القيس (تميم)	ذات غسل، قصيبة، رمادا، روضة القطا، حازم، مراة
بنو همان (تميم)	وادي عتك، بلدة
بنو العرج	العرض
بنو مالك (تميم)	قرى صغيرة[1]
بنو عنبر	فقي، جلاجل، الغاط، عسيلة زلفي، رغام، ورات
عدي بن الرباب (تميم)	شقرا، أشيقر، حمادة، وادي عتك
بنو التيم (تميم)	ذات نسب، وادي بكر، قصيبة
بنو عجيل[2]	أشيقر، ساجر، رغامة، بكرة
بنو مبثول	ثرمدا

تُظهر القائمة السابقة توزّع أفراد العشائر المختلفة لبني تميم وآخرين بين مستوطنات اليمامة وبلداتها بعد معركة عقرباء[3].

= انظر كتابه: **عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى،** (بغداد 1388)، الطبعة الثالثة، ص68، 241. حول وصف سيف بن عمر في ما يتعلق بجزيرة العرب في الطبري، انظر الدراسة الممتازة التي وضعها مارتن هيندز، «مصادر سيف بن عمر حول جزيرة العرب»، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية،** المجلد الأول القسم الثاني (1979)، ص3 ـ 16. انظر أيضًا محمد حسن الياسين، **نصوص الردة في تاريخ الطبري،** (بيروت 1972).

(1) لغدة، **بلاد،** ص348.

(2) بنو عقيل كان اسم عوف بن عبد المناة. انظر علي بن أحمد بن حزم، **جمهرة أنساب العرب،** تحقيق عبد السلام هارون، (القاهرة 1962)، ص198.

(3) جمع هذه القائمة نزار، **اليمامة،** ص222 ـ 3.



- 4 -
الاقتصاد

مدخل

كان اقتصاد اليمامة يتألف من عناصر متنوعة، ويُعتقد أنه كان مزدهرًا ومهمًّا. وقد حسّن بنو حنيفة زراعتهم وصناعتهم، وربما خلال فترة طويلة. وعلى أي حال، لا تذكر المصادر أي شيء تقريبًا حول كيفية تحقيقهم ذلك.

كانت اليمامة قد أصبحت منطقة منتجة قبل فترة طويلة من وصول بني حنيفة إليها، على الرغم من ادعاء أبي عبيدة بأنهم كانوا أوّل من زرع المنطقة[1]. ويمكن إيجاد دلائل على وجهة

(1) يميل بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن اليمامة كانت مسكونة في العصور القديمة. وناقشوا بأن تعبير دقلة (digla)، الذي يرد ذكره في العهد القديم، كان اسم مكان في اليمامة حيث كان هناك العديد من بساتين النخيل. وقد ذكر ياقوت، على سبيل المثال، في كتابه، **المعجم**، مكانًا في اليمامة يُسمّى دقلة .(Digla) وكان هناك أيضًا نوع من التمر يُسمّى دقلة (digla)، قيل إنه أحد أجود أنواع التمور في اليمامة. وللمزيد من التفاصيل انظر جواد علي، **المفصل**، الجزء 1، ص429.

النظر هذه في الآثار القديمة الموجودة في اليمامة والمناطق المحيطة بها. وهناك أيضًا الكلمة العربية «عادي» التي يتكرر ذكرها، وهي بمعنى قديم جدًّا، أو أثري، أو قد تشير إلى قوم عاد. وتوحي هذه الكلمة بالعمر الكبير جدًّا إلى الآبار والقلاع الباقية[1].

الإنتاج

في المصادر التقليدية، كان يتم تقديم اليمامة في أغلب الأحيان على أنها منطقة منتجة وغنية ورفيعة المستوى. ويقال إن المنازل والحدائق والمناطق المزروعة الكبيرة والمناجم كانت وفيرة. وكان النخيل والحنطة والشعير والفضة والذهب وأنواع متعددة من السلع الأخرى هي المنتجات الأكثر أهمية في اليمامة[2] (انظر الخريطة 6). إن الموقع الاستراتيجي لليمامة قد جعل من الممكن السيطرة على طريق التجارة الرئيسي بين اليمن وبلاد فارس. وقد جلبت أرباح ذلك الطريق الكثير من الثروة. وكانت هذه التجارة هي النشاط الثاني الذي انشغل فيه بنو حنيفة.

ملكية الأرض

كانت الأراضي المزروعة تقع حول جداول المياه

(1) الهمداني، **صفة**، ص305، وياقوت، **معجم**، الجزء 3، ص910.

(2) أبو عبد الله محمد المقدسي، **أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق م. ج. دي جويج، (لايدن 1836 ـ 1906)، ص94. في ما بعد المقدسي، **أحسن**. انظر أيضًا ابن حوقل، **صورة**، ص31.

(الوديان)[1]. ويميل مؤلفو المصادر الجغرافية إلى تحديد نوعين من الأراضي الزراعية التي كانت في اليمامة: المزارع التي كانت في القرى والمستوطنات فقط، والمناطق التي كانت تُزرع بين حين وآخر، والتي كانت بعيدًا عنها في الضواحي. لقد عكس هذا التقسيم على ما يبدو نظام الري ونمط ملكية الأرض اللذين كانا موجودين في ذلك الوقت[2]. وفي حالة المزارع، التي كانت عادة في القرى والمناطق المأهولة والأكثر كثافة فقط، كانت الآبار والينابيع والأحواض الصناعية تشكل نظام الري. وكانت السيطرة تجري في أغلب الأحيان من خلال الملكية الخاصة[3]. وفي حالة المناطق التي كانت تُزرع بين حين وآخر، والتي كانت عادة خارج المناطق الأكثر سكانًا، فقد كان المطر هو المصدر الوحيد للماء وكانت ملكية الأراضي مشتركة[4].

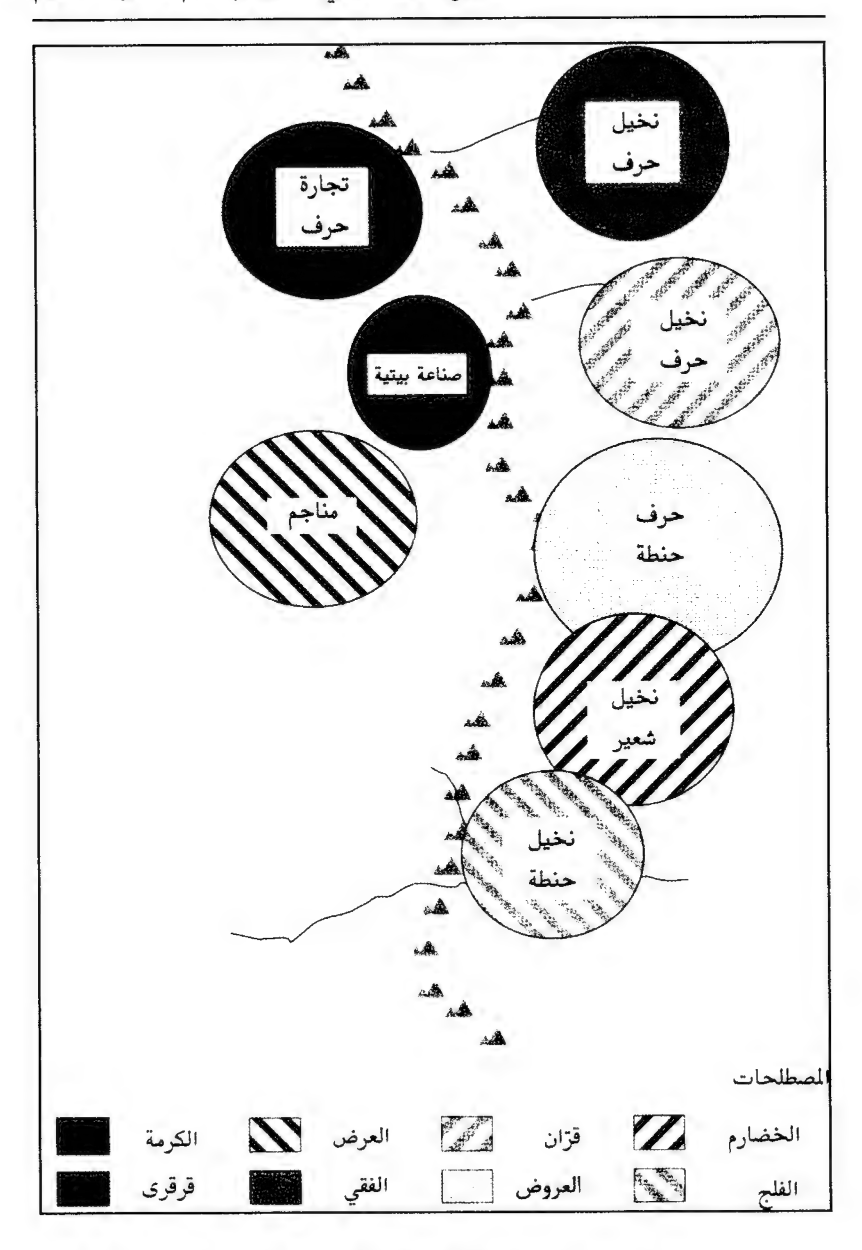
---

(1) لاحظ ناصر خسرو أن المزارعين في اليمامة زرعوا المرتفعات. كان نظام الري متطورًا إلى حد كبير حيث كان يؤتى بالمياه عبر قنوات. انظر ناصر خسرو، **سفر نامة**، تحقيق برفيز ناتيل خانلاري، (طهران «بلا تاريخ»).

(2) الزبيدي، **تاج**، الجزء 10، ص9؛ جواد علي، **المفصل**، الجزء 5، ص77.

(3) الزبيدي، **تاج**، الجزء 2، ص168؛ جواد علي، **المفصل**.

(4) ابن الفقيه، مختصر، ص29، وابن منظور، **لسان**، الجزء 15، ص43.



الخريطة 6: النشاطات الاقتصادية في اليمامة

لقد أدّت ملكية الأرض دورًا رئيسيًّا في النزاع بين بني حنيفة وأنصاف البدو من تميم. وكان بنو حنيفة في أغلب الأحيان هم مالكو المزارع والحدائق والمناطق المزروعة. وكانت أرضهم تنتج النباتات المعمرة الكبيرة ما دام المزارعون المحترفون يعملون فيها. وأما أنصاف البدو فكانوا نادرًا ما يمتلكون أراضٍ زراعية في القرى، لكنهم كانوا، من وقت إلى آخر، يزرعون أو يستأجرون بعض العمال لزراعة أراضٍ خارج المناطق الآهلة بالسكان. ولأن هذا النوع من الزراعة كان يعتمد على المطر وحده وعلى العمل غير المهني، فإن نتيجته لم تكن معمرة ولا مهمة اقتصاديًّا.

لقد عرفت اليمامة مؤسسة الملكية الخاصة. وعلى سبيل المثال، قيل إن مسيلمة كان يمتلك المزارع في الهدار[1] وفي أُباض[2]. وكان يقال إن عقرباء هي من أملاك محمد بن عطا، فارس ربيعة[3]. وكانت المزارع الفردية الخاصة في الأفلاج[4] وفي جو الخضارم حيث قيل إن معاوية استخدم 4000 عبد للعمل في مزارعه[5].

---

(1) ياقوت، **معجم**، الجزء 4، ص258.

(2) المرجع السابق، الجزء 5، ص258.

(3) الحربي، **مناسك**، ص616.

(4) الجاحظ، **الحيوان**، الجزء 4، ص380، ومحمد بن يزيد المبرد، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق محمد أبو الفاضل إبراهيم، (القاهرة 1956)، الجزء 2، ص732. في ما بعد المبرد، **كامل**.

(5) عز الدين علي بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق س. ج. تورنبرغ، (لايدن 1867)، طبعة ثانية، (بيروت 1965)، الجزء 3، ص352. في ما بعد ابن الأثير، **كامل**.

كان الفصل الكبير بين ملكية الأرض وملكية مصادر المياه يؤدي دورًا مهمًّا في المجتمع. فقد كانت ملكية المياه أكثر أهمية على ما يبدو، فمن أجل امتلاك الأرض كان لا بد أن يمتلك الناس أولًا مصدرًا للمياه، ولكن ليس العكس. وقد يسأل المرء عما إذا كانت الملكية العقارية الفردية الصغيرة هي نتيجة تغير في مجتمع اليمامة، أم أنها ببساطة بسبب مصادر المياه المحدودة. ويبدو أن العامل الأخير هو التفسير الأكثر دقة. لقد كانت الأحواض الطبيعية، سيح أو حسي، قليلة في عددها[1].

لقد دعا أحد شعراء القرن السابع بني حنيفة في اليمامة باسم «المزارعين»[2]. وهذا إشارة إيجابية إلى أن أغلبيتهم كانوا مزارعين. كما كان عدد كبير من العبيد والموالي يعملون أيضًا في المزارع[3]. وتأتي المصادر على ذكر الموالي أنهم مالكون

(1) الزبيدي، **تاج**، الجزء 10، ص9.

(2) الجاحظ، **الحيوان**، الجزء 4، ص380، **والبيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1975)، الجزء 3، ص84، في ما بعد **بيان**. انظر أيضًا المبرد، **كامل**، الجزء 2، ص734.

(3) ظل بعض الفرس في اليمامة بعد معركة عقرباء. يذكر الطبري أن فارسيًّا من اليمامة أُرسل مع رسالة إلى هرمز، الملك الفارسي. يُعتقد أن تلك المهمة كانت الاتصال الرسمي الثاني بين الدولة الإسلامية وبلاد فارس. انظر الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص348. انظر أيضًا الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 9، ص261 (1950). إضافة إلى ذلك قيل إن جرير، الشاعر الأموي، وصف أهل اليمامة بأنهم يتألفون من ثلاثة أقسام: 3/1 موالي، و3/1 رجال أحرار والثلث الأخير العبيد والموالي الذين عملوا في المزارع والمناجم مما قد يعطي فكرة عن التنظيم الاجتماعي. انظر المبرد، **كامل**، الجزء 3، ص25.

للأراضي وآخرون مزارعون في الوقت نفسه[1]. وكان هؤلاء الموالي إما يأتي بهم مالكو الأراضي، أو ربما يكونون قد جاءوا بأنفسهم للعمل في اليمامة. وقد كانوا بصورة رئيسية من الفرس[2]. ويبدو أن العمال الفرس تشجعوا للمجيء إلى اليمامة. وربما يدعم هذا الحجة السابقة أن الحضور الفارسي كان قويًّا في اليمامة. فقد كانت هناك أسر فارسية كبيرة استقرت في اليمامة[3]، مثل ابن كرمان وأحمر. وربما يشير الاسم الأول إلى المنطقة الفارسية، كرمان، بينما يصف الآخر لون وجوههم[4].

وقد رُوي أن سوق العبيد في اليمامة كانت نشيطة، وأن عددًا كبيرًا من العبيد كان يعمل في المزارع، وفي المناجم، وفي التجارة، وفي رعي الأغنام وغير ذلك من النشاطات الأخرى. ويعتقد بعض المصادر أن ثلث سكان اليمامة على الأقل كانوا من العبيد. وقد يفكر المرء بالنشاطات الزراعية والصناعية الواسعة والحاجة، بناء على لذلك، إلى قدر كبير من العمل للقيام بمثل هذه النشاطات. والمثال على هذا قد يكون العبيد الأربعة آلاف

(1) لغدة، **بلاد**، ص302، ابن الأثير، **كامل**، الجزء 3، ص352. انظر أيضًا البلاذري، **أنساب**، الجزء 7، ص76، وجواد علي، **المفصل**، الجزء 9، ص657.

(2) جواد علي، **المفصل**، الجزء 9، ص644.

(3) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص348.

(4) البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق م. ج. دي جويج (لايدن 1866)، ص372. في ما بعد البلاذري، **فتوح**. يشير البلاذري إلى أنه كانت هناك هجرة مستمرة من بلاد فارس. كان هؤلاء المهاجرون يسافرون إلى اليمامة عبر البحرين. وكانت الحمير هي وسيلة تنقلهم.

الذين كانوا يعملون في مزارع معاوية في اليمامة[1]. وعلى أي حال، لقد فسر كاتب حديث هذه الظاهرة على نحو يرتبط بثروة أهل اليمامة. ولأن بعض مالكي المزارع الكبيرة أصبحوا تجارًا ورجال أعمال، فقد تركوا مزارعهم في رعاية عبيدهم[2].

المناخ ونظام الري

لا نبتعد عن الموضوع إذا ناقشنا المناخ في اليمامة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين. من الواضح أنه إذا كان الطقس من النوع الذي افترضه بعض المستشرقين، فإنه كان سيغير وجه المنطقة. فقد ناقشت هذه المدرسة الفكرية أن شبه الجزيرة العربية تعرضت لتغيير مناخي منذ بداية القرن الأول الميلادي الذي كان فيه مناخ وسط الجزيرة العربية ماطرًا وأبرد بكثير مما هو عليه اليوم. ويتناقض هذا الرأي، على أي حال، بشكل حاد مع الدليل العلمي الذي قدمته تقنيات الحفر الأعمق واستعمال الكربون ـ 14 لتحديد التاريخ، والذي أظهر أن الفترة ما بين عام 1300 ميلادي وعام 1800 ميلادي كانت أغنى بالكربون ـ 14 بنحو 1 ـ 3 بالمئة، وأنه يبدو أنه قد تزامن مع فترة أبرد وفترة هدوء في نشاط التوهج الشمسي[3]. ويعترف ريكس في كتابه المحفز بأنه ربما كان هناك

(1) المبرد، **كامل**، الجزء 3، ص348.

(2) نزار، «**اليمامة**»، ص83.

(3) جون دايتون، «مشكلة التبدل المناخي في شبه الجزيرة العربية»، **دراسات عربية**، الجزء 5، ص135، الحلقة الدراسية الثالثة والخامسة. في ما بعد دايتون، «**التبدل المناخي**».

تراجع طفيف نحو الجنوب في صحراء ليبيا والجزيرة العربية، وأن منطقة هامش صحراء الشرق الأوسط كانت ماطرة أكثر مما هي عليه اليوم. لكنه، على أي حال، ينكر أنه حدث تغيير مهم في المناخ منذ حوالى 7000 سنة قبل الميلاد[1]. إن ريكس مصيب إلى حدٍّ كبير في أنه لم يحصل تغيير رئيسي في مناخ العالم خلال الـ 9000 سنة الأخيرة. وهكذا فإن مناخ القرن السابع في شبه الجزيرة العربية كان مشابهًا لمناخ الوقت الحاضر.

رغم عدم وجود تفاصيل حول كمية المطر خلال تلك الفترة، فإنه من الواضح عبر تعامل الأدب العربي مع الموضوع أن المطر أدى دورًا أساسيًّا في حياة العرب، فقد كانوا يحتفلون به إلى درجة أن لغتهم تحتوي على أكثر من ثمانين مصطلحًا وتعبيرًا مختلفًا للمطر[2]. إضافة إلى ذلك، فقد ذكر مؤرخا القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ابن بشر وابن عيسى، أنه كان هناك على الأقل 35 سنة من الجفاف بين عامي 1736م وعام 1874م في نجد، ما يعني أن الجفاف كان يحدث كل ست سنوات[3]. كذلك تبين دراسة علمية حديثة لجذع شجرة عمره

(1) المرجع السابق، ص34.

(2) محمد محمدين، **التراث الجغرافي الإسلامي**، (الإسكندرية، مطبعة شريف 1401)، ص255. للمزيد من التفاصيل حول كيف كان العرب ينتظرون أخبار المطر بقلق ويحتفلون به انظر ابن قتيبة أبو عبد الله بن مسلم قتيبة، **كتاب الأنواء** (حيدر آباد 1956)، ص169 ـ 82.

(3) عزت النص، «المزاج الطبيعي لمنطقة نجد»، **نشرة كلية الآداب**، الجزء 1، (جامعة الرياض 1970)، ص1 ـ 14.

100 سنة أن دورة الجفاف تحدث كل سبع سنوات[1]. ولا تمنع هذه الحقائق، رغم ترسيخها الآن بشكل جازم، بعض الكتاب الحديثين من الاعتقاد بأن وديان اليمامة، مثل سهبا، كانت أنهارًا جارية في القرن السابع الميلادي. ولكن، كما قلنا، إن هذا الرأي غير صحيح[2].

لا تحتوي اليمامة على أي بحيرات دائمة كبيرة. وقد تحدث برك عميقة في بعض الأماكن، وتكون في حالات استثنائية جدًّا في مناطق الخضارم والفلج[3]. وكانت توجد آلاف الآبار في أماكن مختلفة في جميع أنحاء اليمامة. وقد ذُكر أن الأعمق بينها ينحدر حوالى 170 مترًا داخل الأرض، ولم تكن الأعماق التي تزيد على 70 مترًا غير شائعة. وكان يمكن أن تحدد الآبار بالحجارة أو تظل من دون تحديد. وأما أماكن الري الأخرى فقد كانت بقعًا في الرمل أو في قيعان الوديان حيث كان يُحتفظ بكمية المياه الطفيفة من طريق الحفر أسفلًا بعمق متر أو أكثر. وكان الرمل العاصف يملأ هذه الفتحات الضحلة بسرعة بحيث يمكن لمهمة العثور عليها أن ترهق حتى مهارات اجتياز الصحراء لدى البدو الذين عاشوا وترعرعوا في القفار.

كانت الطرائق المختلفة للري تستعمل كلما توفرت كمية

(1) ب. و. ألريد، **التدريب على إدارة الرمي: كتيب معد للمملكة العربية السعودية** (روم 1968)، ص39.

(2) ربما ضلل هؤلاء الكتاب وصف لغدة بأنه كان هناك 17 نهرًا جاريًا في منطقة الفلج، انظر لغدة، **بلاد**، ص222.

(3) الهمداني، **صفة**، ص305.

كافية من المياه. فعلى سبيل المثال، كان جعل المكان متدرجًا على شكل مصاطب مستعملًا. وفي بعض أجزاء اليمامة، كان نظام القنوات تحت الأرضية المشابهة للقنوات الإيرانية شائعًا. وفي الحقيقة، كان نظام حصر الفيضانات القصيرة والمفاجئة، ومن ثم توزيع المياه فوق الحقول مستعملًا دائمًا في اليمامة. ويشترك كل من أدامز (R.M.C. Adams) وغوبلوت (H.Goblot) في الرأي القائل إن طرائق وضع جسور فوق العقبات في القنوات، والتي تتطلب معرفة تقنيات التدعيم، قد نجمت عن اندماج المعرفة الفارسية والرومانية في طريقة إدارة مصادر المياه[1].

المحصول الزراعي

إن أشجار النخيل هي المادة الأولى التي قيل إن بني حنيفة زرعوها. ويبدو أن اليمامة كانت تنتج كمية من التمر أكبر مما أنتجته المدينة المنورة والحجاز معًا[2]. وقيل إن اليمامة كانت، كذلك، قد أنتجت أحلى التمور وأغناها وأجودها[3]. وكان هناك

(1) ج. س. ولكنسون، «علاقة الأرض العربية الفارسية في عُمان أواخر العصر الساساني»، **محاضر الحلقة الدراسية السادسة للدراسات العربية**، (لندن 1973)، ص40 ـ 51. كان نظام الفلج معروفًا في عُمان وربما في اليمامة. ربما تكون منطقة الفلج قد أخذت اسمها من مثل هذا النظام. انظر ج. س. ولكنسون، **المياه والمستوطنة العشائرية في جنوب شرقي جزيرة العرب: دراسة الأفلاج العمانية**، (أكسفورد 1977).

(2) ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص91.

(3) المرجع السابق.

كثير من أنواع التمور في اليمامة مثل: عمرة، وجدامية، وصفرقان (تمور سوداء)، والخضري، والهجنة، والبردي، والصفري، والقعقاعي، واللصف، والصفايا، والعُماني، وخرائف ابن مسعود، وهي أسماء أنواع من التمور وهي قليل من كثير[1]. وكانت تمور كبدات الأفضل ليس في اليمامة فقط، ولكن في شبه الجزيرة العربية بكاملها[2]. وقد قدّر الهمداني ستة وعشرين نوعًا من التمور في الفلج بما في ذلك الصفري، وسيد التمور، والسري، واللصف، والفحاحيل، والمجتنى، والشماريخ، والبياض، والسواد، والبرني[3]. ويمكن للمرء من قراءة القائمة أن يميز بسهولة بعض الأسماء غير اليمامية مثل البرني والعُماني. وكان يؤتى بالأول من المدينة، ويعتبر في اليمامة الأفضل لصنع نبيذ النخيل. وكان يؤتى بالثاني من عُمان[4]. ويذكر ناصر خسرو، في وصف زيارته إلى اليمامة، نوعًا غير عادي من التمر يسمى ميدون كانت الحبة منه تزن عشرة دراهم. وكما قيل أيضًا فإن اليمامة أنبتت نوعًا من الأشجار تنتج الفاكهة مرتين في السنة، وهو أمر نادر جدًّا[5]. وقد أنتجت المنطقة نحو 36 نوعًا مختلفًا

(1) المبرد، **كامل**، الجزء 2، ص731.
(2) ياقوت، **معجم**، الجزء 3، ص402.
(3) الهمداني، **صفة**، ص307.
(4) أبو الحسن علي بن سيدة، **المخصص**، (القاهرة 1316 هجري)، الجزء 11، ص133. في ما بعد ابن سيدة، **المخصص**.
(5) عبد العزيز الدوري، «**أنساب وتاريخ الجزيرة**»، مجلة **مجمع القصة العربية**، (1979) الجزءان 5 ـ 6، ص5 ـ 19.

من التمور التي وجدت طريقها إلى العراق وسوريا والبحرين وأماكن أخرى[1]، وبيعت هناك بأسعار عالية جدًّا. وكان سعر بستان النخيل حوالى 300 ألف درهم، وهو سعر باهظ جدًّا[2].

كانت الحبوب، وبخاصة الحنطة والشعير، تنتج أيضًا. وكانت حنطة هذه المنطقة تدعى غالبًا باسم بياض اليمامة[3]. وربما كان هذا الاسم يشير إلى لونها الأبيض. وكانت حبوب اليمامة تباع في مكة، والمدينة، والبصرة. كما كان بدو نجد يستبدلونها بمنتجاتهم. وكان يتم أيضًا إنتاج الثمار مثل رمان سدوس، ومنتجات أخرى، مثل البوتاش أو نبات الصودا (أشنان) من جو، وكذلك السكر[4].

المناجم وصناعة التعدين

اشتهرت اليمامة كثيرًا بمناجمها[5] التي قيل إن كثير من

(1) الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 2، ص107.
(2) المرجع السابق، ص225. الشروط والمتطلبات لنمو النخيل التي اقتبسها أبو وحشية في كتابه موجودة كلها في اليمامة. انظر أبو بكر أحمد ابن وحشية، **كتاب النخل**، تحقيق يحيى السامرائي، **المورد**، 1، 2، (بغداد 1971)، ص67 ـ 8.
(3) ابن الفقيه، **مختصر**، ص29.
(4) الغنيم، **جزيرة**، ص119.
(5) يبدو أن مناجم اليمامة كانت قديمة ومستعملة في العصور السابقة. اقترح بيرترام توماس أن منجم عفير في اليمامة ربما كان المنجم المشهور الذي أتى ذكره في العهد القديم. انظر توماس بيرترام، **فيليكس، الجزيرة العربية** (نيويورك 1932)، ص163 و هـ. =

الناس كانوا يحصلون على دخلهم الرئيسي منها. وبالإضافة إلى ذلك، وجد العمال الأجانب طريقهم إلى اليمامة من خلال صناعة التعدين. وفي عام 128/ 745 أسّس الخليفة الأموي قسمًا في المدينة للإشراف على المناجم وصناعة التعدين[1]. وقد كان عدد المناجم المشهورة في اليمامة، وفقًا لكتاب الأصفهاني **بلاد العرب**، ثلاثين منجمًا[2]. وأكثرها أهمية:

1 ـ ثنية: منجم كبير للذهب قرب جزيلة.

2 ـ العوسجة وذو العسوج: منجما ذهب. وقد ذُكر أن الفضة كانت تُستخرج منهما أيضًا. وكانا يقعان قرب باهلة حيث يوجد النخيل والحدائق[3]. وقيل إن عددًا كبيرًا من رجال قبيلة باهلة كانوا يعملون في هذه المناجم وغيرها. ولعل هذا هو السبب في أن العرب الآخرين كانوا يحتقرونهم.

3 ـ الشبيكة[4].

4 ـ شمام: وكان يقع في سواد باهلة حيث ذُكر أنه جرى التنقيب عن كميات كبيرة من الفضة والنحاس. وكان مئات من

= سانت جون فيلبي، **الربع الخالي** (نيويورك 1933)، ص117. انظر أيضًا محمد الهاشمي، «المناجم في القرون الوسطى وأماكن وجودها في البلاد العربية»، **العرب** 9، (1967)، ص662 ـ 7.

(1) عمر رضا كحالة، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، إعداد أحمد علي، (القاهرة 1964)، ص147.

(2) لغدة، **بلاد**، ص476. جمع هذه القائمة نزار، **اليمامة**، ص89 ـ 94.

(3) الحربي، **مناسك**، ص617.

(4) لغدة، **بلاد**، ص368.

الفرس ومن أفراد قبيلة باهلة يعملون في هذا المنجم. وقد جلب الفرس دينهم معهم، ولذلك عُثر على مكانين لعبادة النار قرب المنجم. وكان سواد باهلة على ما يبدو منطقة مأهولة جيدًا بالسكان سواء في فترة ما قبل الإسلام أو بعد الإسلام[1].

5 ـ حفير: منجم للذهب يقع في منطقة عقيل بن كعب[2].

6 ـ العيصان التابع لبني نمير. وكان يقع قرب حجر. كما ذُكر أن مركزًا تجاريًّا كان هناك أيضًا[3].

7 ـ الكوكبة التابع لبني نمير. وقيل إن كمية كبيرة من الفضة قد استُخرجت من هذا المنجم[4].

8 ـ عقيق: وكان يقع قرب الطريق التجاري بين اليمن والفلج حيث تأسّست إحدى المدن. واشتهر بأنه أكبر منجم للذهب وُجد في شبه الجزيرة العربية على الإطلاق. وقد ذُكر أن الرسول ﷺ امتدح المنجم بسبب كمية الذهب الضخمة التي يقدمها[5]. ويبدو أن بني عقيل كانوا يحتكرون ثروات عقيق ونجاحه. وكان حوالى 200 يهودي يشاركونهم دخلهم العالي من التعدين والتجارة.

9 ـ خزية: منجم للفضة يعود إلى عبادة بن عقيل، وكان يقع قرب سواد باهلة. وذكر الأصمعي أن مدينة كبيرة بُنيت قرب

---

(1) المرجع السابق، ص382، والهمداني، **صفة**، ص310.

(2) الهمداني، **صفة**، ص299، وياقوت، **معجم**، الجزء 3، ص721.

(3) لغدة، **بلاد**، ص370، وياقوت، **معجم**، الجزء 3، ص735.

(4) لغدة، **بلاد**، ص380.

(5) الهمداني، **صفة**، ص299.

المنجم، وأن بلاطًا ومسجدًا بُنيا للحاكم. ويبدو أن المنجم استُنزف في زمن الأصمعي[1].

10 ـ أبرق: منجم مشهور بكميته الضخمة من الذهب، لكنه استُنزف مع حلول القرن الرابع الهجري. وقد ذكر البلاذري وجود منجم في مكان قريب من الصحراء[2].

11 ـ نميرة التابع لبني كلاب قرب اليمامة[3].

12 ـ هبود التابع لبني نمير قرب اليمامة[4].

13 ـ أجاخ حيث كانت توجد قرية صغيرة بالاسم نفسه. وكان المنجم يقع بين منطقتي قيس وتميم. وعلى أي حال، فقد كانت ملكيته وإدارته موضع خلاف[5].

14 ـ كان الأحسان منجمًا للذهب في قرية صغيرة من قرى اليمامة. وكان موقعه على حدود اليمامة والمدينة مما جعل إدارته وملكيته موضوع خلاف[6].

---

(1) لغدة، **بلاد**، ص379 ـ 81، والحربي، **مناسك**، ص619، وياقوت، **معجم**، الجزء 2، ص436.

(2) البلاذري، **أنساب**، الجزء 8، ص15.

(3) لغدة، **بلاد**، ص382.

(4) المرجع السابق، والهمداني، **صفة**، ص147.

(5) بكري، **معجم**، ص365، وياقوت، **معجم**، الجزء 1، ص303، والزبيدي، **تاج**، الجزء 2، ص25.

(6) الحربي، **مناسك**، ص617؛ ولغدة، **بلاد**، ص129؛ والهمداني، **صفة**، ص299؛ وياقوت، **معجم**، الجزء 4، ص572.

15 ـ كان الكحل أو مسحوق العين (antimony) يُستخرج من جبل قرب العلاة في اليمامة[1].

16 ـ كان الملح يُستخرج من رمادة في الوشم.

كان كثير من هذه المناجم قد استُنزف حتى قبل وصول الإسلام. وكانت ملكيتها إما لقبيلة أو لفرد. وكان التعدين والنشاطات الحرفية المتعلقة به هي المهنة الوحيدة لبعض الناس مثل الباهليين الذين كانوا، نتيجة ذلك، يتلقون احترامًا أقل من القبائل. كذلك كان التعدين في اليمامة يجذب عمل الأجانب أيضًا وبعض الأقليات مثل الفرس واليهود[2].

يبدو أن عددًا من الناس أصبحوا محترفين في صناعة التعدين والنشاطات المتعلقة به، وأنه عندما كان المنجم قد استُنزف، غادر هؤلاء المحترفون منطقة اليمامة للبحث عن مناجم أخرى. وقد يوضح هذا الأمر الهجرة الجماعية لبعض عشائر بني حنيفة إلى مناجم وادي العلاقي في مصر[3]. ومن الجدير بالملاحظة، بعد وصول الإسلام، أن كل منجم يعمل في اليمامة كان له حاكم (أمير) ومنبر معترف به رسميًا. وتوحي حقيقة أن المصادر المعاصرة تخصص أميرًا ومنبرًا لكل منجم بأن إدارة

(1) ياقوت، **معجم**، الجزء 3، ص709.

(2) أحمد بن علي يعقوب اليعقوبي، **كتاب البلدان**، تحقيق م. ج. دي جويج (لايدن 1892)، ص234. وفي ما بعد اليعقوبي، **بلدان**.

(3) المرجع السابق، الجزء 2، ص814.

النشاطات الاقتصادية والدينية والحكومية كانت تُنسق مباشرة تحت ظل الدولة الإسلامية[1].

الصناعة

ثمة ثلاثة موارد محتملة جعلت نمو الصناعة في اليمامة ممكنًا: المصادر الطبيعية (مثل المناجم)، الكبيرة والغزيرة، والكلفة المنخفضة، والعمل الاحترافي. وقد كرست قطاعات كبيرة من قبيلة باهلة وقتها لأعمال المناجم والصناعة. وبالتالي فقد تطوّرت الصناعة بصورة عامة والحرف بصورة خاصة، ودخلت عناصر وتقنيات صناعية جديدة. وكانت هناك صناعة للأسلحة تنتج السهام والسيوف ونصال السهام ورؤوس الحراب ونصال السكاكين، بالإضافة إلى المحاريث الحديدية. وكان السكر المصنوع من asclapia procero شائعًا ليس في اليمامة فقط، ولكن في شبه الجزيرة العربية بكاملها[2]. وكانت المراكز الصناعية مثل بلاد وثرمدا، على سبيل المثال لا الحصر، مشهورة بسبب سمعتها الممتازة في صناعة السيوف والمنسوجات على التوالي[3].

كان لدى بني حنيفة كثير من الصناعات المنزلية، لكن احتلت دباغة الجلود من بينها موقعًا ذا أهمية خاصة، وأدت دورًا

(1) انظر مراجعة أطروحة الدكتوراه للدكتور محسن العبيد بقلم محمد الهاشمي، «المناجم في القرون الوسطى وأماكن وجودها في البلاد العربية»، **العرب** 12، (الرياض 1967)، ص662 ـ 7.

(2) ياقوت، **معجم**، الجزء 2، ص9، والغنيم، **جزيرة**، ص244.

(3) بكري، **معجم**، الجزء 1، ص271.

بارزًا في تحسين الحالة الاقتصادية لليمامة. وكان من بين منتجاتهم الصناعية أنابيب جلدية يمكن أن تنقل الماء إلى مسافات بعيدة. وكان الجلد يستعمل لصنع أنواع معينة من الملابس والأحواض والدلاء والعديد من الأشياء الأخرى التي كانت تجري مبادلتها مع أشياء ضرورية أخرى. وكان أهل اليمامة يستعملون جميع أنواع الثمار والحبوب ولحاء النباتات من أجل الدباغة، وتبنوا طرائق مختلفة لهذه الغاية تعتمد على طبيعة المكان والبيئة التي عاشوا فيهما. وقد استعملوا مثلًا؛ mimro nilotica، peganum harmala، calligonum comsoum[1] والصباغ الأحمر والتوابل ولحاء جذور الأشجار والياسمين البري (mimora flava)، والسنط (نبتة حمراء) والعديد من النباتات الأخرى، بعضها من أرضهم، وبعضها الآخر مستورد[2]. وكان نبيذ التمر أيضًا من بين منتجات اليمامة. وكان يُصنع بتقنية بسيطة وذلك بتجويف جذوع النخيل وملئها بالتمور الطازجة المعصورة، أو ملء القشرة الجافة لليقطين[3].

(1) اضطررت لاستعمال الاسماء اللاتينية لأنني لم أجد مرادفًا عربيًّا لها. وعلى كل حال الوصف الذي ورد في المصادر ينطبق على هذه الأسماء اللاتينية.

(2) أحمد خان، «**الصناعة المنزلية في جزيرة العرب قبل الإسلام**»؛ **مجلة مجتمع باكستان التاريخي**، 19 نيسان/ أبريل 1971، ص86. انظر أيضًا أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري، **كتاب النبات**، تحقيق ب. ليوين، (فايسبادن، فرانز شتاينر 1974؛ بيروت، دار القلم)، ص104 ـ 21.

(3) الزبيدي، **تاج**، الجزء 6، ص581.

ووفق التقاليد العربية، كان بقية المجتمع ينظر إلى العمال اليدويين، مثل الفلاحين وعمال المناجم، نظرة احتقار. ويذكر أبو عبيدة، الذي تعكس ملاحظاته موقف العرب نحو العمال اليدويين، باحتقار أنهم كانوا يُسمّون في اليمامة باسم المسيخية (الذين ينحنون)[1].

لقد جعل كل من الصناعة والتعدين من الممكن تشكيل ما قد نسمّيه بالطبقة العاملة في اليمامة خلال القرن السابع[2]. وكانت هذه الطبقة تتكون في بادئ الأمر من العبيد والموالي. وبعد ذلك أضيف العمال الأجانب، وأخيرًا أصبح جزء من قبيلة باهلة يعتبر أنه ينتمي إليها. وقد مارست هذه «الطبقة العاملة» في النهاية دورًا كبيرًا في أحداث القرن السابع الميلادي. وعلى سبيل المثال، فقد ساعدت مسيلمة ضد هجوم المدينة. وكذلك ساندت الخوارج في حركتهم الانفصالية عن الحكومة المركزية خلال الفتنة الثانية[3].

التجارة

أتاح موقع اليمامة الاستراتيجي لها أن تمارس دورًا مهمًا

(1) الأعشى، **ديوان**، ص181، انظر ابن منظور، **لسان**، تحت كلمة «مسخ».

(2) بكر، **معجم**، ص388، 778، ياقوت، **معجم**، الجزء 1، ص703.

(3) ذكر عمر كحالة أن أكثر من 1000 رجل قيل إنهم كانوا يعملون في منجم شمام. لا بد أن هذا العدد الكبير قد شكّل نوعًا من التجمع الاجتماعي. انظر كحالة، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، إعداد أحمد علي، (القاهرة 1964)، ص24.

في التجارة العربية خلال القرن السابع الميلادي. فقد كان طريق التجارة المتجه من الشمال إلى الجنوب (بلاد فارس ـ اليمن) ومن الشرق إلى الغرب (البحرين ـ مكة) يمر عبر اليمامة (انظر الخريطة 7). وإضافة إلى ذلك، كانت اليمامة المكان الوحيد في وسط شبه الجزيرة العربية الذي يحتوي على الكثير من الطعام والماء والمراكز التجارية والتبادلات المالية وأماكن الاستراحة. ويبدو أنه كان على التجار أن يدفعوا أموال الحماية إلى أهل اليمامة كي يعبروا أراضيهم. وفي الحقيقة، كان من عادة هوذة بن علي، ملك اليمامة، تقديم الحراس من أجل أمان الدول الصديقة مثل بلاد فارس. وفي النهاية أصبح مثل هذه الخدمات، والضرائب التي تُفرض لتأمينها، أحد مصادر الدخل الرئيسية في اليمامة.

على الرغم من أن اليمامة كانت تنتج كمية ضخمة من التمر، فإن المحصول لم يكن يلبي حاجات القبائل المجاورة. وهكذا كان على اليمامة أن تستبدل الحنطة بالتمر من البحرين[1]. وقد ذكر أبو الفدا أن قدر حمل جملين من التمر من الحسا والقطيف يعادل حمل جمل واحد من حنطة اليمامة[2]. وعلى أي حال، لا تذكر مصادرنا أي شيء عن كمية التمر المخصصة للتجارة بين اليمامة والبحرين، ولا يزال من الضروري تحديد مقياس تبادل الحنطة والتمر بينهما.

---

(1) بكري، **معجم**، الجزء 3، ص1059.

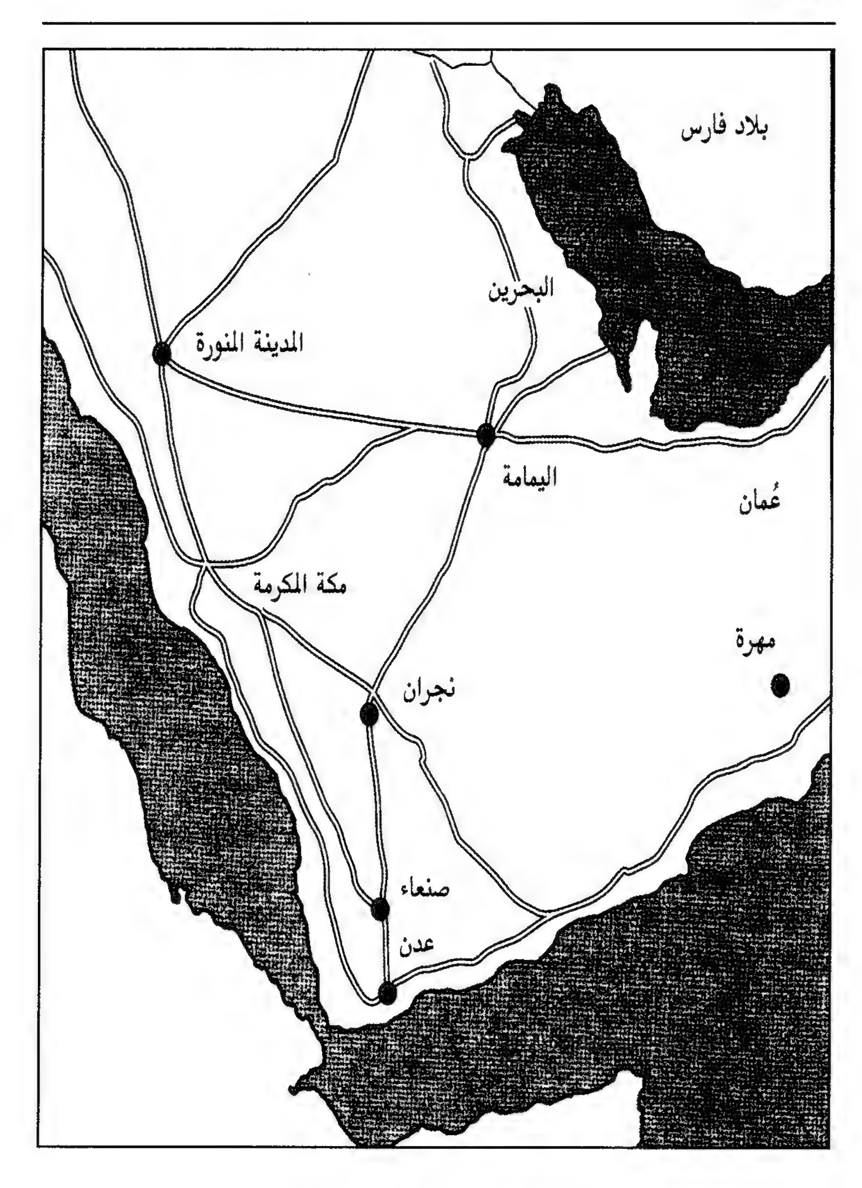
(2) أبو الفدا، **تقويم**، ص99.

كانت اليمامة تصدر حنطتها إلى مكة المكرمة التي أصبحت تعتمد كليًّا على مصدر التموين هذا، وبخاصة بعد معركة بدر عندما سيطر المسلمون على طريق القوافل بين مكة المكرمة وسورية. وكانت حنطة مصر، من ناحية أخرى، غير معروفة في مكة المكرمة حتى زمن الخليفة الراشد الثاني.

لم تساهم اليمامة في تجارة التمر والحنطة فحسب، ولكن في تجارة الثياب أيضًا التي كانت تُستورد من البحرين، ثم يعاد تصديرها إلى مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية. وبشكل مشابه، كانت ثمة تجارة تصدير لأسلحة حجر، والدروع المصفحة والسيوف الهندية والسيوف اليمانية[1].

وربما بلغت تجارة اليمامة المزدهرة ذروتها خلال عهد ملك اليمامة، هوذة بن علي. وحين كانت اليمن تحت السيطرة الفارسية، كانت الروابط التجارية بين اليمن واليمامة وبلاد فارس قوية. ونتيجة ذلك كان طريق القوافل الذي يربط اليمامة منطقة عبور حيث كانت تُخزّن أو تقايض السلع القادمة من اليمن والعراق.

(1) ياقوت، **معجم**، الجزء 3، ص391.



الخريطة 7: طرق التجارة
في القرنين السادس والسابع الميلاديين

يظهر أغلبية طرق التجارة في شبه الجزيرة العربية تعبر اليمامة أو قريبًا منها على الأقل. ولذلك من المحتمل أن الأسواق والمراكز التجارية الأخرى قد تأسّست لإسكان هذه الأنشطة التجارية. ويؤكد نزار الحديثي أن تجار اليمن كانوا يبيعون السلع المستوردة من اليمن، في سوق الفلج، إلى تجار اليمامة الذين كانوا يبيعونها بعد ذلك في الأسواق العراقية[1]. ليس هناك، على أي حال، أي تفسير حول سبب عدم تمكن التجار اليمنيين من بيع سلعهم في الأسواق العراقية بأنفسهم.

ثمة صعوبات في التجارة والسفر داخل شبه الجزيرة العربية بسبب الحروب بين العشائر. ومع ذلك، فقد كان من عادة القبائل خلال الأشهر المقدسة (الحرم) أن تتجه إلى اليمامة لشراء التمر والحنطة وبعض التجهيزات الأخرى. ويذكر أحد المصادر أن رجال القبيلة كانوا يأتون إلى اليمامة ويبقون هناك لفترة طويلة قبل عودتهم إلى ديارهم[2]. وكانت هذه الإقامة، على أي حال، تؤثر في مجتمع اليمامة وتتسبب في ظاهرة جديدة. فقد كان على كل بدوي أن يجد شخصًا من بني حنيفة أو ساكنًا محليًّا من اليمامة يكفله كي يبقى في اليمامة بشكل آمن. وبناء على ذلك، فقد كان الكفيل يعتبر مسؤولًا عن كل عمل غير قانوني قد يرتكبه البدوي.

---

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص288، وابن سيدة، **المخصص**، الجزء 6، ص25، وياقوت، **معجم**، الجزء 2، ص903. انظر أيضًا الإدريسي، **نزهة**، ص30 ـ 55.

(2) أبو الفدا، **تقويم**، الجزء، ص352.

وليس من الواضح كيف كانت تُنفذ عملية الكفالة. فربما كان على البدوي أن يدفع أجرًا أو يقدم هدية إلى كفيله، الساكن المحلي في اليمامة. ونتيجة ذلك، كانت توجد أحيانًا عداوة بين البدو (الذين كانوا يرفضون أن يدفعوا أحيانًا) والسكان المستقرين في اليمامة. وإضافة إلى ذلك، ربما تكون هذه الحالة قد ساهمت في دعم البدو للجيش الإسلامي خلال حرب الردة في عصر مسيلمة.

يبدو أن اليمامة قد استفادت من معاهدة السلام عام 561 الميلادي بين بلاد فارس وبيزنطية. ولا شك في أن التجارة والخدمات المتعلقة بها قد تحسنت خلال الهدنة[1]. وقد شجعت التجارة المزدهرة ونشاطاتها المتعلقة بها مجموعات مختلفة للمشاركة، حتى الذين لم يكن لديهم رأسمال للبدء به، مثل الصافقة الذين كانوا ـ كما وصفهم ياقوت ـ أفرادًا جاءوا إلى الأسواق العامة من دون نقود، لكنهم استطاعوا أن يفوزوا بحصة من المعاملات أو الصفقات التجارية[2]. وعلى الرغم من أن ياقوت لا يقول كيف حدث هذا، فإن المرء يستطيع التخمين بأن هؤلاء الناس قد أتاحوا خدماتهم خلال الصفقة التجارية، أو ربما كانوا مجرد سماسرة أو وسطاء.

بعد الغزو الإسلامي لمكة وبدء العداوات مع بني حنيفة،

---

(1) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 3، ص352.

(2) عرفان كوار (شهيد)، **العرب ومعاهدة السلام عام 561 ميلادي**، Arabica III، (1951)، ص151.

أصبحت تجارة أهل مكة على امتداد الطريق التجاري بين اليمامة ومكة محاصرة بسبب الهجمات الإسلامية على القوافل[1]، ولاحقًا بسبب اعتراض تلك التجارة من قبل حلفاء المسلمين. وعلى سبيل المثال، فقد سد ثمامة بن أثال هذا الطريق عندما أسلم[2]، ومن ثم نجدة بن عامر الحنفي، زعيم خوارج اليمامة، حين اختلف مع عبد الله بن الزبير. وكان الطريق بالإضافة إلى ذلك يتعرض للإعاقة كثيرًا من قطاع الطرق، مثل: جحدر بن مالك العقيلي الذي هدد أمن طرق التجارة لوقت طويل حتى تمكن حاكم اليمامة، إبراهيم بن العربي، من قتله خلال خلافة عبد الملك[3].

(1) المبرد، **كامل**، الجزء 1، ص311.

(2) ابن الفقيه، **مختصر**، ص27 ـ 30.

(3) شوفاني، **الردة**، ص70، حمد الجاسر، «جحدر العقيلي»، **العرب**، 1، 2 (الرياض 1976)، ص73 ـ 4.

ـ 5 ـ
السياسة الإقليمية

مدخل

إن التاريخ يتبع الجغرافيا؛ فقبل أن يؤدي المرء مسرحية، لا بد من وجود خشبة مسرح. ولو أن بني حنيفة لم يحتلوا مكانًا استراتيجيًّا في وسط الجزيرة العربية، لما كانوا قادرين على ممارسة الدور التاريخي الذي قاموا به لاحقًا. وقد بدأ العرب، خلال العصور القديمة المتأخرة، يمارسون دورًا مهمًّا جدًّا في الصراع بين القوتين العظميين، بلاد فارس وبيزنطية. وقد جعل هذا تاريخهم موضع اهتمام تعدى مجرد شبه الجزيرة[1].

لقد حدث تغيير مهم في الحياة السياسية والاجتماعية لليمامة مع وصول الإسلام. وقد اتخذ هذا شكل خلاف متعاقب. وبصورة خاصة، كانت سلسلة الأحداث في بلاد فارس بعد موت الحاكم الساساني كسرى الثاني سنة 628م وانهيار دولة كندة في أوائل القرن السادس الميلادي قد أدت إلى حدوث فراغ في السلطة في وسط شبه الجزيرة وكان من الضروري أن تملأه قوة كبرى.

(1) عرفان كوار، «شهيد»، مصدر سابق ص183.

كانت بلاد فارس المرشح الوحيد لملء الفراغ بسبب مصالحها في شبه الجزيرة العربية. وكان وجودها في اليمن، ودعمها لدولة اللخميين الفاصلة بين الجزيرة العربية والعراق، يعني أن بلاد فارس قد اخترقت أجزاء مختلفة من الطريق العربي بين اليمن وبلاد فارس. ففي الشمال كانت توجد المنطقة الفاصلة، دولة اللخميين المدعومة من الفرس. وإلى الجنوب كانت اليمن قد سقطت في أيدي الفرس، ومع أوائل القرن السابع كان الأبناء من زواج الفارسيين والأمهات العربيات يشكلون الطبقة الحاكمة. وكان التأثير الفارسي واضحًا جدًّا في البحرين إلى الشرق، حيث كان زعماء محليون يحكمون القبائل العربية باسم الملك الفارسي[1]. وهكذا كانت اليمامة هي المنطقة الوحيدة شرقي الحجاز التي ظلت بلاد فارس تبحث عن موطئ قدم فيها حيث يمر طريق التجارة بين بلاد فارس واليمن عبر أراضي بني حنيفة، وحيث استمرت المحاولة الواضحة والجدية لدعم حكومة إقليمية. ولكن لم يكن من المحتمل لبلاد فارس تحت حكم كسرى الثاني أن تسمح لأي محاولة مشابهة لما حدث في كندة.

ومع ذلك كان على بلاد فارس المحافظة على علاقة ما مع قبائل اليمامة. وقد حاولت دولة اللخميين التدخل في شؤون

---

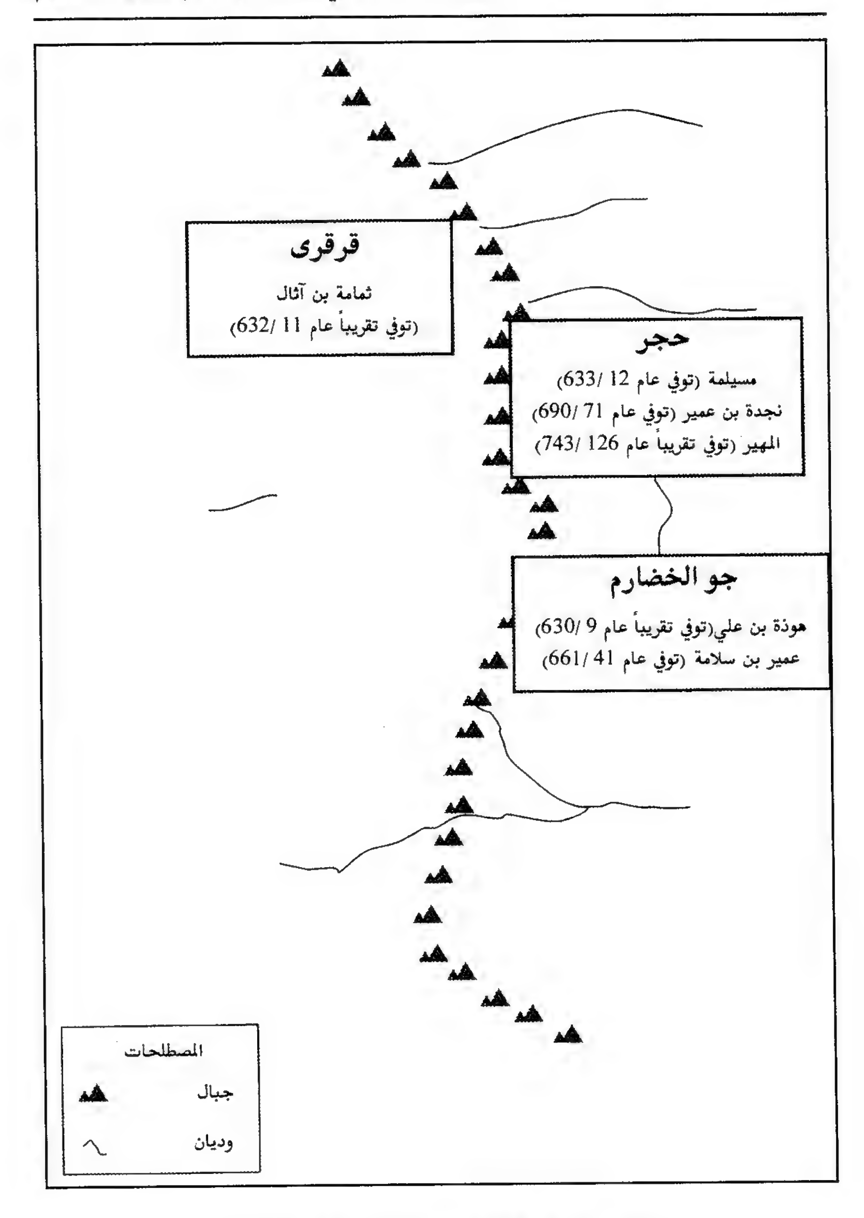
(1) محمد بن حبيب بن حبيب، **المحبر**، (حيدر آباد 1942)، ص256. في ما بعد ابن حبيب، **المحبر**. انظر أيضًا ي. م. لابيدوس، «**الغزو العربي وتشكيل المجتمع الإسلامي**»، **دراسات حول القرن الأول للمجتمع الإسلامي**، إعداد ج. جوينبول، (كاربونديل، إيلينوي، 1982)، ص56 ـ 61.

اليمامة، لكن محاولاتها كانت فاشلة عمومًا[1]. وكانت الحالة العامة والظروف الداخلية في اليمامة مغرية: فالإنتاج الزراعي كان عاليًا، والصناعة والحرف تتحسنان، والتجارة وصلت إلى مستوى عالٍ. وكانت تلك النشاطات تترافق مع حركة ثقافية متقدمة في الشعر. وكانت الحياة مزدهرة عمومًا هناك.

في مثل هذه الظروف، كان بنو حنيفة قادرين على بدء تأسيس قيادتهم وقوتهم في جميع أنحاء منطقة اليمامة. وقد يتوقع المرء أن تكون المحاولة الأولى نحو هذا النوع من السيطرة قد حدثت بعد انهيار دولة كندة. ولكن على الرغم من عدم رغبة كل من القوتين العظميين في السماح بتشكيل أي قوة منافسة كبرى في الجزيرة العربية، فإن بني حنيفة كانوا قادرين على تأسيس نظامهم السياسي الخاص[2]. وكان أهل اليمامة مدركين للأحداث داخل منطقتهم وخارجها وقاموا بمحاولات للمحافظة على حكم سياسي ذاتي، وتأسيس دولة في المنطقة. ويمكن تقسيم هذه المحاولات إلى أربع مراحل. (انظر الخريطة 8).

(1) ج. س. ولكنسون، «علاقة الأرض العربية الفارسية خلال أواخر العصر الساساني في عُمان»، ص41.

(2) هـ سانت جون فيلبي، **خلفية الإسلام**، (الإسكندرية، وايتهيد موريس 1947)، ص188، وديل إيكلمان، «مسيلمة: نظرة مقاربة لعلم الإنسان الاجتماعي خلال القرن السابع في الجزيرة العربية»؛ مجلة **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق**، 10، (لايدن 1967)، ص24.



الخريطة 8: القادة السياسيون في اليمامة

المرحلة الأولى

كانت اليمامة، كما أظهرنا آنفًا، منطقة استيطان، وكان مجتمعها نتيجة ذلك أكثر استقرارًا بكثير من مجتمع جيرانها. ونادرًا ما كانت المصادر تتحدث عن حرب بين عشائر بني حنيفة أو فروعها. وحين يكون ثمة صراع، فهو على الأرجح بين السكان المستوطنين وأنصاف البدو. وإضافة إلى ذلك، لم تكن الحرب في ذلك الوقت تعني عداوة دائمة بالضرورة. فقد كانت بالنسبة إلى البعض أسلوبًا من أساليب الحياة. وكان يمكن أن تحدث الإغارات بين عائلتين من عشيرة واحدة أو بين عشيرتين من قبيلة واحدة[1].

في عام 480 م كان شيخ نبيل اسمه حجر من قبيلة كندة قادرًا، بمساعدة حسان بن تبع، من مملكة حمير، على تأسيس وحدة عشائرية في الباطن، جنوب وادي الرمة في وسط الجزيرة العربية. وحصل تقريبًا على اعتراف القبائل أو دعمها، بما في ذلك المجموعة الرئيسية، بكر بن وائل. وقد خلفه ابنه عمرو. وعلى أي حال، لم يقم عمرو ولا أبوه بمحاولة السيطرة على قبائل الجزيرة العربية بحزم؛ وكانا راضيان بمجرد اعتراف هذه القبائل بأن عليها دفع الضريبة الشاذة المعروفة باسم الأتاوة[2].

(1) لويز سويت، «الغزو على الجمل بين بدو شمال الجزيرة العربية: آلية التكيف البيئي»، **عالم الإنسانيات الأميركي** 67، (تشرين الأول/ نوفمبر 1965)، ص1132 ـ 50.

(2) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 1، ص209، وكوار، شهيد، عرفان، **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية، (لايدن 1979)، تحت كلمة «كندة».

إن التدابير السياسية والاقتصادية غير المركزية التي قام بها حجر وابنه عمرو لم يتبنَّها أمير كندة الثالث، الحارث بن عمرو، الذي يحتمل أن يكون المؤسس الحقيقي لدولة كندة. وقد وصل الحارث إلى السلطة وهو يحمل الطموح الشخصي والتصميم القوي اللازمين لترسيخ سلطته على الجزيرة العربية. كما أنه هاجم مناطق كبيرة واستطاع أخيرًا القضاء على دولة اللخميين التابعة للفرس وإقامة عاصمته في الحيرة. وواجه كذلك الفرس الذين اعترف ملكهم قُباذ بهذه التطورات وشرّف الحارث بلقب «ملك العرب». وقد حكم الحارث لمدة أربعين سنة، ما أتاح له أن يوطد سلطته، ويجعل أبناءه الكثيرين حكامًا على القبائل والمناطق المختلفة في الجزيرة العربية، بمن فيهم ابنه الأصغر، معاوية، الذي أصبح حاكم اليمامة[1].

في عام 529م أُجبر الحارث بن عمرو على مغادرة عاصمته، وقُتل في هجوم مفاجئ شنَّه عليه المنذر الثالث، الوريث الرسمي لدولة اللخميين، الذي استرد الحيرة وأنهى دولة كندة. وربما يكون المنذر الثالث قد تلقى مساعدة من بلاد فارس. وكان على أبناء الحارث ملك كندة، الذين أصبحوا حكامًا لأجزاء مختلفة من الجزيرة العربية، أن يواجهوا مصير أبيهم نفسه، إذ إنه عندما وصلت الأخبار إلى مناطق القبائل قامت بتمرد، وقتلت حكامها المعينين من قبل كندة. كانت أهم سمة لدولة كندة هي أن

(1) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 1، ص209، والأصفهاني، **أغاني**، الجزء 15، ص82.

أغلبية قبائل الجزيرة العربية اعتبرتها دولة عربية، على عكس دولة اللخميين التي اعتُبرت دولة تابعة للفرس[1]. ربما يكون هذا الرأي قد شجع بعض الأفراد الطموحين لتأسيس سلطتهم الخاصة على مناطقهم الخاصة. وقد جرت محاولة من هذا النوع في اليمامة.

بعد انهيار دولة كندة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي، قام أربعة أشخاص بارزون (أشراف) من ثلاث عشائر تابعة لبني حنيفة بعقد مجلس. وكان هؤلاء الزعماء الأربعة يمثلون أغلبية بني حنيفة والعشائر الأقوى في اليمامة. وكانت السلطة السياسية والشؤون الرسمية مشتركة بصورة متساوية بينهم. وكان عليهم أن يؤسسوا نوعًا من التسلسل الهرمي العشائري يتفق مع حاجات أهل اليمامة، للمحافظة على الاستقرار، ولتفادي الاختراق الأجنبي في ضوء التطورات الجديدة في المنطقة.

كان قتادة بن مسلم، وأثال بن حجر بن النعمان بن سلامة، والسمين الحنفي، ومرارة بن سلامة هم الزعماء الأربعة لليمامة[2] الذين أوجدوا للمرة الأولى نظامًا سياسيًّا جديدًا. لكن عهدهم لم يدم طويلًا لأن الصراع بين بني حنيفة وتميم في ذلك الوقت أثر

---

(1) ي. م. لابيدوس، «الغزو العربي وتشكيل المجتمع الإسلامي»، في **دراسات حول القرن الأول للمجتمع الإسلامي**، إعداد ج. جوينبول، (كاربونديل، إيلينوي، 1982)، ص58 ـ 61.

(2) ابن حبيب، **المحبر**، ص250. انظر أيضًا شهاب الدين أحمد العسقلاني بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق محمد البيجاوي، (القاهرة 1970)، الجزء 3 ص342. فيما بعد ابن حجر، **إصابة**.

بصورة عكسية في اقتصاد اليمامة. فبالإضافة إلى ذلك كان هناك تدخل فارسي أدى بالنتيجة إلى انهيار مجلس الزعماء الأربعة.

كانت العلاقات بين بني حنيفة وتميم غير ودية. وكانت الحرب تندلع بينهما في مناسبات مختلفة. وكان السبب وراء هذا الصراع هو أن بني حنيفة كانوا قبيلة مستقرة بينما كانت تميم قبيلة بدوية. وهكذا كان الصراع ذا طابع ثقافي[1]. وعلى أي حال، يناقش شلايفر (Schleifer) بأن العداوة بين بني حنيفة وتميم تعود إلى فترة هجرة معظم عشيرة عمرو (من تميم) إلى أراضي بني حنيفة. ونتيجة ذلك، أصبحت الأقلية (تميم) أغلبية، وكان على القيادة في اليمامة بذلك أن تصبح في يد تميم، وهو ما لم يكن مقبولًا لدى بني حنيفة[2]. وهكذا دخلت القبيلتان في حرب دامت سنوات طويلة. وقد جرت معارك مشهورة مثل ستار وظهر وملهم وخشيبة من أجل حل مسألة القيادة في اليمامة.

كان على اليمامة أن تنتظر حتى تجري معركة نطاع؛ المعركة الكبيرة والنهائية التي نشبت بين بني حنيفة وتميم، من أجل حل مشكلة القيادة. وقد انتصر بنو حنيفة، وبدلت المعركة الصورة السياسية الكاملة لليمامة. فقد انتهى النظام السياسي القديم وظهر زعيم جديد لمختلف عشائر بني حنيفة. وأخيرًا، انتقلت عاصمة

(1) نزار، **اليمامة**، ص71.

(2) **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية (لايدن 1927)، تحت كلمة «حنيفة» تأليف ج. شلايفر.

اليمامة من حجر في منطقة العروض إلى جو، في منطقة الخضارم[1]. وقد سجل شعراء معاصرون قصة معركة نطاع. وكانت المعركة قد بدأت حين هاجم بنو تميم القوافل الفارسية التي أخفق في الدفاع عنها نظام الزعماء الأربعة لهذا أبرز زعيم جديد اسمه هوذة بن علي زعيمًا جديدًا لبني حنيفة وحاميًا لقوافل التجارة. وعلى أي حال، فقد أظهر هوذة تصميمًا وولاء لبلاد فارس. وكانت هذه بداية ظهورة[2].

المرحلة الثانية

نتيجة الحرب التي فرضتها تميم على بني حنيفة، لم يكن المجلس الرباعي الأصلي ناجحًا في المحافظة على السلام والاستقرار السياسي في منطقة اليمامة. ورغم أن بني حنيفة قد هزموا تميمًا في النهاية، إلا أنهم كانوا منهكين عسكريًّا وسياسيًّا. وكانت العاصمة، حجر، قد ضعفت واستنزفت عشائر الزعماء السابقين.

بصورة عامة، كان بنو حنيفة يبحثون عن زعيم قوي، وعشيرة قوية، وعاصمة غنية يمكن الدفاع عنها. وقد حقق هوذة بن علي هذه الحاجات كلها بواسطة عشيرة سحيم من بني حنيفة

---

(1) رأى مؤرخ حديث في هذا التطور الفكرة الحديثة لتشكيل إمارة. وهو يناقش أكثر بأن المحاولة كانت مشابهة للنخبة التي تحكم دولة تدمر. انظر سعد زغلول، «الأنبياء والمتنبئون قبل ظهور الإسلام»، **عالم الفكر**، 12 (الكويت، كانون الثاني وشباط 1982)، ص64 إبراهيم بيضون، «التشكيل العشائري في الحجاز وعلاقاته مع طرق التجارة قبل الإسلام»، **الباحث**، 5، (بيروت 1982).

(2) الأعشى، **ديوان**، ص127.

والبلدة التي فيها مسقط رأسه، جو أو جو الخضرمة. ويبدو أن جو كانت، على عكس حجر، لا تزال لديها الكثير لتقدمه. فقد كانت أرضًا زراعية ذات ميزات جغرافية استراتيجية وموقع حصين. وبدا أن ظهور القيادة الجديدة يرتبط بالحرب في المنطقة.

ظهر هوذة بن علي بصورة زعيم لدولة الشخص الواحد. وربما كان هناك أمران في ذهنه: تجربة أسلافه، والحاجة إلى تولي المسؤولية نفسها من أجل المحافظة على استقرار منطقة اليمامة واستقلالها. وقد أدرك هوذة أن تميمًا لا تزال قريبة، وأن الفرس كانوا في اليمن والبحرين، وأنه كان هناك دين جديد (الإسلام) في الحجاز. كما أدرك أيضًا أن اليمامة قد أصبحت ضعيفة. لذلك فقد حاول أن يسوي انقسامات بني حنيفة، وبخاصة الخلافات بين المستوطنين والبدو. وربما يكون قد أسّس مجلسًا من ممثلين موحدين للعشائر الأخرى من بني حنيفة بمن فيهم رجّال بن عنفوة، ومحكم بن الطفيل (المعروف باسم محكم اليمامة)، ومجاعة بن مرارة، وثمامة بن آثال[1]. وكانت النقاشات في المجلس تتم وفقًا للديمقراطية العشائرية[2].

أما خارجيًّا، فقد بنى هوذة جسرًا قويًّا مع بلاد فارس. وقد منحه كسرى أنوشروان، ملك بلاد فارس، تاجًا وسماه ملك اليمامة[3]. وقد قوّى هذا الاعتراف من موقع هوذة. وفي ما بعد،

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص138.

(2) نزار، **اليمامة**، ص73.

(3) الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص168. قارن هذا اللقب مع الذي مُنح للحارث في كندة.

استفاد هوذة من التأثير الفارسي في شبه الجزيرة العربية الذي استهدف إضعاف عدوان بني تميم ضد اليمامة[1]. وكان بنو تميم، على أي حال، راغبين في الاتحاد مع المعارضين الآخرين مثل قبائل قيس عيلان الذين كانوا يقيمون حول اليمامة، كي يمنعوا النظام الجديد من تأسيس دولة قوية ومستقلة. إضافة إلى ذلك، كان بنو تميم على علاقات طيبة مع كل من الحيرة ومكة المكرمة. لذلك استطاعت تميم أن تستخدم هذه العلاقة من أجل الضغط على هوذة وحكومته[2].

وجري تبادل المبعوثين التجاريين كما كان يحل التجار من اليمن والبحرين في اليمامة. وكان هوذة مشهورًا جدًّا أيضًا في مكة المكرمة والمدينة باعتباره ملك اليمامة، كما تبين من رسالة تلقاها من النبي محمد ﷺ يدعوه فيها إلى الإسلام.

وقف هوذة بحزم ضد اختراق الحيرة لليمامة. وكانت حملة عسكرية قام بها عمرو بن هند، أمير الحيرة، قد هُزمت على يد بني حنيفة. وقد سجل هذا النصر الشاعر المعاصر الأعشى[3]. ولم يدم الاختراق الذي قامت به الحيرة طويلًا لأنها كانت دولة ضعيفة، ولم تستطع تحمل أي نشاطات خارجية.

قد يسأل المرء عما إذا كان هوذة قد حقق استقلال منطقته. وهل كانت حكومته ناجحة في بناء دولة في اليمامة؟ ولماذا كرّم

(1) نزار، **اليمامة**، ص67.

(2) المرجع السابق، ص75.

(3) الأعشى، **ديوان**، ص36.

كسرى هوذة برمز رسمي للحكم؟ هل كان ذلك رمزًا للاختراق الفارسي في اليمامة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل كان هوذة خاضعًا للفرس؟ إن هذه الأسئلة لم تجب عنها المصادر الأساسية[1]. وعلى الرغم من أن بلاد فارس واليمامة حافظتا على علاقات جيدة في نواحٍ مختلفة، فإن هذه العلاقات لم تدم لمدة طويلة جدًّا، وتلاشت بعد موت هوذة مباشرة.

لا شك في أن هوذة بنى دولة اليمامة. ولا شك في أن استقلالها السياسي لم يكن كاملًا جدًّا، ولم يكن يرضي أشراف اليمامة. ويذكر الطبري أن حامية فارسية كان متمركزة في اليمامة حتى موت هوذة. وقد اعتبر الطبري أيضًا أن اليمامة جزء من دائرة النفوذ الفارسية. وبكلماته، كانت اليمامة تحت سيطرة المندوب الفارسي، المنذر بن النعمان، أمير الحيرة[2]. إضافة إلى ذلك، يعتبر بعض الدارسين أن هوذة كان خاضعًا للفرس، وأنه كان شخصيًّا مسؤولًا عن أمان قوافل كسرى. ومع أخذ ندرة المعلومات بعين الاعتبار، لا يستطيع المرء فعلًا أن يقرر إذا ما كان هوذة خاضعًا للفرس أم لا. وعلى أي حال، من الواضح أن الأشخاص البارزين من بني حنيفة كانوا متلهفين لقيام دولة مستقلة، وأنهم كانوا يريدون متابعة تجربة هوذة.

---

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص345.

(2) قيل إن ملكًا فارسيًّا شن هجومًا في شبه الجزيرة العربية كي يؤسس هناك محطة آمنة لحراسة طرق التجارة. إضافة إلى ذلك، أراد كسرى الاجتماع مع عبد الله بن جدعان، وهو شخص رفيع المقام في مكة المكرمة. وكتب كسرى إلى هوذة في اليمامة لترتيب أمر الاجتماع. لكن الاجتماع، على أي حال، لم يحدث. انظر الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص57.

المرحلة الثالثة

جرّبت اليمامة نظمًا سياسية مختلفة، واكتسبت استقرارًا وازدهارًا، بغض النظر عن بعض الوجود الأجنبي فيها. ويبدو أن بني حنيفة كانوا راضين عن حكومة هوذة. وكان الخلاف الوحيد الذي أثارته المعارضة يتعلق بالوجود الفارسي في اليمامة. ولا تتوفر، لسوء الحظ، معلومات كافية لتقرير ما إذا كانت بلاد فارس قد اخترقت البلاد سياسيًّا واقتصاديًّا، أم أنها أعطيت أفضلية فقط. ومع ذلك، فقد كانت المعارضة ضد أي اختراق فارسي وضد وجود أي حامٍ فارسي[1].

خلال حياة هوذة، جرى حدثان مهمان: هزيمة الفرس القاسية على يد البيزنطيين، وانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية. ويبدو أن هوذة لم ينقل ولاءه من الفرس إلى الإسلام بعد هزيمة الفرس. وقد كان هوذة راغبًا في قبول الإسلام لو أن النبي محمدًا ﷺ منحه منصبًا في الحكومة الإسلامية، وأكد له استقلال اليمامة. لكن هوذة مات قبل أن يستطيع الجيش الإسلامي وضع حد لحلمه بمنطقة مستقلة. واستمر الحلم، على أي حال، لدى مسيلمة الذي يبدو أنه استعمل موهبته ومهاراته الدينية للمحافظة على الحكم الذاتي في اليمامة.

في ظل كثير من التناقضات في الحسابات الإسلامية، فليس مفاجئًا على الإطلاق أن يختلف الدارسون الأوروبيون بحدة في

---

(1) نزار، **اليمامة**، ص78، **وموسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية، تحت كلمة «بكر بن وائل»؛ تأليف و. كاسكيل.

تقويمهم لشخص مسيلمة. فقد ظهرت آراء متناقضة كليًّا لدى دوزي (Dozy) وسبرنغر (Sprenger). يعتبر الأول، متبعًا التقليد الإسلامي، أن مسيلمة محتال جلف. أما سبرنغر، من ناحية أخرى، فيعتقد أن أغلب هذه التقاليد ربما تكون غير جديرة بالثقة، وأن كلمات التقاليد الإسلامية حول المتطلبات الأخلاقية الصارمة التي فرضها مسيلمة على أتباعه هي موضع ثقة أكثر بكثير[1]. ونظر مارغوليوث (Margolioth) والسير تشارلز ج. ليال (Charles J. Lyall) إلى القضية بعد ربطها بمسألة الحركة الدينية ضمن قبيلة بني حنيفة، وتجاهلا الطموح السياسي لمسيلمة أو رغبة بني حنيفة في الحصول على منطقة مستقلة[2].

يناقش كايتاني (Caetani) بأنه يحتمل إلى حد كبير أن يكون مسيلمة قد حقق شهرة لأفكاره الدينية خلال حياة هوذة، وأنه وصل إلى السلطة بعد موت هوذة من دون أي نوع من أنواع الثورة باعتباره الفرد الأكثر جدارة وشعبية في اليمامة. لقد كان مسيلمة، على أي حال، على عكس النبي محمد ﷺ، مجرد قائد سياسي في البداية. ويفترض ليال أن مسيلمة لم يتمتع خلال حياة هوذة بشهرة واسعة لأنه لم يأتِ ذكره في شعر الأعشى[3].

مهمًّا يكن موقع مسيلمة خلال عهد هوذة، فقد كان عليه

---

(1) ف. ف. بارثولد، «مسيلمة»، **نشرة أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي**، 19 (لينينغراد، أيلول/ سبتمبر وتشرين الثاني/ نوفمبر 1925)، ص485، وفي ما بعد بارثولد، «مسيلمة».

(2) المرجع السابق، ص485.

(3) المرجع السابق، ص493.

التعامل مع التطورات الجديدة عندما وصل إلى السلطة. لقد رفضته معارضة صغيرة، تمثلت بثمامة بن آثال، زعيم أنصاف بدو بني حنيفة، وربما بأفراد آخرين من عشيرة الملك السابق. وعلى أي حال، لقد هزم مسيلمة ثمامة بسهولة. وأما بالنسبة إلى الآخرين، فلا شك في أن مسيلمة فاز بولائهم، ليس بواسطة الاقتناع الديني، ولكن بوسائل أخرى. ويجب أن نلاحظ هنا أن طبقة النبلاء والأشراف، قد والوا مسيلمة ظاهريًّا، لكنهم استغلوا أول فرصة لخيانته والانتقال إلى جانب عدوه. وقد ظلوا في عملهم هذا ممثلين لعشائرهم. وكان دورهم التفاوض من أجلهم للحصول على أفضل شروط ممكنة من المنتصرين، كما فعل مجاعة بن مرارة. ويبدو أن مسيلمة لم تكن لديه عشيرة قوية، ولا ثروة وافرة تدعمه، لكنه كان متلهفًا لإنقاذ اليمامة من الاختراق الأجنبي، وبخاصة من المدينة وفارس. ولعمل ذلك، كان لا بد أن يستعمل تقنية جديدة اختلفت كثيرًا عن التقنيات التي استخدمها أسلافه - وهي ادعاء النبوة.

لقد قبل جزء من شبه الجزيرة العربية الإسلام، وقيل حتى أن الإسلام دخل اليمامة. على أي حال، بعد وفاة الرسول ﷺ، انتشرت حركة ردة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، وبخاصة في اليمامة، ورُفض الإسلام كليًّا. لذلك كان يجب إعادة اليمامة إلى السيادة الإسلامية. ذلك كان الرأي في المدينة. وكان رأي اليمامة مختلفًا طبعًا. لقد ساد شعور بأنه حتى لو جرى تقبل الإسلام من بعض الناس، فإن اليمامة كان عليها أن تظل حرة من سيطرة الغرباء أو حكمهم، وكان عليها أن تقاتل من أجل استقلالها.

كان مسيلمة يبحث بلهفة عن نموذج زعيم ناجح يمكن أن ينشئ دولة. كان ثمة مثال من هذا النوع هو نبي الإسلام محمد ﷺ الذي أسّس الدولة الإسلامية بنجاح. وكان النبي ﷺ قد دعا مسيلمة إلى الإسلام من دون أن ينجح. لكن الاتصالات بين المدينة واليمامة تطورت بسرعة وبصورة دراماتيكية. ولم يكن ثمة وسيلة لتفادي صدام دموي. وجرى نتيجة ذلك إلحاق اليمامة بالخلافة الإسلامية الجديدة، ودُفنت فكرة الاستقلال جنبًا إلى جنب مع مسيلمة[1].

المرحلة الرابعة

كان يحكم بني حنيفة، الذين هُزموا في معركة عقرباء عام 11/ 633، الحكومة المركزية في المدينة (ولاحقًا في دمشق) حتى عام680م/ 61 هـ عندما حدثت الفتنة الثانية. وقد وجدوا فرصة جديدة حين أصبحت مجموعة من الخوارج، وهي فرقة النجدية من اليمامة، قادرة على تأسيس حكمها الذاتي في اليمامة من عام 61/ 680 إلى عام 73/ 692. وعلى الرغم من أن الأحداث التي جرت في اليمامة خلال تلك الفترة قد دُرست بعناية، فإن النتيجة كما يبدو تظل بعيدة المنال. إن نجدية اليمامة

(1) إن الطريقة التي أدار بها مسيلمة أموره الدينية ـ السياسية لا تدع مجالًا لأي شك في أنه كان يقلد النبي محمد ﷺ. انظر أبو ربيع سليمان بن موسى الكلاعي، **الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا**، تحقيق أ. غنيم (القاهرة 1981)، ص109 ـ 10. في ما بعد الكلاعي، **الاكتفا**.

لم يكن انتماؤهم إلى بني حنيفة فقط، فباعتبار أنهم أول الخوارج فقد كرسوا وقتًا واهتمامًا كبيرًا لمذهبهم، وليس لمشاعرهم الإقليمية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان النجدية قد وسّعوا سيطرتهم إلى البحرين وأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية. ورغم هذا، يبدو أنهم لم يتجنبوا الإقليمية أكثر من أسلافهم المحليين الذين حكموا المنطقة، مع استثناء محتمل لزعيمهم نجدة. لذلك فالمسألة هي، ماذا كانت طبيعة حركة النجديين في اليمامة؟ وهل يجب اعتبار هذه الحركة تمردًا مذهبيًّا ابتعد كثيرًا عن أي شعور بالمنطقة أو عن الارتباط بالقبيلة والأرض؟[1]

أولًا، يبدو أن نجديي اليمامة لم يكونوا مجرد حركة خوارج. وهناك دليل على وجود شعور إقليمي وعشائري قوي، وبخاصة عندما أصبح نجدة بن عمير، من بني حنيفة، زعيمًا للحركة. لذلك فإن الظروف السياسية في اليمامة عشية الفتنة الثانية لم تكن واضحة. وربما كان بنو حنيفة غير مرتاحين للحاكم الأموي، الذي تأثر على ما يبدو من غياب حكومة مركزية ومن الضعف الناجم عن التمرد المتنامي لعبد الله بن الزبير في مكة المكرمة. وكان العمل الجدي الأول الذي قام به الخوارج قبل الاستيلاء على السلطة في اليمامة هو مشاركتهم في الدفاع عن مكة المكرمة ضد حصار الجيش الأموي. وبعد انتهاء الحصار،

---

(1) يناقش ولهاوزن بأن النجدية قد برزت من الإسلام وحده، وهذا صحيح بشكل عام، ولكن يمكن إظهار أن نجدة كان يحمل إلى حد ما مشاعر إقليمية.

كان على الخوارج، بمن فيهم الزعماء البارزين نجدة بن عمير، وأبو طالوت، وأبو فديك، وابن الأسود، أن يتركوا المشهد بسبب النزاع السياسي بينهم وبين عبد الله بن الزبير. لذلك ذهبوا إلى اليمامة واحتلوها رسميًّا[1].

لم تكن مجموعات الخوارج هذه قد أصبحت نجدية. وكان نجدة بن عمير، مؤسس الحركة النجدية، مع الخارجي الشهير نافع بن الأزرق الذي قاد أغلبية الخوارج. وغادر كلاهما إلى البصرة. وحين أصبحا هناك، ظل نجدة بن عمير وقسم من الخوارج بعيدين عن أغلبية الخوارج الذين يرأسهم نافع بن الأزرق. وشدّد نافع على فكرة أن المسلم الحقيقي يجب ألا يبقى مع المشركين (غير الخوارج)، بل يجب أن يترك جماعته كليًّا، ويمارس مبدأ الاستعراض (القتل العشوائي لكل مسلم غير خارجي يصادفونه). وعلى أي حال، سرعان ما غادر نجدة، برفقة بعض زملائه، إلى اليمامة للانضمام إلى إخوته هناك[2].

عندما احتل الخوارج اليمامة أولًا، اختاروا أبا طالوت

---

(1) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 4، ص165؛ والطبري، **تاريخ**، الجزء 5، ص566، والبلاذري، **أنساب**، الجزء 4، القسم أ، إعداد ماكس شلوسينغر (القدس، مطبعة ماجين، الجامعة العبرية 1971)، ص28.

(2) عبد القادر بن طاهر البغدادي، **الفَرْق بين الفِرَق**، تحقيق محمد عبد الحميد، (القاهرة 1964)، ص87. في ما بعد البغدادي، **فرق**. انظر أيضًا ج. ولهاوزن، **الفئة الدينية ـ السياسية في أوائل الإسلام**، ترجمة ر. س. أوستل وغيره (أمستردام 1975)، ص461. في ما بعد ولهاوزن، **الدينية ـ السياسية**.

زعيمًا مؤقتًا حتى يمكن العثور على زعيم دائم وأفضل منه. وكان أحد أعمال أبي طالوت الأولى هو مصادرة أملاك معاوية، الخليفة الأموي، التي كانت في منطقة الخضارم. وكان يعمل في هذه الأملاك نحو 4000 عبد. واعتبر أبو طالوت هؤلاء العبيد غنيمة ووزعهم على أتباعه من الخوارج.

وعندما ظهر نجدة في منطقة الخضارم، قوبل بالترحيب. ومع حلول عام 66/ 685 كان قد تلقى قسم الولاء بصفته خليفة. وكما أشير سابقًا، استند نجدة في حكم اليمامة الذاتي إلى مذهب الخوارج، وربما إلى الشعور الإقليمي والعشائري في الوقت نفسه. وانسجامًا مع هذه المشاعر، قام نجدة بتغيير السياسة المتعلقة بأملاك الخضارم، وسمح للعبيد بترك مالكيهم الجدد من الخوارج والعودة إلى العمل في الأراضي. وكان هذا يعني أن محصولهم الزراعي سيذهب إلى مالكي هذه الأراضي فقط، وكان هؤلاء المالكون في الأغلب من بني حنيفة. وقد كان الناس من غير بني حنيفة يعتبرون هذا الانقلاب إساءة موجهة ضد حركة الخوارج[1].

لذلك، عندما رحب بنو حنيفة بنجدة وحكومته واعتنق المذهب عدد كبير منهم، فمن المحتمل أن عملهم لم يكن بدافع الشعور الديني وحده، ولكن أيضًا نتيجة الرغبة في تقرير المصير الإقليمي. ويأتي دعم وجهة النظر هذه من البلاذري، الذي يشير إلى أن بني حنيفة لم يكونوا متحمسين جدًّا لمذهب النجدية،

(1) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 3، ص352.

لكنهم اعتنقوه ما دام يخدم أهدافهم. ولذلك عندما نقل نجدة قاعدة حكومته من اليمامة إلى البحرين، تناقص عدد النجدية بين بني حنيفة إلى حد كبير[1].

كان حكم النجدية يتسع بشكل تدريجي خارج اليمامة. ووصل إلى البحرين وعُمان واليمن وقسم من الحجاز. وكان كثير من المناصب العليا في الحكومة في يد بني حنيفة، مثل منصب حاكم البحرين والطائف. وقد تناقض هذا التطور، على أي حال، بحدة مع الفكر السياسي لبني حنيفة الذين لم يفكروا قط في توسيع مجالهم السياسي إلى ما بعد منطقة اليمامة، حتى عندما كان فكرهم السياسي، خلال عهد مسيلمة السياسي الديني، يجري التعبير عنه بأسلوب ديني. ورغم هذا وجد نجدة أنه من السهل استعمال تعليماته وطموحات رفاقه من بني حنيفة كي يوسع سلطته على المناطق التي خارج اليمامة. وبدا في أعين الناس متحمسًا دينيًّا وزعيمًا عشائريًّا، وهذا ما قد يفسر موقفه العادي جدًّا نحو كثير من القضايا، بما في ذلك تعيين أقربائه في المناصب الحكومية. لقد كانت هذه الأفعال بالتأكيد مدفوعة بالمشاعر العشائرية والإقليمية التي كانت تتناقض بحدة مع أفكاره الدينية، والتي خلقت في النهاية معارضة قوية ضد نجدة، وأدت إلى سقوطه[2].

(1) البغدادي، **أنساب**، الجزء 3، تحقيق الدوري، (فايسبادن، فرانز شتاينر 1978)، ص352.

(2) المرجع السابق.

وهكذا اغتنم نجدة الفرصة التي سنحت له نتيجة ضعف نظام ابن الزبير. وافتعل عبد الملك الود ووافق على تأييد سيطرة نجدة على منطقة اليمامة إذا قدم نجدة بدوره دعمه له. لكن نجدة رفض الإغراء، وبدلًا من ذلك وسّع سلطته على أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية، جاعلًا القطيف، في البحرين، عاصمته الجديدة في عام 67/ 686 بعد عدة معارك ضد قبيلة عبد القيس.

وفي البحرين، أعاد النجدية تأكيد سلطتهم بالسيطرة على أغلب طرق التجارة الداخلية العربية، وبفرض ضريبة على المناطق الكبيرة، وبإخضاع أجزاء أخرى من غربي الجزيرة العربية. أخاف هذا التطور الزبيريين، ما جعل مصعب بن الزبير، أخا عبد الله وحاكم البصرة، يبعث بجيش من 14000 رجل ضد نجدة بقيادة عبد الله بن عمير الليثي. تعرض هذا الجيش لهزيمة كبرى، وأُرغم على الفرار[1]. وفي نهاية عام 68/ 687، شارك نجدة في موسم الحج مع 1000 رجل وهناك، وفي ظروف ودية، شاركت أربع فرق سياسية مختلفة تحت أربع رايات مختلفة إحداهما للخليفة الأموي في الوقوف على صعيد جبل عرفات. وفي تفسير ج. ولهاوزن (J.Wellhausen) لهذا الحدث، يبدو أن نجدة تخلى عن خطته لمهاجمة المدينة حين سمع بأن علماء المدينة كانوا يتسلحون ضده. فقد كان نجدة، مثل الخوارج الآخرين، يحمل احترامًا وتبجيلًا كبيرًا لعدد من علماء المدينة مثل عبد الله بن

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 6، ص117.

عباس وعبد الله بن عمر، وكان يطلب توجيهاتهم الدينية من حين إلى آخر[1].

لم تكن العلاقة بين اليمامة والحجاز ودية دائمًا، ولكن من الصعب جدًّا تقديم سبب واحد لتفشي العداوة بينهما. لكن تاريخ عداوتهما يعود إلى حروب الردة. ولم يكن عصر نجدة استثنائيًّا. فقد فرض نجدة حظرًا على تجارة المواد الغذائية بين اليمامة والحجاز. وحين بدأ أهل مكة والمدينة يعانون من الحظر، طلبوا وساطة عبد الله بن عباس. ولا تقدم المصادر أي مساعدة لتفسير سبب الحظر، بل تذكر فقط أنه كان بسبب اختلاف وجهات النظر الدينية بين النجدية والزبيريين.

ضعفت قوة النجدية في اليمامة بسبب النزاعات الداخلية، ثم انهارت في النهاية تمامًا. ويذكر البغدادي، في كتاب الفرق، أن أغلبية النجدية كانوا غير مرتاحين للطريقة التي أدار بها نجدة الشؤون الدينية والرسمية، ولذلك انشق الحزب إلى ثلاث فئات. الفئة الأولى، غادرت اليمامة بزعامة عطية بن الأسود إلى البحرين، وعبرت من هناك الخليج إلى بلاد فارس، واستقرت أخيرًا في سجستان. وكانت الفئة الثانية بزعامة أبي فديك. ويبدو

(1) من أجل الموكب السلمي والودي من جبل عرفات انظر وصف شاهد عيان لدى البلاذري، **أنساب**، الجزء 4، القسم أ إعداد م. شلوسينغر، (القدس 1971)، ص28. انظر أيضًا الطبري، **تاريخ**، الجزء 6، ص139. لتفسير مثل هذه الأحداث انظر ولهاوزن، **الدينية ـ السياسية**، ص44.

أن هذه كانت الأكبر والأقوى بين الثلاث. تلقى أبو فديك قسم ولائه عام 71/ 692. ونجحت فئته في إسقاط نجدة وأسره وقتله، ثم مغادرة اليمامة إلى عاصمتها، البحرين. وكانت الفئة الثالثة صغيرة وظلت موالية لنجدة. وربما كان أتباع نجدة الباقون في أغلبيتهم من بين أقرباء أمه من بني تميم في اليمامة[1]. وقد عبّر معارضو نجدة عن معارضتهم بلغة دينية. ووفقًا للبغدادي، كانت حجة المعارضة كالآتي: (1) أن نجدة دفع للجنود الذين قاتلوا في الصحراء مبالغ أكثر مما دفع للذين قاتلوا في البحر؛ (2) أن نجدة أنقذ بصورة محترمة أسيرة هي حفيدة الخليفة عثمان بن عفان من مصير الأسر بناء على طلب من عبد الملك؛ (3) أن نجدة قام بعدة أحكام واجتهادات مستقلة على نحو خاطئ لمصلحة أقربائه؛ (4) أن نجدة ارتكب عملًا شنيعًا آخر بإلغاء عقوبة شاربي الخمر ما دام الشرب لا يشكل عادة؛ و(5) أن نجدة عقد سرًّا اتفاقًا مع عبد الملك[2].

اختبأ نجدة من دون أن يقبل أي عذر أو يعد بالتوبة، لكنه أُسر وذبح عام 72/ 691 في موطنه اليمامة، حيث أخفق أتباعه من بني حنيفة في إنقاذه. ويبدو أن نجدة أصبح مكروهًا بين أتباعه من بني حنيفة، وبخاصة حين بدأ يخصص الكثير من الوقت والاهتمام لمذهبه على حساب منطقته وقومه لسد الثغرة بينه وبين حزب المعارضة، وكذلك حين نقل العاصمة إلى البحرين.

---

(1) البغدادي، **فرق**، ص88 ـ 9.

(2) المرجع السابق.

بعد مقتل نجدة، غادر أبو فديك اليمامة إلى البحرين حيث واجه عام 73/ 692 جيشًا أمويًّا قويًّا بقيادة عمر بن عبيد الله بن معمر. أما أبو فديك فقد قُتل وأُجبر جيشه على الاستسلام. وقد قُتل منهم ستة آلاف وأُسر 8000 رجل. وكانت تلك آخر مرة نشاهد فيها الدولة النجدية في اليمامة والبحرين.

باختصار، يبدو أن بني حنيفة تمتعوا بحكمهم الذاتي، لكنهم خلال السنوات الأخيرة للحكم النجدي لم يكونوا سعداء بوجود الخوارج في بلادهم، ولم يدعموا أي فئة ضد أخرى، ما يفسر بالتأكيد نقل المقر النجدي إلى البحرين. ويروي ابن الأثير أن مزارعي اليمامة فقدوا محاصيلهم نتيجة سوء تصرف النجدية. إضافة إلى ذلك، ذكر البلاذري أن أغلبية موالي اليمامة، الذين دعموا سابقًا بحماس قضية النجدية، انسحبوا من الحزب حين نُقلت قاعدته إلى البحرين، وهكذا فإن الحركة النجدية لم يكن لديها شيء تقدمه إلى بني حنيفة. ونتيجة ذلك، فقدت اليمامة مرة أخرى حكمها الذاتي، وسقطت في أيدي الأمويين[1].

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 6، ص193.

ـ 6 ـ
الدين والسياسة

الدين في اليمامة قبل الإسلام

لا بد أن يكون تفاعل العديد من العناصر الثقافية المتباينة الموجودة في اليمامة خلال القرنين السادس والسابع ـ عناصر مأخوذة من الثقافة العربية ونظام الحكم الفارسي والعادات العربية والأديان المختلفة (مثل التنسك المسيحي) ـ قد خلق شروطًا معقدة جدًّا للحياة. وعلى الرغم من المساحة الصغيرة نسبيًّا التي احتلتها منطقة اليمامة قرب جبال العارض، فإن هذه العناصر جرى التعبير عنها بشكل مختلف في كل من بلدات اليمامة الرئيسية. فقد أحضر التجار الأجانب من اليمن، والعراق، والحجاز، والبحرين، وبلاد فارس، تقاليدهم ولغاتهم واعتقاداتهم المحلية. وساهم هذا في تنوع الحياة الدينية لليمامة خلال القرن السابع، لكنه لم يؤثر في السمات الأخرى للحياة مثل سلامة اللغة العربية، كما يدّعي بعض المؤرخين. وفي الحقيقة، لقد أنجبت اليمامة عدة شعراء عباقرة جدًّا بمن فيهم الأعشى الذي اعتُبرت قصائده من المعلقات[1].

(1) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 3، ص352.

قيل إن قبيلتي طسم وجديس قد عبدتا صنمًا يسمّى **كثرى**. وقد حطمه نهشل بن ربيع بن عرارة دلالة على تحوله إلى دين الإسلام قبل مغادرته إلى المدينة المنورة لمقابلة النبي محمد ﷺ[1]. أما بالنسبة إلى بني حنيفة، فقد قيل إنهم عبدوا صنمًا يسمّى **حيس** كان مصنوعًا من التمر والزبد. وهذه الفكرة غير مقبولة لأن العرب، بصورة عامة، حددوا آلهتهم إما في القوى الخارقة مثل السماء والمطر والنجوم، أو في أشياء صلبة لا يمكن استهلاكها مثل الحجر أو الجبال. لذلك، يمكن للمرء أن يفسر الشعر الذي أشار إلى بني حنيفة أنهم عبدة حيس بأنه شعر للسخرية، نظمه أعداؤهم[2]. على أي حال، إن عبادة صنم مصنوع من الطحين قد يعكس عادة المجتمع الزراعي. وفي أثر مشابه، قيل إن بني حنيفة اعتادوا أن يكوّموا الطين، ويخلطوه بالحليب، ثم يعبدوه[3]. يفسر

---

(1) مسألة نقاء اللغة العربية في اليمامة لا تزال غير محسومة. ربما كان ابن سلام الجمحي (توفي 231/ 845) أول من أثار هذه القضية. في كتابه، **كتاب طبقات فحول الشعراء**، يذكر أن اليمامة كانت مكانًا بلا شعر بارز انظر. **كتاب طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود شاكر (القاهرة 1952)، ص234. في ما بعد الجمحي، **طبقات**. يشير الجاحظ بصورة مدهشة إلى أن بني حنيفة لم يكن لديهم ما يساهمون به في ميدان الشعر. انظر **الحيوان**، ص380. على أي حال، لا يعطي الجمحي، ولا الجاحظ، تفسيرًا لرأيهما. ويبدو أن تفاعل عدة عناصر ثقافية كان مسؤولًا عن إيصال الجمحي والجاحظ إلى استنتاجهما. وعلى الرغم من أن الجمحي ينكر وجود شاعر بارز في اليمامة، فإن أربعة من شعراء ما قبل الإسلام في اليمامة مذكورون في كتابه.

(2) الزبيدي، **تاج**، الجزء 3، ص517، والقزويني، **آثار**، ص90.

(3) مطهر بن طاهر المقدسي، **البدء والتاريخ**، إعداد م. ج. دي جويج =

لويس شيخو هذه القصص عن الأصنام المصنوعة من التمر والزبد (التي يمكن لعابديها أن يأكلوها خلال سنوات المجاعة) على أنها شيء مشابه للعشاء الأخير (Last Supper) المسيحي، أو أنها رمز القرب من الروح القدس[1].

كانت المعتقدات الدينية في اليمامة بالتأكيد متأثرة بمذاهب خارجية مثل المسيحية واليهودية والزرادشتية. كذلك كانت الطوائف الوثنية، في شبه الجزيرة العربية، تتنقل من جزء إلى آخر. وقد يفسر هذا تشابه الاعتقادات في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة، وهو ما دفع بعض المؤرخين إلى ربط المعتقدات الوثنية في اليمامة بجنوب الجزيرة العربية وشرقها[2]. ومثال على ذلك، وفقًا لأدولف غروهمان (Adolf Grohman)، كان تقليد عبادة صنم مصنوع من الطعام، والذي يرمز إلى إله الخصوبة (God of Fertility) معروفًا جيدًا في شرق الجزيرة العربية حوالى عام 3000 قبل الميلاد[3].

كانت المسيحية، وبخاصة الطائفة النسطورية (Nestorian)،

= (لايدن، إ. ج. بريل 1906)، الجزء 4، ص31 ـ 2. في ما بعد، المقدسي، **بدء**. انظر أيضًا جواد علي، **المفصل**، الجزء 6، ص72.

(1) الألوسي، **بلوغ**، الجزء 1، ص345.

(2) لويس شيخو، **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**، (بيروت 1913، 19، 23)، الجزء 1، ص72. في ما بعد شيخو، **النصرانية**.

(3) جواد علي، **المفصل**، ص694. انظر أيضًا أ. س. تريتون، «ملاحظات حول الدين في الجزيرة العربية القديمة»، **موسيون**، 72 (1950) ص191 ـ 5.

قد انتشرت في اليمامة. وهناك عدد كبير من الكلمات المسيحية التي كان يستعملها شعراء ما قبل الإسلام مثل الأعشى. إضافة إلى ذلك، فقد قيل إن هوذة بن علي كان يحتفل بعيد الفصح[1] (Easter). وذُكر أن معبدًا نسطوريًّا كان يوجد في اليمامة يخدمه راهب من قبيلة طي[2]. بالإضافة إلى ذلك يذكر الواقدي أن أركون (Arkon or Monk) الدمشقي (وهو مسيحي كبير من دمشق) كان حاضرًا عندما تلقى ملك اليمامة رسالة النبي محمد ﷺ. وقيل إن أركون كان حزينًا من أجل هوذة لأن الأخير انحدر إلى درجة قبول دعوة النبي إلى الإسلام[3].

وفقًا للويس شيخو، كانت المسيحية واسعة الانتشار في اليمامة أكثر بكثير مما نتخيل الآن. وهو يزعم أن المسيحية قد تأسّست في المنطقة حوالى القرن الرابع الميلادي من قبل عبد يشوع الذي بنى ديرًا، وقام بتعميد أهل اليمامة[4]. يعتقد شيخو

(1) موردتمان ومولر، «Ein Monotheistsche Sabaische Inschrift»؛ Wiener Zeitschrift fur Die Kunde des Morgenlandes، X، (فيينا 1896)، ص287 ـ 8.

(2) الأعشى، **ديوان**، ص161.

(3) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البيجاوي (القاهرة 1960)، الجزء 2، ص776. في ما بعد ابن عبد البر، **استيعاب**. انظر أيضًا عز الدين علي بن محمد بن الأثير، **أسد الغابة في تمييز الصحابة**، إعداد م. صبيح وآخرون (القاهرة 1964)، الجزء 3، ص63. في ما بعد ابن الأثير، **أسد**.

(4) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن القيم الجوزية، **زاد المعاد في** =

أيضًا أن أغلب اليماميين كانوا مسيحيين، وأنهم، لذلك، رفضوا الإسلام وعارضوه بعنف. إضافة إلى ذلك، كان اليماميون، برأي شيخو، قد انحازوا عمدًا إلى جانب مسيلمة الذي عرف كيف يستفيد من هذه الحال، وقام بمبادرة صلح من طريق الزواج من الزعيمة المسيحية، سجاح، النبية المزيفة لقبيلة تميم[1].

وفقًا لبوهل (Buhl)، كان مسيلمة متأثرًا بالمسيحية على نحو واضح، وكان يستعمل مصطلحات وتعبيرات مسيحية في حديثه وفي تعاليمه، بما في ذلك فكرة مملكة السماء. لذلك فإن بوهل يعتبر أن مسيلمة كان زعيمًا مسيحيًا[2].

مع أخذ الروايات عن المسيحية في اليمامة بعين الاعتبار، قد يقبل المرء حقيقة أنه كان يوجد فعلًا بعض المسيحيين هناك، لكنهم لم يكونوا كثيرين بقدر ما يعتقد شيخو، ولا مؤثرين بقدر ما يدّعي بوهل. لقد كانت جميع الأديان والطوائف الوثنية تقريبًا موجودة في اليمامة وذكرها المؤرخون المسلمون. ولكن ما من مؤرخ مسلم يذكر أن مسيلمة كان مسيحيًا. ولا يوجد أي دليل يدعم إدعاءات شيخو أو بوهل. وفي الحقيقة، كان يتم تصوير مسيلمة في المصادر التقليدية أنه وثني اعتنق الإسلام، لكن ارتد لاحقًا. كذلك لا يوجد أي دليل على وجود مجموعة أو جالية

= **هدى خير العباد،** تحقيق طه عبد الرؤوف (القاهرة، مطبعة الحلبي 1965)، الجزء 1، ص31. في ما بعد ابن القيم، **زاد.**

(1) شيخو، **النصرانية،** الجزء 1. ص72.

(2) المرجع السابق.

مسيحية في اليمامة خلال حركة مسيلمة. ولو وجدت، لكان يمكن معاملتها أنها مِن أهل الكتاب لدى المسلمين، على غرار مسيحيي نجران.

رحمن اليمامة

من الحركات الدينية التي عاصرت الإسلام، لكنها ظهرت بشكل مستقل ودخلت لاحقًا في صراع مع المجتمع الإسلامي، تبرز نشاطات شخصين طموحين باعتبارهما الوحيدين اللذين دُعيا باسم «رحمن» في التقليد الإسلامي: مسيلمة **رحمن** اليمامة، والأسود العنسي **رحمن** اليمن. ولا تذكر الأحاديث شيئًا حول أي اتصال بين الاثنين. ويستشهد البخاري، في كتابه **الصحيح**، بقصة منسوبة إلى النبي محمد ﷺ الذي قيل إنه رأى في حلم أنه تلقى سوارين ذهبيين. وقد اعتبرهما في بادئ الأمر ثمينين جدًّا، لكنه اقتنع لاحقًا بأنهما عديما القيمة كليًّا، ونفخ عليهما فتفتتا إلى قطع متناثرة. وقد اعتبر النبي محمد ﷺ أنهما يرمزان إلى مسيلمة والأسود[1]. ويفسر سبرينغر (Sprenger) هذا الحديث النبوي بأنه دليل على أن النبي محمد ﷺ نفسه، في وقت ما من حياته، صدق بعثة كل من «الرحمنين»[2]. وهذا لا يعني شيئًا مطلقًا، باعتبار أن «الرحمنين» كليهما ظهرا في أواخر أيام محمد ﷺ فقط ونشطا بشكل رئيسي بعد وفاته.

---

(1) **موسوعة الإسلام**، الطبعة الأولى تحت كلمة «مسيلمة»، يعتقد واط أن مسيلمة تأثر بالمسيحية. م. واط، **محمد في المدينة**، (أكسفورد، 1951)، ص136.

(2) البخاري، **صحيح**، الجزء 15، ص95.

لتحديد استعمال كلمة **رحمن** في ما يتعلق بمسيلمة، من الضروري تفحص أوصافها في الأدب الديني ما قبل الإسلامي وفي المصادر الإسلامية. ورغم وجود الكلمة في الأدب ما قبل الإسلامي، فإن معناها الدقيق لا يزال غير واضح[1]. إن جذرها، رحم، يوجد بشكل رئيسي في نقوش جنوبي الجزيرة العربية حيث كانت تشير إلى إله واحد، قوي ومسيطر على السماء والأرض[2].

كذلك كانت كلمة **رحمن** موجودة أيضًا في نقش حِمْيَري يرجع إلى عام 448 م[3]. إن تعريف كلمة **رحمن** في النقوش ما قبل الإسلامية مشابه تمامًا لاستعمالها خلال العصور الإسلامية. لكن أصل الكلمة لا يزال، على أي حال، غير مؤكد.

باعتبارها صفة لله، تحمل كلمة **رحمن** اختلافًا أكثر حدة بين التوحيد والوثنية من كلمة الله. وحتى في مكة الوثنية، كانت لفظة

(1) أ. سبرينغر، *Das Lebens und die Lehre des Mohammad*، (برلين 1861 ـ 65)، الجزء 2، ص202. في ما بعد سبرينغر، *Das Lebens*.

(2) الأعشى، **ديوان**، ص168 ـ 73؛ الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة، مطبعة الحلبي 1954)، الجزء 1، ص57، وفي ما بعد الطبري، **جامع**.

(3) ج. ريكمانز، «السماء والأرض في نقوش جنوبي الجزيرة العربية»، **مجلة الدراسات السامية**، (جامعة مانشستر 1958) 3، العدد 3، ص231 ـ 2. في ما بعد ريكمانز، «السماء والأرض».

«الله» مستعملة من قبل محمد ﷺ، بينما كانت كلمة **رحمن** (باعتبارها من أسماء الله)، مجهولة في مكة[1].

وقد أتى ذكرها في القرآن الكريم 57 مرة. لكن خمسًا منها فقط وردت في الآيات المدنية؛ والبقية في الآيات المكية. بالإضافة إلى ذلك، لا تظهر كلمة «الرحمن» أبدًا ولو مرة واحدة من دون أداة التعريف (ال). والكلمة الأخرى التي لها الجذر نفسه هي «الرحيم» التي ترد في القرآن 95 مرة: 48 مرة في الآيات المكية، و47 مرة في الآيات المدنية. وبالمقارنة مع استعمال كلمة **رحمن**، توجد كلمة **رحيم** 37 مرة من دون (ال)، و85 مرة مع (ال). وقد يتساءل المرء عن أهمية هذه الحقيقة.

في ما يتعلق برحمن اليمامة، يبدو أن التعبير لم يحمل صفة قدسية، بل حمل بالأحرى صفة لمسيلمة الذي كان، باعتباره كاهنًا (عرافًا)، يملك على ما يبدو بعض المؤهلات الدينية. وقد برز في مجتمعه بوصفه زعيمًا وكاهنًا. وبكلمة أخرى، كان بإمكان مسيلمة أن يوحد طموحاته السياسية بسلطة الكاهن «الدينية». وكانت هذه هي المرة الأولى التي تحدث بها مثل هذه الظاهرة في اليمامة. إن فكرة «الرحمن»، أو حتى كلمة **رحمن**، كان يمكن استعارتها إما من اليمن المجاورة، أو من اليهودية أو المسيحية. لكن كلمة «رحمن» لم يكن يُنظر إليها قط أنها دين يبشر به مسيلمة، كما أوحى بعض المؤرخين. ورغم أن مسيلمة استعمل تعبير «الرحمن» وأحيانًا «الله»، فإنه ليس من الواضح إن كان يعني

(1) جواد علي، **المفصل**، الجزء 6، ص114 ـ 15.

كلمتي «الرحمن» و«الله» نفسهما اللتين بشر بهما محمد ﷺ. على أي حال، لقد ذُكر أن مسيلمة قال إنه جُعل شريكًا لمحمد، وهو ما يمكن تفسيره بأنه كان يعنى أنه يؤمن بوحدانية الله.

في المصادر الإسلامية ترد كلمة **رحمن** بطريقتين: «الرحمن» و«رحمن». يشير الاستعمال الأول إلى الله، بينما تشير كلمة **رحمن** (من دون ال) إلى الناس. والدليل على هذا يجب أن يوضح. لقد وُجدت حركتان على الأقل كان زعيمهما يسمّيان «رحمن»: **رحمن** اليمامة (مسيلمة)، **ورحمن** اليمن (الأسود العنسي). وعلى أي حال، كان الاثنان يتميزان عن الزعماء الآخرين باستعمالهما تعبير «رحمن». إن استعمالهما لهذه الكلمة من دون أداة التعريف (ال) يمكن أن يوحي بالفارق بين «الرحمن» العالمي والحقيقي و«رحمن» آخر كان محليًّا. وفي اللغة العربية، تستعمل أداة التعريف (ال) لمجرد جعل الاسم معرفًا. لذلك، إن الاسم من دون الأداة (ال) يجب أن يكون غير معرّف ومجهول (ما لم يكن في الإضافة).

يرد في المصادر الإسلامية العديد من كلمات «رحمن» ومسيلمة، ولكن لا أحد منها يذكر حقيقة أن «رحمن» كان اسم إله يبشر به مسيلمة. وفي الحقيقة، إن أغلب الروايات تشير إلى مسيلمة أنه «رحمن»، أو رحمن اليمامة. ويبدو أن كلمة «رحمن» كانت تستعمل لقبًا لمسيلمة، وليس اسمًا لإله، كما يذهب بعض المؤرخين[1].

---

(1) **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية، تحت كلمة «بسملة» تأليف ل. غارديت، والمرجع السابق، الطبعة الأولى، تحت كلمة «اللهم» و«الله» تأليف ماكدونالد.

المرة الأولى التي يرد فيها تعبير «رحمن» في المصادر الإسلامية المبكرة هي في وصف ابن إسحق. فهو يذكر أن القرشيين رفضوا دعوة النبي محمد ﷺ إلى الإيمان بـ «الرحمن»، «الرحيم». وقد أجابوا بعداء قائلين: في الحقيقة، لقد عرفنا رجلًا من اليمامة يدعى رحمن، ولذلك، نحن لن نؤمن به[1]. ونتيجة ذلك، تلقى محمد ﷺ وحيًا يجيب عن هذه الحالة:

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾. [الرعد: 30].

ولكن لو كانت الحادثة قد جرت في مكة، لما نزلت هذه الآيات ردًا على ذلك لأنها كانت آيات موحى بها في المدينة.

في رواية أخرى قيل إن مسيلمة كان معتادًا على لقب «رحمن» قبل عام 570 م. وعلى أي حال، يرد أيضًا أنه عندما قرأ محمد ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم»، كان رد الكفار من قريش هو توبيخه بالكلمات: سحقًا لفمك، لقد مدحت رحمن اليمامة فقط[2]. وفي تعليقه، يذكر الطبري أن الله هو «الرحمن» أيضًا، ولكن حين بدأ الناس باستعمال كلمة «الرحمن» على أنها اسم يشير إلى مسيلمة، أضاف الله القدير كلمة «الرحيم». وقد

(1) جواد علي، **المفصل**، الجزء 4، ص457.

(2) محمد بن عبد الملك بن هشام، **سيرة النبي**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة 1937)، الجزء 1، ص200.

يفسر هذا الظروف المحيطة بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم»[1]. وفي رواية نقلها ابن عباس وسجلها ابن سعد، أنه قيل إن أهل مكة بعثوا المنذر بن الحارث بن علقمة، وعقبة بن أبي معيط، وآخرين بصفة مندوبين إلى يثرب (المدينة) لسؤال اليهود حول نبوة محمد. وقد اقتبس عن المبعوث قوله: لقد جئنا إليكم في مسألة بالغة الأهمية، لأن صبيًّا صغيرًا فقيرًا يتيمًا كان يكرر شيئًا رائعًا. لقد ادعى أنه رسول الرحمن. وفي الحقيقة، إن الرحمن الوحيد الذي نعرفه هو رحمن اليمامة[2].

---

(1) أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق عبد الرحمن الوكيل (القاهرة 1967)، الجزء 1، ص200. في ما بعد السهيلي، **روض**. انظر أيضًا جواد علي، **المفصل**، الجزء 6، ص457. من أجل الرواية الثانية انظر محمد بن عمر الواقدي، **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونز (أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد 1966). في ما بعد الواقدي، **مغازي**.

(2) الطبري، **جامع**، الجزء 1، ص57. انظر أيضًا أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **تاريخ**، تحقيق م. ث. هوتساما (لايدن 1883)، الجزء 1، ص120. في ما بعد اليعقوبي، **تاريخ**. انظر أيضًا أبو جعفر محمد الطوسي، **البيان في تفسير القرآن**، (النجف 1957)، الجزء 1، ص29. في ما بعد الطوسي، **البيان**. أيضًا أبو عبد الله محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق إبراهيم أطفيش (القاهرة، دار الكتب 1961)، الجزء 1، ص106. في ما بعد القرطبي، **جامع**. وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الدر المنثور في تفسير المأثور**، إعداد م. أ. دمج (بيروت 1972)، الجزء 1، ص9. في ما بعد السيوطي، **الدر**.

كذلك، يذكر سعيد بن جبير أنه عندما ذهب المشركون من أهل مكة إلى المسجد الحرام واستمعوا إلى النبي ﷺ وهو يصلي ويقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم»، كان ردهم الساخر: الحقيقة، إن محمدًا يمدح رحمن اليمامة ونتيجة مثل هذه الاضطراب والهياج، أمر الله محمدًا أن يخفف تلاوته[1].

وفي تقرير آخر، كما يكتب ابن دريد، رواية عن ابن الكلبي، أنه حين ذكر النبي ﷺ اسم الرحمن، كان الكفار من قريش يردون رافضين وجود إله باسم الرحمن. وكانوا يقولون: إن الرحمن هو مجرد كاهن في اليمامة[2]. وفي تقرير آخر أرسله مرخوند (Mirkhwand) يقال إن الوليد بن المغيرة عبر ذات مرة عن دهشته كما أنه سخر من النبي ﷺ بسؤاله: كيف تجرؤ على نقل اسم رجل من اليمامة؟ فأجابه النبي، كلا على الإطلاق، إنني أقرأ اسم الرحمن الرحيم[3].

يعود تاريخ هذه الروايات إلى الفترة المكية. والرواية الأولى التي أتى ذكرها بعد الهجرة كانت رواية الواقدي، الذي ذكر أنه خلال جمع الغنيمة بعد هزيمة أهل مكة في بدر، أن أمية بن خلف نادى عبد الرحمن بن عوف، وهو صديق قديم، باستعمال اسم عبد الرحمن القديم، عبد عمرو. على أي حال، لم يرد عبد الرحمن

(1) ابن سعد، طبقات، الجزء 1، ص165.

(2) القرطبي، **جامع**، الجزء 1، ص96. والطبري، **جامع**، الجزء 15، ص121.

(3) ابن دريد، **الاشتقاق**، ص36. انظر أيضًا الزبيدي، **تاج**، الجزء 3، ص307.

لأنه كره أن ينادى باسمه القديم. ورغم هذا، قال أمية بن خلف: إنني لن أناديك باسم عبد الرحمن ما دام مسيلمة في اليمامة معروفًا بهذا الاسم، ولذا فأنا أكره تسميتك باسمه[1].

يبدو أن محمدًا ﷺ قد واجه مشكلة حقيقية بسبب اسم «الرحمن». وكانت تلك المشكلة مهمة وواضحة في مكة فقط حيث حدثت الأغلبية الكبرى للروايات. ويبدو أن الكفار من أهل قريش اعتقدوا أن محمدًا ﷺ كان ببساطة يستعمل لقب مسيلمة، رحمن، اسمًا لله. وبأسلوب عادي كانوا يتساءلون بازدراء حول هذا ويرفضونه. هذا هو أحد مظاهر المسألة. من ناحية أخرى، لقد واجه محمد ﷺ ازدراء قريش بشجاعة وصبر شديدين. ويمكن استنتاج ثلاثة أمور في ما يتعلق بـ «قضية الرحمن» وكيف جرى حلها.

1 ـ لقد نزل الوحي على محمد مدينًا موقف قريش ومصرًا على حقيقة أن الله هو «الرحمن» أيضًا. وقد جاء ذكر الرحمن في القرآن الكريم 57 مرة، 52 في السور المكية وخمس فقط في السور المدنية.

2 ـ يذكر القرآن الكريم باستمرار كلمة الرحمن مع أداة التعريف (ال)، ولا توجد حالة واحدة من دونها. إضافة إلى ذلك، فمن بين السور الاثنتين والخمسين خلال الفترة المكية، ورد ذكر كلمة «الرحمن» أربع مرات مع كلمة «الرحيم» ومرة مع

(1) مرخوند، The Rauzat-us-Safa، ترجمة إ. ريهاتسك، إعداد ف. أربوثنوت (لندن 1894)، القسم 2، الجزء 3، ص105

كلمة «الله». إن العدد الكبير لاستعمالات كلمة «الرحمن» في القرآن الكريم، وبخاصة خلال الفترة المكية، يشير إلى أن الله هو «الرحمن» أيضًا، وأن لا أحد غيره يجب أن يدعى بهذا اللقب.

3 ـ كما ورد سابقًا، إن حقيقة ذكر كلمة الرحمن بشكل حصري أنها خاصة بالله تعالى قد يوحي بأن الآخرين الذين حملوا هذا الاسم بصيغته غير المعرفة أي «رحمن» باعتباره لقبًا سيعتبرون غير محددين. وفي الحقيقة، لقد بدأ محمد ﷺ بتغيير الأسماء غير الإسلامية لدى أتباعه إلى «عبد الرحمن» الذي يعني، مرة أخرى، أن محمدًا كان يصر على حقيقة أن الله وحده هو «الرحمن»، وأن أي شخص، بناء على ذلك، يحمل هذا الاسم يجب أن يكون عبد «الرحمن». إضافة إلى ذلك، لا يمكن العثور على أي حالة لاسم عبد الرحيم خلال حياة النبي ﷺ، رغم أن كلمة رحيم أو «الرحيم» (كلتاهما أتى ذكرهما في القرآن الكريم) لهما الجذر «رحم» نفسه الذي لكلمة رحمن. لكن هذين الاسمين لم يشكلا قضية مثل قضية «الرحمن».

وهكذا كان رحمن اسمًا أو لقبًا لمسيلمة، وكان مشهورًا جدًّا في كل من اليمامة ومكة المكرمة[1]. والسؤال الذي يظل بحاجة إلى إجابة هو لماذا لم يتحدث محمد ﷺ ضد مسيلمة في مكة. وفي هذا الصدد، يمكن التفكير بأحد الاحتمالات الآتية:

1 ـ لقد عرف محمد ﷺ كم كان أهل مكة يحتاجون

(1) الواقدي، **مغازي**، الجزء 1، ص82. والبلاذري، **فتوح**، ص105.

بإلحاح إلى حبوب اليمامة. لذلك كان يميل إلى تفادي أي شيء قد يدعو بني حنيفة إلى فرض حصار ضد مكة ولذلك لم يتحدث ضد مسيلمة.

2 ـ كان محمد ﷺ ينظر إلى مسيلمة على أنه عراف (كاهن) أو زعيم عشائري في منطقة بعيدة كانت، برأيه، لا تشكل أي تهديد لبعثته في مكة.

3 ـ كان محمد ﷺ في الفترة المكية يحصر اهتمامه بقريش ومكة فقط، ولم يفكر بالاتصال مع منطقة أو قبيلة بعيدة في شبه الجزيرة العربية. لذلك كان يميل إلى ترك الأبواب مفتوحة للاتصال مستقبلًا. وعلى الرغم من هذا، حين هاجر محمد ﷺ إلى المدينة، وأسّس دولته وكان بعيدًا عن تأثير مكة، تحدث من دون تردد وبقوة ضد مسيلمة وأدانه بتسميته للمرة الأولى باسم «مسيلمة الكذاب»[1].

(1) من الرواية التقليدية أن مسيلمة والأسود كانا يدعيان بلقب «رحمن» بدلًا من النبي أو رسول «الرحمن»، ويمكن استنتاج أن مسيلمة أطلق على نفسه اسمًا قدسيًا وطالب بتبجيل قدسيّ له. على أي حال، لا يوجد دليل على ذلك التأثير في الكلمات والأعمال التي تنسب إليه. يقول الطبري إن مسيلمة اعتاد أن يسمي نفسه «الرحمن»؛ **التاريخ**، الجزء 3. ص285. ويقول أيضًا أبو حاتم أحمد الرازي إن بعض اللغويين قد أجازوا استعمال كلمة «الرحمن» اسمًا لشخص. انظر **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية**، تحقيق حسين الهمداني، (القاهرة 1957)، الجزء 2، ص23. في ما بعد الرازي، **زينة**. انظر أيضًا ف. ف. بارثولد، «مسيلمة»، ص497.

العلاقة بين اليمامة ومكة

كانت العلاقة بين مكة واليمامة حتى ذلك الوقت قد تعرضت للامتحان من جهة تأثيرها في دعوة محمد ﷺ. ولأن مكة كانت في منطقة غير مزروعة، فقد اعتمدت على التجارة والهيبة الدينية مما أوجد مجالًا لإعالة سكانها وجعلها مزدهرة في الوقت نفسه. لذلك، تصر المصادر عادة على أن اليمامة كانت مورد غذاء لمكة، أو «سلة خبز»، ما كان يعني أن أهل مكة اعتبروا اليمامة عمقهم الخاص، والمنطقة التي تنتج المحاصيل لأهل مكة. هذا من جانب. وأما من الجانب الآخر، لا تذكر المصادر أي شيء حول ما إذا كان أهل مكة يمتلكون المزارع في اليمامة أم لا. وعلى أي حال، يمكن أن يفترض المرء أن أهل مكة لم يخترقوا اليمامة اقتصاديًا عبر ملكية الأرض مثلما عملوا في الطائف، ولم يكن لهم أي تأثير في تجارة اليمامة. وبكلمة أخرى، لقد كانت مكة بحاجة إلى اليمامة، وليس العكس.

نشأ محمد ﷺ في مكة واعترف بطبيعة العلاقة بين بلده واليمامة. وخلال فترة المرحلة السرية من دعوته في مكة، حاول من دون نجاح أن يحصل على دعم بني حنيفة[1]. لكن إخفاقه مع بني حنيفة لم يدفع به أن ينتقدهم علنًا هم أو مسيلمة.

لا شك في أن بعض رجال الأعمال من مكة قاموا بزيارات

(1) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار نهضة مصر 1965)، ص147. في ما بعد الثعالبي، **ثمار**.

إلى اليمامة، إما لمتابعة شؤونهم هناك أو خلال طريقهم إلى البحرين أو العراق. وقد كان عمرو بن العاص بين أولئك الذين ذُكر أنهم زاروا اليمامة، وأنهم قابلوا مسيلمة[1]. ولكن لا تتوفر أي معلومات حول الغاية من زيارته. ويظل موضع تخمين إن كان عمرو قد ذهب إلى اليمامة بقصد العمل أو بصفة مبعوث رسمي أرسلته مكة إما لأسباب تخص العمل أو لإقناع مسيلمة بتأييد مكة في صراعها ضد محمد. ومع ذلك فمن المحتمل أن عمرو قد ذهب إلى اليمامة لأمر يتعلق بعمله الخاص. وأما بالنسبة إلى اجتماعه بمسيلمة، فمن المحتمل أنه كان لأمر أو عمل شخصي، ولم يكن له علاقة بدعوة محمد ﷺ. وأسباب هذا الاستنتاج هي كالآتي:

1 ـ حدثت الزيارة بعد الوحي بسورة العصر، فقد قيل إن مسيلمة سأل عمرو عن آخر وحي نزل على محمد. كان هذا، طبعًا، في أوائل أيام محمد ﷺ في مكة. لم يكن محمد ﷺ معاديًا لبني حنيفة ولم تكن سورة العصر تحمل أي شيء ضد اليمامة أو بني حنيفة أو مسيلمة. لذلك لو كان أهل مكة يطلبون دعم مسيلمة لذكروا له شيئًا آخر غير سورة العصر.

2 ـ خلال مرحلة محمد ﷺ المكية، لم تحظر اليمامة شحنات الحبوب إلى مكة، وهذا في حد ذاته دليل على أن محمدًا ﷺ لم يسبب أي ضرر للعلاقة بين مكة واليمامة. ولذلك لم تكن ثمة حاجة لدى مكة كي ترسل ممثلًا رسميًا.

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص305، وابن هشام، **سيرة**، الجزء 2.

3 ـ في ذلك الوقت لم يكن مسيلمة حاكمًا لليمامة، ولم يكن على اتصال مباشر مع ملك اليمامة، هوذة بن علي. ولو كان أهل مكة يبحثون عن الدعم، لكانوا سيتصلون بملك اليمامة، وليس بمسيلمة.

4 ـ وأخيرًا، يمكن التدقيق في الأمر بسؤال ماذا كانت النتائج التي حملها معه عمرو من اليمامة؟ لا يأتي ذكر أي شيء في المصادر. ولو كان هناك أي نتيجة، أو حتى إذا كان أهل مكة يعتقدون أن بني حنيفة يمكن أن يفعلوا شيئًا لإضعاف محمد وأتباعه، لما كانوا سيترددون في طلب ذلك. والحقيقة هي أن أهل مكة هم الذين جمعوا أغلبية حلفائهم العرب لمحاربة محمد ﷺ والمسلمين في معركة الخندق، وليس بنو حنيفة من بينهم.

كان رجال الأعمال والأفراد من اليمامة يسافرون، طبعًا، إلى مكة بقصد التجارة، ولزيارة المسجد الحرام، ولحضور سوق عكاظ الثقافية. وقد زار مسيلمة مكة وأقام هناك لبعض الوقت. إضافة إلى ذلك، فبينما كان في مكة تزوج امرأة من قريش اسمها كبشة بنت الحارث بن قريظ بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس[1]. وتعرف مسيلمة في مكة إلى وجهاء قريش الكبار، ولكن يبدو أنه لم يقابل محمدًا ﷺ شخصيًّا. وربما كانت زيارة مسيلمة قد حدثت

---

(1) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق محمد عبد العزيز النجار (الرياض 1963)، الجزء 6، ص325. أيضا ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت، دار الأندلس 1966)، الجزء 4، ص547.

في الأيام السرية الأولى لبعثة محمد. وفي الحقيقة، لقد قام أهل مكة حتى باتهام محمد ﷺ بأنه اجتمع مع مسيلمة، وحصل على معرفته الدينية منه، بما في ذلك مفهوم كلمة «رحمن» وأمور أخرى تتعلق بذلك[1]. لكن احتمال أن يكون محمد ﷺ قد قابل مسيلمة يظل ضعيفًا. ولم بذكر محمد ﷺ ولا مسيلمة قط بأن مثل هذا الاجتماع قد حدث.

في الحقيقة، لقد اجتمع محمد ﷺ مع بعض أفراد بني حنيفة، لكن ذلك الاجتماع على ما يبدو كان قد عُقد في موعد متأخر جدًّا عن الوقت المفترض لإقامة مسيلمة في مكة. وقد استمر الاجتماع لفترة قصيرة وقد عُقد خلال موسم الحج[2]. ومن الصعب جدًّا الاعتقاد أن مسيلمة كان بين هذه المجموعة من بني حنيفة. وما يبدو مؤكدًا هو أن مسيلمة، خلال إقامته في مكة، قابل بعض الناس الذين عرفوا محمدًا ﷺ، وعرف منهم أمورًا تتعلق بالدعوة الإسلامية.

---

(1) مصعب بن عبد الله الزبيري، **كتاب نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، (باريس 1959)، ص20. في ما بعد الزبيري، **نسب**. انظر أيضًا ابن كثير، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفىٰ عبد الواحد (القاهرة، عيسى البابي الحلبي، 1964)، الجزء 4، ص100. في ما بعد ابن كثير، **سيرة**، وابن حبيب، **المحبر**، ص440.

(2) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 2، ص200، الطبري، **جامع**، الجزء 13، ص151 والجزء 15، ص111، وأبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد النجار (القاهرة 1964)، الجزء 4، ص443. في ما بعد الألوسي، **روح**.

العلاقة بين اليمامة والمدينة

كان أهل المدينة، مثل أهل مكة، على علاقة ودية مع مسيلمة. ويناقش الثعالبي أن أهل المدينة عرفوا بأمر مسيلمة وبلقب «رحمن» قبل أن يهاجر محمد ﷺ من مكة بوقت طويل[1]. وفي المدينة واجه محمد ﷺ المعارضة نفسها التي عانى منها في مكة بخصوص ظاهرة كلمة «رحمن» وعلاقتها الخاصة بمسيلمة. وفي أحد خطاباته المبكرة في المدينة، أدان مسيلمة وأظهر الفوارق بينهما. وللمرة الأولى في هذا الخطاب، أطلق محمد ﷺ على مسيلمة لقب «الكذاب»، وهو لقب استعمله المسلمون مع اسمه منذ ذلك الوقت[2]. ومع ذلك يعتقد بعض المؤرخين أن محمدًا ﷺ أطلق على مسيلمة لقب «الكذاب» في مكة، وليس في المدينة، لأن النبي ﷺ وهو في مكة كان يواجه معارضة مريرة وقوية ربطت بينه وبين مسيلمة[3]. وفي مكة، لم يكن محمد ﷺ، بالتأكيد، ليطلق تصريحًا قويًا ضد مسيلمة لأنه أدرك تمامًا كم كان أهل مكة يعتمدون على الحنطة الآتية من اليمامة. وبإدانة مسيلمة ربما كان سيسبب حظرًا على الغذاء. وبصورة مشابهة، ربما كان محمد ﷺ يفكر بأن مسيلمة معروف في مكة فقط، ولكن حين اكتشف أن أهل المدينة كانوا يعرفونه أيضًا أصبح عليه عندئذ أن يضع حدًا لمثل هذا الربط بينه وبين مسيلمة.

---

(1) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 2، ص200.

(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص350، وابن هشام، **سيرة**، الجزء 2، ص264.

(3) الثعالبي، **ثمار**، ص147.

في المدينة، كان على محمد ﷺ أن يواجه عداوة جديدة تختلف، بسبب وجود اليهود، عن العداوة التي واجهها في مكة. لقد كانت معارضة اليهود في المدينة ذات أساس مختلف. كان بإمكان اليهود أن يجادلوا بأن محمدًا ﷺ كان مخطئًا، وحتى جاهلًا لأنهم استطاعوا أن يشيروا إلى تقاليدهم الدينية المكتوبة وتاريخهم المدون، الذي كان يتناقض مع رسالة محمد ﷺ، والذي كان معروفًا ومحترمًا في سورية وفي شمال الجزيرة العربية. وكان لدى أهل مكة تقليد ديني ثقافي، لكنه لم يكن مكتوبًا ولم يكن معروفًا في سورية أو في مناطق بعيدة أخرى. وهكذا كان لليهود هيبة عالمية أكثر من أهل مكة، وبذلك استطاعوا التسبب بالأذى لمهمة محمد ﷺ بطريقة مختلفة. ومع إدراكه لحالة المدينة، كان على النبي محمد ﷺ أن يطلق تصريحًا قويًا وواضحًا ضد مسيلمة ليضمن أن اليهود لن يكونوا قادرين على استعمال اسم مسيلمة[1] وفكرته المتعلقة بكلمة «رحمن» ضده أو ضد دعوته.

حركة مسيلمة

حاول مسيلمة باستمرار أن يقنع بني حنيفة كي يقبلوا قيادته الدينية والسياسية. وكما يذكر الجاحظ، كان مسيلمة قد استعمل التقنية نفسها التي استعملها النبي ﷺ، وهي الاتصال الشخصي بالأشراف (الأشخاص البارزين) في اليمامة بالإضافة إلى الطبقات

---

(1) المرجع السابق.

الأخرى في المجتمع[1]. كما أنه حاول كما يبدو استعمال الفخر العشائري لخدمة قضيته. وفي الحقيقة، كان يُنقل عنه قوله:

يا بني حنيفة! في الحقيقة إن الله لم يجعل قريشًا (قبيلة محمد) القبيلة الوحيدة المؤهلة للنبوة. إن بلادكم أكبر من بلادهم، ومناطقكم الخضراء [المناطق المزروعة] أكبر من التي لهم وجبريل المقدس يهبط إلى نبيكم [يعني نفسه] كما يفعل مع نبيهم[2].

كانت الفترة الزمنية بين ظهور مسيلمة وسقوطه الدراماتيكي في معركة عقرباء (9 ـ 12/ 630 ـ 633) قصيرة جدًّا كي يقوم أي قائد ديني وسياسي بالمحافظة على قاعدة صلبة وتعبئة أكثر من 40 ألف مقاتل في معركة واحدة. إن إنجازًا كهذا استغرق من النبي ﷺ أكثر من 20 سنة. وتقول المصادر إنه لم يكن مع مسيلمة جميع الناس. وعلى سبيل المثال، قيل إن معارضه، ثمامة بن آثال، قاد مجموعة كبيرة لم تكن تؤمن بمسيلمة، وانحازت إلى جانب المسلمين في النهاية. ولسوء الحظ، تعطي المصادر القليل من التفاصيل حول الحالة في اليمامة، ما عدا أن مسيلمة قاد حركة ردة سحقها الجيش الإسلامي. وهذا لا يفسر، على سبيل المثال، لماذا غادر ثمامة بن آثال اليمامة إلى البحرين مع قسم من مجموعته قبل وصول خالد بن الوليد. ويبدو أن مجموعة ثمامة كانت معزولة بعد هزيمة الجيشين الإسلاميين اللذين شارك فيهما.

(1) نزار، **اليمامة**، ص122.

(2) الجاحظ، **الحيوان**، الجزء 4، ص370.

يذكر الطبري أن بني حنيفة ما كانوا ليؤمنوا بمسيلمة لو لم يقم الأخير بتلفيق رسالة من النبي ﷺ يعلن فيها أنه شريك له[1]. ويذكر الطبري أيضًا أن مسيلمة قام بكثير من المعجزات لإثبات نبوته. وكانت هذه المعجزات مصممة عمدًا لتقليد معجزات محمد ﷺ، لكنها تعرضت لفشل كبير بينما كانت معجزات محمد ﷺ ناجحة[2]. ويبدو، على أي حال، أن تقارير المسلمين حول معجزات مسيلمة غير مقبولة منطقيًّا لدى إيكلمان (Eickelman)، الذي يعلق قائلًا:

هنالك تفسير منطقي غريب حول سبب استمرار وجود مؤيدين لمسيلمة بعدما أصبحت مثل هذه المعجزات الفاجعة وتأثيراتها السيئة واضحة بعد موت مسيلمة فحسب. لقد كان بنو حنيفة سيُعتبرون مزارعين غير متفتحين جدًّا حين لم يلاحظوا اختفاء مياههم وذبول محاصيلهم، الذي حدث بالشكل نفسه على نحو متزامن[3].

ويعتقد كايتاني (Caetani) أن مسيلمة أخفق في إقناع بني حنيفة كي يقبلوا دعوته. ويتباين هذا الرأي، على أي حال، مع

---

(1) الثعالبي، **ثمار**، ص146 ـ 7، المسعودي، أبو الحسن علي، **كتاب التنبيه والإشراف**، تحقيق أحمد الصاوي، (بيروت، مكتبة خياط 1965)، ص247. في ما بعد المسعودي، **تنبيه**.

(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص284 ـ 6. يشك جواد علي في أغلبية ما قيل في ما يتعلق بتعاليم مسيلمة، **المفصل**، الجزء 3، ص754.

(3) إيكلمان، **مسيلمة**، ص22.

حقيقة أن بني حنيفة كانوا راغبين في الموت من أجل حماية مسيلمة وتأمين دعوته[1].

كان مسيلمة قد خلف ملك اليمامة الراحل، هوذة بن علي، حوالى عام 9/ 630. وخلال أربع سنوات، نجح في توحيد بني حنيفة ضمن تكتل ديني وسياسي واحد بقيادته. ومن أجل تفسير الشعبية الساحقة لدعوة مسيلمة، يجب على المرء تذكر أن مسيلمة لم يكن جادًّا حقًّا حول تأسيس الدين الجديد، لكنه كان مهتمًّا بالأحرى بترسيخ مكانته سياسيًّا. وقد استعمل الدعوة الدينية مجرد خلفية لطموحه الحقيقي، وهو شيء يفعله كثير من السياسيين أو الزعماء الذي يحاولون بناء دولة سياسية.

وفي ما يتعلق بالحالة الدينية، لا تذكر المصادر التقليدية أن مسيلمة حاول في أي وقت أن يعارض الأديان والطوائف الموجودة، أو أنه عارض الذين لم ينضموا إليه. لكنه بالأحرى، كما يشير شوفاني، كان يميل إلى مواجهة المسلمين بمزيج من النبوة والتضامن العشائري[2]. وقد استخدمت هذه التقنية بشكل ذكي العصبية القبلية ضد المعارضين (نبي ربيعة ضد نبي مضر). ولهذا السبب، كان على مسيلمة أن يؤكد أهمية اقتصاد اليمامة،

(1) يعتقد كايتاني أن مسيلمة لم يكن قادرًا على تعبئة 40 ألف مقاتل في معركة واحدة، معركة عقربا. انظر ليون كايتاني، Studi di Storia Orientale، (جامعة ميلانو 1911)، الجزء 3، ص26. في ما بعد كايتاني، .Studi

(2) شوفاني، **الردة**، ص155.

وأن يستعمله سببًا يمكن أن يحفز بني حنيفة للدفاع عن أرضهم وضمان زراعتهم (وسوادكم أكبر من سوادهم). وهذا، مرة أخرى، دليل على أنه كان يهدف في النهاية إلى تأسيس قاعدة دينية وثقافية لدولة مستقلة عن المدينة وبلاد فارس والحيرة.

تخبرنا الروايات التقليدية أكثر حول تعاليم مسيلمة الدينية. وتذكر أنه أقام حرمًا وعيّن مؤذنًا وحاجبًا، وهذا كله يمكن اعتباره إعلانًا نبويًّا وفقًا للعقيدة الإسلامية[1]. ولم يكن إيجاد الحرم بدعة من جانب مسيلمة. كانت تلك المنشأة معروفة جيدًا فعلًا في جنوبي الجزيرة العربية ومكة قبل الإسلام. وعلى الرغم من أننا لا نستطيع تقرير طبيعة حرم مسيلمة، أو متى وأين اتخذه، فإنه من المفيد التفكير في القيمة الاقتصادية للحرم. وقد كان الحرم مكانًا كبيرًا أو مساحة من الأرض يتم تعريفها بأنها مقدسة، ويستطيع الناس أن يتاجروا ويقيموا فيها بحرية وأمان. وقد استعمل مسيلمة تعاليمه الدينية لتأسيس الحرم كي يجذب القبائل القريبة وتستفيد من التسهيلات التي كان يقدمها، وبذلك يمكن عندئذ أن تدعم دعوته. على أي حال، يعتقد إيكلمان أن مسيلمة، ببناء الحرم، كان يهدف إلى توحيد قبائل اليمامة تحت قيادته الدينية[2]. ويمكن

(1) واط، **محمد في المدينة**، ص136. انظر أيضًا شوفاني، **الردة**، ص155، وعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **المقدمة**، ص40. تجدر الملاحظة أن أبا سفيان لم يميز بين النبوة والملك (الدولة). انظر ابن الأثير، **كامل**، الجزء 2، ص246.

(2) إيكلمان، **مسيلمة**، ص17.

لهذا، إلى حد ما، أن يفسر نية مسيلمة، لكن طموحاته السياسية يجب أن تؤخذ في الحسبان أيضًا.

قبل إيجاد الحرم، كان نظام الجوار، الذي يشبه فكرة الحرم، قد بدأ يعمل في اليمامة. وكان نظام الجوار فريدًا من نوعه. فقد كان يمكن لأي غريب المجيء إلى اليمامة والبقاء ما دام قد مُنح حق الجوار (الحماية والرعاية). وعند منح الجوار إلى شخص ما، يجب تدوينه على قطعة من الخشب، مثل سهم، وعلى الغريب أن يحمله معه. وكان نظام الجوار يمارس لأن عددًا كبيرًا من الناس كانوا يأتون إلى اليمامة لشراء طعامهم. وعلى أي حال، كان الجوار يستعمل بشكل كامل من قبل السواقط (أشخاص من قبائل مختلفة يأتون إلى اليمامة لشراء التمر، ويكون عليهم إطالة إقامتهم هناك بسبب وقت الحصاد أو لأن الأشهر الحرم كانت منتهية). وقد قيل إن أهل اليمامة كانوا يحترمون ويجلون نظام الجوار. وتقول المصادر إن عميرًا بن سلامة أمر بقتل أخيه لأن الأخير أخل بالتزام الجوار[1]. ولم يكن نظام الجوار في اليمامة موضع ترحيب من القوى الخارجية، مثل أمير الحيرة، النعمان بن المنذر، الذي حاول خرقه بإجبار بعض السواقط على الخروج من اليمامة. وكان هؤلاء الناس محميين من كفيلهم، عمير بن سلامة. ويبدو أن النعمان بن المنذر لم يكن سعيدًا بفكرة الجوار بسبب أهميتها الاقتصادية والسياسية، وحقيقة

---

(1) الجاحظ، **الحيوان**، الجزء 4، ص372، الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص283، ابن الأثير، **كامل**، الجزء 2، ص244، الثعالبي، **ثمار**، ص147، والبلاذري، **فتوح**، ص87.

أنها قد تدفع بمنطقة اليمامة في النهاية لتصبح قوة عظمى في شبه الجزيرة العربية، مما سيضعف، بطبيعة الحال، مكانة الحيرة[1].

وقد ذُكر أن مسيلمة جمع كتابًا يحتوي على الأقوال التي زعم أن الرحمن أوحى بها إليه. وفي تعليق يضيف الجاحظ، الذي يعتبر أن مسيلمة كان يحاول بفشل تقليد أسلوب القرآن فحسب، أنه لم يبقَ لا مسيلمة ولا عمله[2]. ومن الصعب جدًّا قبول ما يُدعى بأقوال مسيلمة، لأنها تحمل نقاط ضعف لغوي لا تتلاءم سواء مع قدرة مسيلمة أو مستوى قومه اللغوي والثقافي. ولا شك في أن هذه الأقوال إما قد تم تحريفها أو اختلاقها من قبل أعدائه. إن أقوال مسيلمة تحمل أهمية بسبب دلالتها الاجتماعية أكثر من قيمتها الأدبية.

إن فكرة أن ما يُدعى بأقوال مسيلمة قد حرّفها أو لفّقها معارضوه يمكن تأييدها بدراسة متأنية لوصف زيارة عمرو بن العاص إلى اليمامة واجتماعه بمسيلمة. في ذلك الاجتماع كان عمرو قد أخبر مسيلمة بأن محمدًا ﷺ قد نزلت عليه سورة جديدة اسمها سورة العصر. وذُكر أن مسيلمة أجاب بأنه قد تلقى أيضًا سورة جديدة اسمها الوبر. وهنا يمكن للمرء أن يميز بسهولة الشبه بين السورتين، وبخاصة في إيقاعهما وآياتهما القصيرة. ويبدو أن راوي القصة هو الذي اخترعها[3]. وبصورة عامة، يبدو أن

(1) الجاحظ، **الحيوان**، الجزء 4، ص372، ونزار، «اليمامة»، ص130.

(2) واط، **محمد في المدينة**، ص136 ـ 48.

(3) الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص349.

المشكلة هي أن المؤرخين العرب تقبلوا الأوصاف العدائية لمسيلمة كما هي، وقاموا باستنتاجاتهم وفقًا لذلك. ومن الصعب الحكم على مسيلمة ودعوته من خلال كتابة معارضيه فقط. ولا يحتمل، كما يعترف الجاحظ بصورة مدهشة، أن يكون مثل هذا الحدث الجدي قد جرى من دون أن يقوم شاعر أو راوٍ معاصر واحد بتسجيله[1].

يمكن للمرء أن يستشهد بمثالين مختلفين ومتناقضين حول كيفية تصوير المصادر الأولى لمسيلمة. يقوم جانب، وهو يصف الحالة في اليمامة خلال حرب الردة وبعدها، بتصوير مسيلمة على أنه زعيم قوي تطيعه أغلبية بني حنيفة، ومحبوب ليس في حياته فحسب، ولكن حتى بعد موته. ويذكر البلاذري أن عبد الله بن مسعود، والي الكوفة خلال خلافة عمر بن الخطاب، أمر بإعدام عبد الله بن النواحة وأشخاص آخرين من بني حنيفة لأنهم امتدحوا مسيلمة وتمنوا نجاح دعوته[2]. وأما الرواية الثانية فقد صوّرت مسيلمة أنه شخص وضيع ومجنون. ويوصف مسيلمة في هذه الرواية بأنه رجل قصير ذو أنف مفلطح، وعقل ضعيف وليست لديه قدرة على اتخاذ القرارات، وأن رعاع اليمامة فقط هم الذين كانوا يتبعونه[3]. في الرواية الأولى كان مسيلمة شخصًا محبوبًا

(1) الجاحظ، **الحيوان**، الجزء 4، ص372.
(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص349.
(3) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص345، والطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص283، والبلاذري، **فتوح**، ص422.

جدًّا من شعبه إلى درجة أنهم كانوا راغبين في الموت من أجل ذكراه، بينما تم تصوير مسيلمة في الثانية بأسوأ عبارات استطاع العرب أن يستعملوها[1].

إن سؤال ما إذا كانت حركة مسيلمة قد تركت أي آثار في التطور اللاحق للعالم الإسلامي لا يمكن الرد عليه عند هذه النقطة[2]. ويؤكد بالغريف (Palgrave) مرتين، انطلاقًا من حكمه الشخصي بأن مسيلمة كان يؤدي محاكاة ساخرة عن عمد، وكان يحاول السخرية من وحي النبي محمد، بأنه هو نفسه قد سمع مثل هذه المحاكاة الساخرة في نجد. ويذكر أن مؤمنًا حقيقيًّا من الرياض قال ذات مرة في حضوره أن «... محمدًا ومسيلمة كانا كلاهما نبيين، لكن الأول فقط ولد تحت نجم أسعد حظًا»[3]. ويقول داوتي إن هذه المقولة ستصبح أكثر أهمية لو أمكن تصديقها[4].

من المعروف جيدًا أن قصص بالغريف لم تؤكدها قصص المسافرين الجديرين أكثر بالثقة. وقد سمع س. م. داوتي (C .M. Doughty) في عام 1294هـ/ 1877م، في مدائن صالح، قصة

(1) البلاذري، **فتوح**، ص87. خدم عبد الله بن النواحة في إدارة مسيلمة. انظر ابن حجر، **إصابة**، الجزء 3، ص143.

(2) بارثولد، **مسيلمة**، ص511.

(3) و. ج. بالغريف، **قصة رحلة لمدة سنة عبر وسط وشرقي الجزيرة العربية**، (لندن 1866)، الجزء 1، ص382، والجزء 2، ص18.

(4) انظر: س. م. داوتي، **رحلات في صحراء الجزيرة العربية**، (نيويورك 1936)، الجزء 1، ص205.

رواها أحد سكان نجد حول أطلال سدوس التي كان يطلق فيها على مسيلمة لقب «المخادع» بدلًا من «الكذاب»[1]. لقد كان داوتي، كما هو معروف، في الجزء الشمالي لنجد فقط، في منطقة القصيم، وهو لم يسمع أي قصص هناك حول مسيلمة، كما لم يسمع فيلبي أيًّا منها في اليمامة.

الاتصال المبكر بين محمد وبني حنيفة

يتفق أكثر المؤرخين على أن الاتصال بين محمد ﷺ وبني حنيفة بدأ فقط بعد توقيع معاهدة الحديبية بين محمد ﷺ وأهل مكة. لكن الاتصال بين محمد ﷺ وبني حنيفة بدأ في وقت سابق. وكما رأينا، كان محمد ﷺ قد التقى مجموعة من بني حنيفة في مكة خلال الأيام الأولى من بعثته. وكان يبحث عن مُدافع ومؤيد لنشر دعوة الإسلام وطلب من بني حنيفة أن يقبلوا به، لكنهم، على أي حال، رفضوا عرضه. وليس من الواضح إذا كان مسيلمة بين الأشخاص الذين قابلهم محمد ﷺ.

ثمة رواية أخرى حول الاتصال المبكر بين محمد ﷺ وبني حنيفة، وهي رواية زرعة بن خليفة الذي ذكر أنه سمع عن محمد ودعوته في اليمامة وسافر إلى المدينة ليقابل النبي ﷺ ويعرف أكثر عن الدين الجديد. وقد تقبل زرعة الإسلام، بعد اجتماع قصير مع محمد ﷺ[2]. كذلك، يذكر ابن حبيب أن النبي محمد ﷺ، وهو

---

(1) س.م. داوتي، مصدر سابق.

(2) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 2، ص264، وابن حجر، إصابة، الجزء 1، ص350.

في مكة طلب من أرملة هوذة بن علي، ملك اليمامة، أن تتزوجه، لكن الزواج لم يحصل[1].

لا يستطيع المرء، على أي حال، التوصل إلى استنتاجات قوية من مثل هذه الروايات لسبب بسيط يتجلى في تناقضها واختلافها. لكن المرء قد يتقبل حقيقة أن بني حنيفة، وربما مسيلمة، قد سمعوا عن محمد ﷺ واجتمعوا به.

المراسلات بين المدينة واليمامة

في فترة هزيمة البيزنطيين للفرس (في القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي) بدأ النبي ﷺ يبعث بالرسل إلى مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية، وهم يحملون الدعوات إلى الإسلام. ربما يكون النبي ﷺ قد بدأ الاتصال ببعض الزعماء في الجزيرة العربية وخارجها بعدما وقع معاهدة السلام مع مكة[2].

كان الصليت بن عمرو رسول النبي ﷺ إلى هوذة بن علي، ملك اليمامة[3]. وقد استُقبل الصليت بحرارة وتلقى الهدايا من الملك الذي رفض الدعوة، على أي حال. وقد رد هوذة على

---

(1) ابن حبيب، **كتاب المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، (حيدر آباد 1964)، ص272. في ما بعد ابن حبيب، **المنمق**.

(2) محمد بن سعد بن سعد، **كتاب الطبقات**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر 1978)، الجزء 1، ص18. في ما بعد ابن سعد، **طبقات**. انظر أيضًا القلقشندي، **نهاية**، ص239.

(3) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص279.

النبي ﷺ بكتابة رسالة قدمها إلى الصليت كي يوصلها[1]. وفي رواية أخرى للبلاذري أن هوذة قبل الدعوة، لكنه كان لديه بعض التحفظات حول الخلافة السياسية، لذلك أرسل وفدًا إلى محمد ﷺ ضم مجاعة بن مرارة بن عنفوة الذي كان معروفًا بلقب الرحّال أو الرجّال (معنى الكلمتين كلتيهما نفسه تقريبًا وهو: الذي مشى كثيرًا) ومسيلمة. وفي الرواية الأخرى، كان مجاعة بن مرارة فقط هو الذي أُرسل إلى المدينة[2]. ويذكر ابن سعد والطبري والبلاذري جميعهم أن النبي ﷺ رفض التفكير في تحفظات هوذة وتوقع أن يزول هوذة ومملكته قريبًا[3]. ويفترض سبرينغر (Sprenger) أن النبي محمد ﷺ وافق على شروط هوذة، وأن خرق هذه الاتفاقية في حياة محمد ﷺ كان سبب الحرب بين المدينة واليمامة خلال خلافة أبي بكر. كما يستنتج أيضًا أنه خلال حكم هوذة كان من الأسهل على محمد ﷺ أن يتوصل إلى اتفاقية مع هوذة، كما فعل مع أبي سفيان في مكة، من أن يتوصل إلى اتفاقية لاحقًا مع مسيلمة[4].

على أي حال، إن خليفة بن خياط هو الذي ذكر أن

(1) أبو عمر العصفوري خليفة بن خياط، **كتاب التاريخ**، تحقيق سهيل زكار (دمشق 1967)، الجزء 1، ص62. في ما بعد خليفة، **التاريخ**.

(2) البلاذري، **فتوح**، ص87.

(3) ابن سعد، **طبقات**، الجزء 1، ص262؛ الطبري، **تاريخ**، الجزء 2، ص644، والبلاذري، **فتوح**، ص87.

(4) سبرينغر، Das Lebens، الجزء 3، ص306.

الصليت كان ناجحًا في مهمته، وأن أهل اليمامة اعتنقوا الإسلام[1]. ولكن من الصعب حتى التخيل بأن بني حنيفة يمكن أن يقبلوا بالإسلام بمجرد زيارة قصيرة واحدة من موفد النبي محمد ﷺ. إن قرار قبول دين جديد يمكن أن يأتي فقط بعد محاولة طويلة لإقناع الناس أو باستخدام القوة لإرغامهم، وهو ما لم يحدث خلال مراسلات محمد ﷺ مع هوذة. وهناك خلاف أيضًا بين المؤرخين حول تاريخ زيارة الصليت إلى اليمامة. ويعتقد ابن هشام أن الصليت قد أُرسل إلى اليمامة بعدما وقع النبي ﷺ معاهدة الحديبية مع مكة[2]، بينما يعتبر ابن سعد أن السنة السابعة بعد الهجرة هي السنة التي بعث بها النبي ﷺ رسله إلى مختلف شخصيات شبه الجزيرة العربية[3]. يضيف البلاذري، الذي يقبل هذا التاريخ، أن النبي ﷺ أمر بصنع خاتمه في تلك السنة[4].

أُرسل الصليت إما في السنة السابعة أو في أواخر السنة الثامنة للهجرة. وهذا لا يغير حقيقة أن الفترة الزمنية كانت قصيرة جدًّا لانتشار الإسلام في اليمامة، وبخاصة حين تتحدث المصادر

(1) خليفة، **التاريخ**، الجزء 1، ص46.

(2) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص279. يشير القلقشندي، في كتابه **نهاية الأرب**، إلى أن موت هوذة قد حدث بعد فتح مكة عام 629 ميلادي، بينما يذكر واط أن التاريخ هو 630 ميلادي.

(3) ابن سعد، **طبقات**، الجزء 1، ص262.

(4) البلاذري، **فتوح**، ص86، ابن الأثير، **كامل**، الجزء 2، ص215، وابن حبيب، **المحبر**، ص67.

عن محاولة وحيدة فقط قام بها النبي ﷺ للاتصال بملك اليمامة (أي مهمة الصليت). ولم تحاول المدينة إعادة الاتصال بأهل اليمامة حتى موت هوذة، عندما أسروا ثمامة بن آثال، الزعيم والقائد لفرع من قبيلة بني حنيفة[1].

ربما يكون هوذة قد مات عشية فتح مكة عام (9/ 629)[2]. وقد أدى موته إلى حيرة واضطراب وفقًا للمؤرخين العرب. وفي الحقيقة، من الصعب فهم الوضع بين موت هوذة وفترة تولي مسيلمة لشؤون اليمامة. وربما كان ثمامة مرشحًا لخلافة هوذة. فقد كان شخصًا مشهورًا في اليمامة، ويمتلك أراضٍ زراعية كبيرة، رغم أنه لم يكن شخصًا مستقرًا كليًّا بصورة كاملة. لقد كان زعيم عشيرة تابعة لبني حنيفة، وربما كانت عشيرة نصف بدوية. وربما كان ثمامة قد شارك في مؤامرة ضد مسيلمة ليحصل على قيادة اليمامة. لكن عقبتين وقفتا في طريقه: حجم عشيرته الصغير وأسلوب حياتها البدوي، وتقبله للإسلام.

في ما يتعلق بقصة تقبل ثمامة الإسلام، علق بعض

---

(1) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص316. كان ثمامة سجينًا ويعامل معاملة ممتازة بأمر من النبي ﷺ حتى أسلم. انظر أبو يزيد بن موسى وثيمة، **كتاب الردة**، تحقيق ويلهلم هونرباك (ماينز 1951)، ص12. في ما بعد وثيمة، **الردة**.

(2) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص279. هنالك عدة دلالات تشير إلى أن ثمامة كان ذات مرة ملكًا في اليمامة وأن النبي محمد ﷺ خاطبه بلقب «ملك اليمامة».

المؤرخين بأن العلاقات بين هوذة وثمامة مجهولة. وقد تشير تفاصيل القصص حول هذين الاثنين من جديد إلى أن هوذة ينتمي إلى الجزء الجنوبي الشرقي من اليمامة (منطقة الخضارم) وثمامة إلى الجزء الغربي من اليمامة (منطقة العرض). وفي ذلك الوقت كان تقبل ثمامة للإسلام في حد ذاته أمرًا مهمًّا يغير ميزان القوى في المنطقة. ومن غير المحتمل أن يكون ثمامة قد اعتنق الإسلام بعد إخفاقه في كسب قيادة اليمامة. لقد كانت مستوطنات أسرته، على أي حال، تعرف الإسلام وربما كانت تضم بعض المسلمين[1].

أي نوع من العلاقة كان بين مسيلمة وهوذة؟ هذا غير واضح أيضًا، ولكن يبدو أن عشيرة هوذة وعشيرة مسيلمة لم تكونا على علاقات طيبة وكانتا تتنافسان. ولا تذكر المصادر المبكرة شيئًا عن مسيلمة خلال حياة هوذة، ما عدا البلاذري الذي يذكر أن مسيلمة كان بين المجموعة المرسلة من قبل هوذة لمقابلة محمد ﷺ ولمناقشة موقع هوذة معه في ما يتعلق بدعوة النبي إلى الإسلام[2].

(1) بسبب التناقضات في التقاليد في ما يتعلق بقبول ثمامة الإسلام ومكانته في اليمامة، يميل واط إلى الاعتقاد بأن ثمامة كان زعيم القسم البدوي من قبيلة بني حنيفة، وكان سيرث منصب هوذة بصفته عاملًا فارسيًا (واط، **محمد في المدينة**، ص133)، وهذا غير محتمل ولا أساس له. على أي حال، لقد كان سكن ثمامة بعيدًا عن سكن هوذة، وكان من طبقة اجتماعية واقتصادية مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، لم يذكر اسمه الشاعر الأعشى، الذي كان على تماس مباشر مع هوذة ونظم قصائد باسمه.

(2) البلاذري، **فتوح**، ص86 ـ 7.

وخلافًا لهذا لا يحتمل أن يكون لمسيلمة مكانة عامة قبل أن يصبح حاكمًا لليمامة. والتفسير المحتمل لانسحاب مسيلمة من الحياة العامة خلال حكم هوذة هو اختلاف الرأي بين الرجلين حول عدة أمور سياسية تتعلق بالأمن واستقرار البلاد، مثل الوجود العسكري الفارسي والموقف العدائي لهوذة ضد تميم.

مسيلمة بصفته زعيمًا ونبيًّا لليمامة

هناك دلالة في المصادر الإسلامية على أن أهل اليمامة دعوا مسيلمة لقبول عرضهم بالقيادة[1]. أما هل كانت دعوة مسيلمة إلى حجر قد حدثت من دون ثورة أم لا، وهل نال فعلًا دعم بني حنيفة، العامة والنبلاء، أم لا؟ إن هذا الأمر غير واضح، كما يفترض كايتاني.

إن الصراع المسلح بين مسيلمة وجزء من بني حنيفة بوجود ثمامة على رأسهم قد يعزى إلى تضارب المصالح بينهم[2]. وقصة الدعوة غير محتملة في بيئة الجزيرة العربية خلال القرن السابع. وعلى العكس، من المحتمل أن يكون مسيلمة قد عمل جاهدًا ليستولي على السلطة في اليمامة. ورغم أن الحالة بعد موت هوذة غير واضحة، فإن المرء يمكن أن يستنتج نوايا مسيلمة من حقيقة

---

(1) الثعالبي، **ثمار**، ص146.

(2) بارثولد، **مسيلمة**، ص500. كان بارثولد يعتقد أنه ولو وُجّهت دعوة إلى مسيلمة للذهاب إلى حجر، لما كان باستطاعته عمل ذلك. كان وصوله، على أي حال، يمكن أن يسبقه نوع من الانقلاب، ومن المحتمل أن هذا الانقلاب كان مدبرًا من قبل مجاعة بن مرارة الرّحال.

أنه كان يسافر، كما يذكر الجاحظ، ويزور أماكن مختلفة، ليلتقي الناس ويتعلم مهارات سحرية. إذا أضيف هذا إلى حقيقة أن مسيلمة كانت لديه طموحات سياسية قوية وأملاك زراعية كبيرة، فلا بد من الافتراض بأن مسيلمة كان يعد نفسه للمستقبل[1].

على ما يبدو كان مسيلمة يراقب الأحداث ورد فعل هوذة نحوها. وكان هو ووجهاء اليمامة الآخرون، مثل محكم بن الطفيل[2] والرّجال بن عنفوة، يحملون الأفكار نفسها حول الشؤون الرسمية، وبخاصة موقع اليمامة بالنسبة إلى كل من المدينة وتميم. استولى مسيلمة بسرعة وسهولة على السلطة لأنه لم يواجه أي معارضة كبيرة[3]. إضافة إلى ذلك، لم يقدم مسيلمة دينًا كان يجب اتباعه ولم يوحد، مثل محمد ﷺ، الآلهة في إله واحد. وهو، أخيرًا، لم يشن حربًا ضد الأديان الموجودة آنذاك في اليمامة مثل المزدكية (المجوسية)، والوثنية والاعتقادات والعقائد العشائرية. ولو أن مسيلمة فعل ذلك، لكان سيواجه المقاومة نفسها التي واجهها محمد ﷺ في مكة.

لقد ناشد مسيلمة ببساطة أهل اليمامة، واليمامة وحدها، باستعمال طرائق وتعاليم دينية ليطبق برنامجه السياسي والاجتماعي. إضافة إلى ذلك، لم يكن مسيلمة الوحيد الذي استعمل الدين وادّعى نبوة مزيفة من أجل مصالح دنيوية. وقد شهد

---

(1) الثعالبي، **ثمار**، ص146 ـ 7.

(2) المرجع السابق.

(3) ابن القيم، **زاد**، الجزء 1، ص389.

زعماء معاصرين آخرين يفعلون الأمر نفسه، مثل طلحة الأسدي، وسجاح التميمية، والأسود العنسي (رحمن اليمن). كل هؤلاء ادعوا أن الله أرسلهم، وأنهم تلقوا الوحي ليوجهوا قومهم وبلادهم. ويمكن تسمية القرن السابع الميلادي في الجزيرة العربية بقرن النبوة بسبب العديد من الأنبياء الذين ظهروا. ربما كان هؤلاء الأنبياء المزيفون، بمن فيهم مسيلمة، يحترمون محمدًا ﷺ والطريقة التي كان يبني بها الدولة. وقد اعتبروا أنه نبي عشائري لذلك اقتدوا به ببساطة وأعلن كل منهم نبوته الخاصة.

يبدو أن بني حنيفة لم يتقبلوا نبوة مسيلمة بصورة جدية، كما أنهم لم يتساءلوا عن النتائج. وبالنسبة إليهم، كما عبر مسيلمة عن ذلك، إن نبيًّا من بينكم أفضل من نبي من الخارج[1]. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن مسيلمة مصرًا على الالتزام الديني، ولكن على التضامن (الشعور الإقليمي والعشائري). إضافة إلى ذلك، لقد اشتهر مسيلمة على نحو مبكر بمعرفته للعقائد العشائرية: الكهانة، واستعماله للمهارات السحرية، وإشارته لنفسه بأنه «رحمن». وعلى أي حال، إن مسيلمة لم يعلن عن نبوته فقط، لكنه أعلن أيضًا أن محمدًا ﷺ قد جعله شريكه وخليفته عندما زار النبي ﷺ في المدينة. يذكر هذا بالطلب الذي وجهه هوذة إلى النبي ﷺ مقابل قبوله للإسلام.

(1) البلاذري، **فتوح**، ص87.

وفد اليمامة

تحتوي المصادر الإسلامية كالعادة على روايات مختلفة حول وفد بني حنيفة الذي ذهب لتقديم الولاء إلى النبي ﷺ عام 9/ 629. إن الأشكال المختلفة للقصة هي، باختصار، كالآتي:

1 ـ قدم هذه الرواية ابن إسحق، كما وردت في أماكن أخرى بصور مماثلة تقريبًا. يروي ابن إسحق أن وفد بني حنيفة تشرف أمام النبي ﷺ، وأن مسيلمة كان معهم. وعلى أي حال، لقد كان مسيلمة مغطى بالملابس لذلك لم يكن النبي ﷺ قادرًا على رؤيته. وتحدث مسيلمة مع النبي ﷺ وطلب أن يكون شريكًا في النبوة لكن النبي رفض بقوله: إنني لن أعطيك أبدًا حتى هذا العود الذي في يدي. ويجب ملاحظة أن هذه الرواية للقصة قد نقلها ابن إسحق وفقًا لأحد علماء المدينة[1].

2 ـ على الفور بعد رواية ابن إسحق، يقدم ابن هشام رواية أخرى مختصرة ومختلفة كليًّا[2]. ويقدمها ابن إسحق الذي يروي أن وفد بني حنيفة قابل النبي ﷺ وتقبل الإسلام. وكان مسيلمة، على أي حال، قد تخلف وراءهم للمحافظة على ممتلكاتهم. لذلك عندما أخبر الوفد النبي ﷺ عن القصة، قيل إنه أجاب: في الحقيقة، إنه ليس الأسوأ بينكم. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه

---

(1) روح المعاني، للألوسي اسم المحقق: عبد العزيز النجار، ص165.

(2) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص244؛ الطبري، **تاريخ**، الجزء 4، ص137.

الرواية نقلها إلى ابن إسحق عالم من اليمامة[1]. كما أن الطبري وابن هشام والواقدي جميعهم روَوا أنه عندما قيل لمسيلمة ما قاله النبي، قال في الحقيقة، لقد كان النبي يعرف أنني جُعلت شريكه في هذه المسألة[2]. على أي حال، عندما عاد الوفد إلى اليمامة، نشر مسيلمة والرجال بن عنفوة (الذي كان في الوفد) فكرة أن مسيلمة كان قد جُعل شريكًا وخليفة للنبي. ويعتبر الطبري أن هذه القصة هي بداية النبوة المزيفة لمسيلمة - وهذا يناقض روايته السابقة حيث يذكر أن مسيلمة بدأ نبوته المزيفة قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة[3].

3 ـ يروي ابن القيم رواية عن ابن عباس قصة مختلفة زار فيها مسيلمة المدينة، وظل فيها واضعًا أمام النبي ﷺ بعض الشروط، مثل الشراكة في النبوة والخلافة، مقابل قبوله الإسلام. ويقال إن النبي، على أي حال، رفض شروط مسيلمة لكنه ترك الباب، مفتوحًا بتعيين قائد أنصاري، هو ثابت بن قيس بن شماس (أحد قادة الجيش الإسلامي الذين أنهوا حركة مسيلمة لاحقًا) لمناقشة الخلاف مع مسيلمة[4].

4 ـ يذكر البلاذري أن مسيلمة ناقش النبي ﷺ قائلًا : في

---

(1) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص244؛ الطبري، **تاريخ**، الجزء 4، ص138.

(2) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص244؛ الطبري، **تاريخ**، الجزء 4، ص138. وابن الأثير، **سيرة**، الجزء 4، ص100.

(3) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص283.

(4) ابن القيم، **زاد**، الجزء 1، ص389.

الحقيقة، إذا كنت ترغب أنت (النبي) في أن تكون وحدك في المسألة كلها وتريد محالفتنا (بني حنيفة)، فإنك يجب أن تعتبرنا (مسيلمة) خليفة لك. ويقال، على أي حال، إن النبي أجاب: أبدًا، إن الله سوف يدمرك فعلًا[1].

باختصار، يمكن للمرء هنا أن يميز وجهتي نظر. الأولى توجد في روايات ابن إسحق، التي تستند إلى حجة عالم من المدينة، وابن القيم إلى حجة وابن عباس، والبلاذري. وفي هذه الروايات، قيل إن بني حنيفة رفضوا الإسلام. والثانية هي وجهة النظر التي كانت في رواية أخرى لابن إسحق نقلها عن عالم مجهول من اليمامة، والتي وفقًا لها قبل بنو حنيفة الإسلام. ويمكن تجاهل هذه الرواية بسبب أصلها المجهول وتحيزها الواضح.

من بين المؤرخين الحديثين، يعتقد كايتاني، على سبيل المثال، أن قصة الوفد ذات أهمية قليلة، لأنه يعتبر أن أعضاء الوفد كانوا يمثلون أنفسهم فقط. ويعتقد كايتاني أيضًا أن خصوم مسيلمة زاروا المدينة واعتنقوا الإسلام، لكنهم لم يمثلوا مسيلمة أو بني حنيفة[2]. لذلك فإن استنتاج كايتاني يستند إلى مغالطة، أي إن جميع المصادر تتحدث عن وفد بني حنيفة، ولكن لا يذكر أي منها حقيقة أن معارضي مسيلمة كانوا بين الوفد، حتى ولا

(1) البلاذري، **فتوح**، ص25.

(2) كايتاني، Studi، الجزء 3، ص25.

ثمامة بن آثال الذي ذهب إلى المدينة نتيجة ذلك وحده، وأعلن قبوله الإسلام. كذلك لا تتطابق نقطة كايتاني الثانية، أي إن الوفد لم يمثل قومه، مع حقيقة أن جميع الوفود التي قيل إنها جاءت أمام محمد كانت تمثل على الأقل جزءًا ما من منطقتها أو أقسامًا من قبيلتها.

على المرء هنا ملاحظة أن المؤرخين التقليديين أضفوا أهمية كبيرة على قصة الوفود، وبالتالي اعتبار أن بني حنيفة تقبلوا الإسلام لأن وفدهم فعل ذلك. لحل هذا اللغز على المرء الاعتراف، في ضوء قصة الوفد، التي يرد ذكرها باستمرار في كل مصدر أساسي، أن بعض أفراد بني حنيفة قد تقبلوا الإسلام، ونتيجة ذلك، أن بعض أفراد بني حنيفة في اليمامة أصبحوا مسلمين. إضافة إلى ذلك، لقد قيل إن ثمامة بن آثال وقومه قبلوا الإسلام. وبالإضافة إلى ذلك، إن إصرار مسيلمة على مشاركة النبوة مع محمد ﷺ يوحي بأنه كان هناك عدد كبير من المسلمين في اليمامة كان مسيلمة يناشدهم. لكن هذا لا يعني أن بني حنيفة كلهم، أو أن مسيلمة ومساعديه المقربين كانوا مسلمين.

في الحقيقة، لقد ذكرت المصادر أن النبي ﷺ كان يرسل المبعوثين باستمرار، وهم يحملون الرسائل إلى مسيلمة. وكان هؤلاء يتضمنون عمرو بن أمية الضمري والصعب بن عوان الذي كان في اليمامة عندما توفي النبي ﷺ[1]. وأما بالنسبة إلى محاولة

(1) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 2، ص342.

النبي إحضار مسيلمة إلى المدينة، فيروي ابن شبة أن النبي أرسل مسلمًا من بني حنيفة إلى مسيلمة يطلب حضور الأخير، لكن مسيلمة رفض طلب النبي ﷺ خوفًا من أن يتعرض للقتل[1].

باختصار، لقد كانت العلاقات بين المدينة واليمامة خلال عهد هوذة ومسيلمة نفسها تقريبًا استنادًا إلى الروايات المختلفة. لقد دعا محمد ﷺ في رسالته هوذة، ثم مسيلمة وبعض وجهاء اليمامة أيضًا، إلى الإسلام. وحاول أيضًا أن يقنع مسيلمة، بعدما أعلن الأخير نبوته، أن يفكر في الإسلام والدولة الإسلامية. لقد حاول النبي ﷺ، على أي حال، حل هذا الصراع من دون اللجوء إلى استخدام القوة، وهذا يفسر إرسال الوفود إلى اليمامة.

في ما يتعلق برد اليمامة، فإنه يخدم أخيرًا وبصورة عامة هدفًا ثابتًا وحيدًا. لقد كان طلب هوذة معروفًا، وهو طلب سياسي، وهو أن يصبح خليفة محمد ﷺ. وكان طلب مسيلمة معروفًا، وهو طلب ديني - سياسي، وهو أن يكون شريك محمد في النبوة وخليفة له. ولم يتوقف الاتصال بين المدينة واليمامة عند وفاة محمد ﷺ. فقد أرسل الخليفة أبو بكر، مالكًا بن عمرو التغلبي إلى مسيلمة، لكن هذه المحاولة لم تنجح[2]. ونتيجة

(1) أبو زيد بن شبة، عمر، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهمي محمود شلتوت، (جدة 1393)، الجزء 2، ص274. في ما بعد ابن شبة، **تاريخ**. انظر أيضًا الكلاعي، **حروب الردة**، ص107.

(2) وثيمة، **الردة**، ص19.

ذلك، لم يكن أمام المدينة أي خيار سوى شن الحرب ضد اليمامة، وكان التبرير المعطى لهذا العمل هو أنه من الضروري إعادة بني حنيفة إلى الإسلام بالقوة لأنهم كانوا مرتدين. وقد عُرفت هذه الحرب في التاريخ الإسلامي باسم حرب الردة.

- 7 -
الغزو الإسلامي لليمامة

الردة

كانت حروب الردة هي المعارك التي شنها المسلمون بقيادة أبي بكر، الخليفة الأول، ضد القبائل العربية المعارضة في شبه الجزيرة العربية. وقد سبقت الفتوحات التي تلت لبلاد المشرق وشمال أفريقيا، وأدت إلى توسيع الدولة الإسلامية.

خلال حياته، سيطر محمد ﷺ على كثير من القبائل في مكة والمدينة وحولهما. ولكن قبل وفاته، وبخاصة إثر موته، ظهرت عدة حركات ردة في مختلف المناطق القريبة.

على الرغم من أن المؤرخين المسلمين يستعملون تعبير «حروب الردة»، ويعنون بها الحرب بين العشائر التي تلت وفاة محمد، فمن الواضح أن محمدًا ﷺ، لم يكن قد نجح في تحويل جميع القبائل العربية لتأييد قضيته عند وفاته. لقد منحت بعض القبائل في الحقيقة ولاءها للدولة الإسلامية بسبب هيبة محمد ﷺ الشخصية ونجاحاته السياسية والعسكرية العديدة. إضافة إلى ذلك، كان تأثير محمد الشخصي قد منحه قوة وسلطة فوق ما ناله نتيجة

الاتفاقيات الرسمية[1]. وعلى الرغم من هذا، لم يمد محمد ﷺ سيطرته على شبه الجزيرة العربية بأكملها. وفي ضوء هذا، تصبح تسمية «حروب الردة» مضللة إلى حد ما.

لقد تحمل أبو بكر وطأة الحروب التي بدأت بعد وفاة محمد ﷺ، وغطت أغلب شبه الجزيرة العربية. ويروي الطبري بحيوية هدف هذه الحروب. ويكتب أن «... جميع القبائل العربية ارتدت. وكان المسلمون مثل الخراف في ليل شتوي ماطر، بسبب وفاة النبي ونقص عدد سكانهم»[2] (انظر الخريطة 9).

يبدو أن أحد الأسباب الأساسية لبعض القبائل رفض التعاون في البداية مع أبي بكر كان اقتصاديًا. فقد رفضوا دفع الزكاة. وفور تولي أبي بكر الخلافة، ذهب وفد من القبائل المرتدة إلى المدينة للتفاوض حول الاتفاقيات الجديدة معه. وطلب المندوبون استثناءهم من الزكاة على الرغم من أنهم وافقوا على مواصلة أداء التزاماتهم الباقية. ورفض أبو بكر، وانطلق بعد ذلك لإخضاع هذه القبائل.

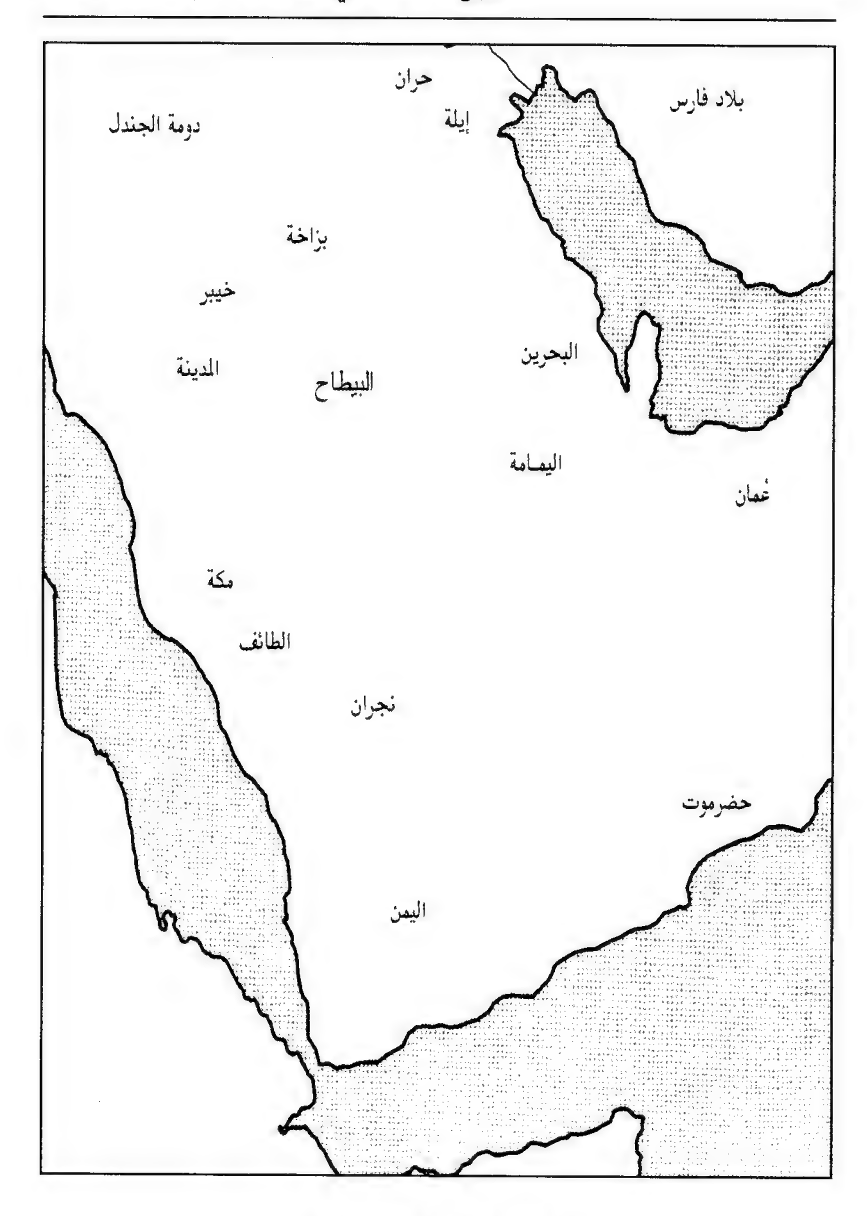
ربما كان أبو بكر مجتهدًا بصورة خاصة في ما يتعلق بسنة النبي، لأنه لم يكن مدعومًا بالإجماع من الصحابة (أصحاب النبي ﷺ) في محاولته لجباية الزكاة من رجال القبيلة المعارضين. وقد نجم اختلافهم مع أبي بكر عن فكرة أن محمدًا ﷺ لم يكن

(1) شوفاني، **الردة**، ص13.

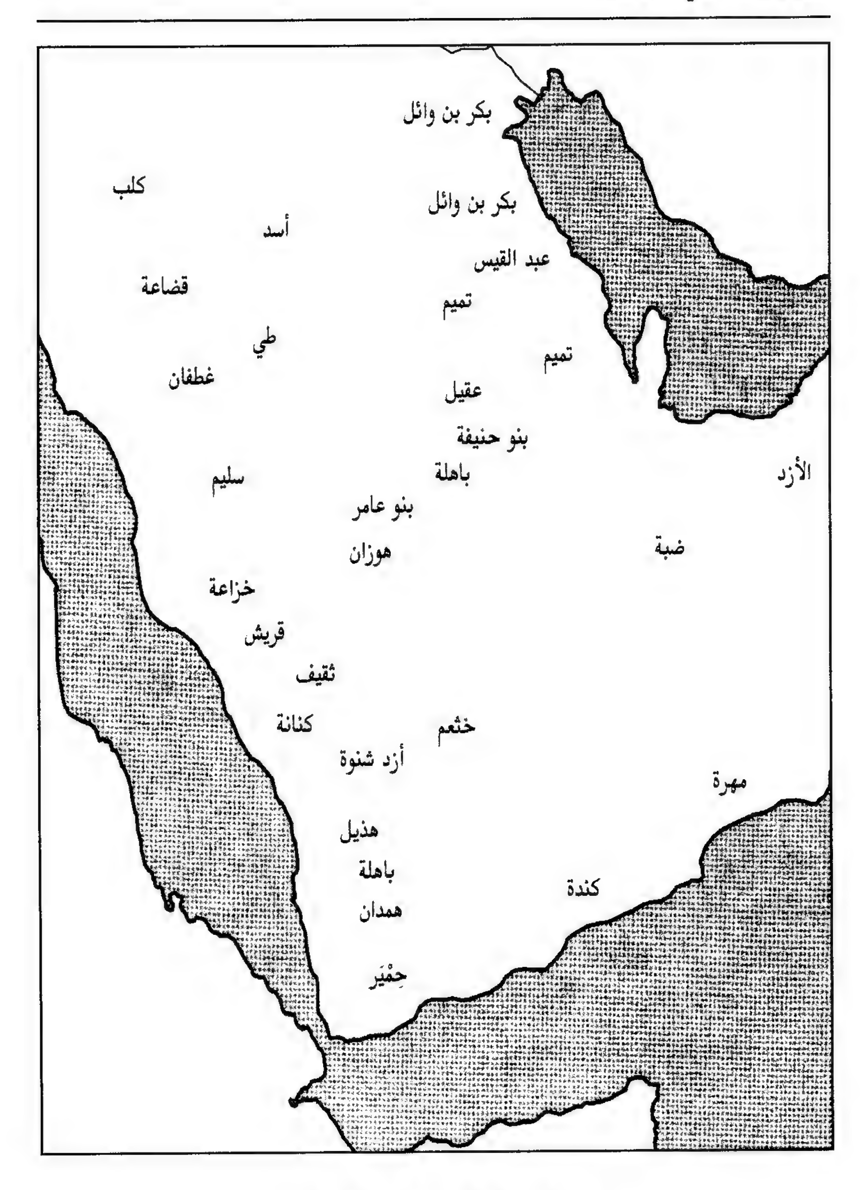
(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص242.

يصر على جمع الزكاة. على أي حال، أعلن أبو بكر أنه سيجبر الجميع كي يدفعوا له القدر نفسه من الزكاة الذي كانوا يدفعونه إلى النبي ﷺ.

ولكن حتى خلال حياة النبي ﷺ لم تكن جميع القبائل التي أذعنت لمحمد تدفع الزكاة. ولم يكن النبي نفسه مسيطرًا على بني حنيفة. إضافة إلى ذلك، ربما كانت أغلبية القبائل المرتدة راغبة في تأدية متطلبات الإسلام غير الاقتصادية بممارسة الأركان الأربعة الأخرى. وكانت القبائل المجاورة للمدينة ـ عبس وذبيان وبنو كنانة وغطفان وفزارة ـ أكثر ميلًا إلى أن يتبعوا الإسلام، بينما لم تخضع القبائل البعيدة من المدينة لمحمد ﷺ في البداية، على الرغم من أن بعض أفرادها قبلوا الإسلام. (انظر الخريطة 10).



الخريطة 9: خريطة الردة



الخريطة 10: مواقع القبائل
في القرنين السادس والسابع الميلاديين

كما ذكر سابقًا، ليس هناك إجماع على الدرجة التي نجح معها محمد ﷺ فعلًا في توحيد شبه الجزيرة العربية تحت حكمه. ويكتب المؤرخ الألماني كارل هـ. بيكر (Carl H. Becker) أنه «... في الواقع، لم يكن محمد ﷺ قد وحد الجزيرة العربية على الإطلاق، ولم يكن قد حوّل جميع البلاد إلى الإسلام»[1]. وتتفق أكثر المراجع، على أي حال، على أن سيطرة محمد ﷺ على دين الإسلام كانت أعظم من سيطرته السياسية على شبه الجزيرة العربية، على الرغم من رغبته في إضفاء الطابع الشمولي على دعوته. وهناك عدة أمثلة لإثبات أن محمدًا ﷺ لم يسيطر على قبيلة بني حنيفة. وكما ورد سابقًا، كان هوذة، ملك اليمامة، قد اشترط بأن يشارك النبي ﷺ في حكم الجزيرة العربية، وطلب، وفقًا للبلاذري، من محمد ﷺ أن يُعينه خليفة له[2].

يصنف كايتاني، العالم الإيطالي، القبائل العربية ضمن أربع فئات: (1) القبائل التي خضعت لمحمد ﷺ واعتنقت الإسلام؛ (2) القبائل التي خضعت لمحمد ﷺ وتقدمت نحو الإسلام: هوازن وعامل وطي وسليم؛ (3) القبائل التي عاشت على محيط دولة المدينة وخضعت سياسيًّا إلى الإسلام وكانت تعتبر ظاهريًّا مسلمة؛ (4) القبائل التي تتضمن الذين حافظوا على استقلالهم عن المدينة، ومن بينها أقلية صغيرة أرادت مساعدة النبي ﷺ ضد

(1) كارل هاينريخ بيكر، *Islamstudien von Verden und Wess der Islamischen Welt*، (لايبزيغ 1924)، الجزء1، ص335.

(2) البلاذري، **فتوح**، ص87.

خصومه: بني حنيفة وعبد القيس وأسد، وقبائل عُمان وحضرموت وغيرها[1].

لذلك، لم تكن اليمامة بأي شكل منطقة إسلامية رغم وجود بعض المسلمين المقيمين فيها. كذلك كان ثمة حركة دينية وسياسية (حركة مسيلمة) تتطور ضمن خطوط توازي خطوط الدولة الإسلامية في المدينة. إضافة إلى ذلك، كان التضامن العشائري مستخدمًا لخدمة هدف كل من الجانبين (نبي مضر ضد نبي ربيعة، كما في قصيدة نظمها عمارة بن عقيل)[2]. لذلك، كان لا بد للطرفين من أن يواجه كل منهما الآخر في ساحة المعركة.

حرب اليمامة

ربما كان ثمامة بن آثال وأتباعه المسلمون أول من أمرهم محمد ﷺ مواجهة مسيلمة وأتباعه في عاصمة اليمامة وحولها. في الوقت نفسه، قيل إن ثمامة تفاوض بصورة سلمية مع مسيلمة حول الطرائق المحتملة لتهدئة التوتر بين اليمامة والمدينة من خلال تبادل الرسائل[3]. وعندما استلم ثمامة رسالة النبي ﷺ، التي أمره

---

(1) كايتاني، Studi، الجزء 3، ص346 ـ 349.

(2) تقول قصيدة عمارة بن عقيل من تميم أكان مسلمةُ الكذّاب قال لكم لن تدركوا المجد حتى تغضبوا مضرًا. انظر المبرد، **كامل**، الجزء 3، ص26. وقيل عن طلحة النميري أيضًا: أنه قال في الحقيقة، إن كذاب ربيعة، قبيلة مسيلمة، أعزّ لدينا بكثير من كذاب مضر، قبيلة محمد، الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص286. وكان أبو وثيمة بن الفرات قد جمع أسماء الذين قيل إنهم قبلوا الإسلام، انظر كتابه، **الردة**، ص13 ـ 19.

(3) ابن هشام، **سيرة**، الجزء 4، ص279

فيها أن يقف بحزم ضد مسيلمة ويحاربه[1]، قام ثمامة بإزعاج بعض القرى على نحو صاخب. وجرت معركتان بين أتباع ثمامة وقوات مسيلمة في منطقتي دوران وسحام. وقد كسبتهما فئة مسيلمة. وقد يكون ثمامة قد تلقى الكثير من المساعدة في هذه المعارك من المدينة ومن تميم، عدو اليمامة الدائم.

كان بنو حنيفة يطلقون على مجموعة ثمامة اسم مجموعة أبي الفصيل (وهو لقب ساخر أطلقه خصوم أبي بكر عليه). وعلى أي حال، حدث تغيير دراماتيكي في موقف تميم عندما انسحب مقاتلو تميم من معسكر ثمامة نتيجة الاتفاقية التي جرى التوصل إليها بين زعيمة تميم، سجاح ومسيلمة[2]. ونتيجة ذلك، وجد ثمامة أنه قد ضعف وانعزل كثيرًا بحيث كان لا بد من أن يغادر اليمامة. عندئذ انضم هو ورجاله إلى العلاء بن الحضرمي، وهو قائد مسلم، لمحاربة إحدى حركات المرتدين في شرقي الجزيرة العربية. وقد اغتيل ثمامة هناك في ظروف مجهولة[3].

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص187. أرسل النبي محمد ﷺ فرات بن حيان العجلي للاجتماع مع ثمامة.

(2) ابن الأثير، **أسد**، الجزء 1، ص246.

(3) قال ثمامة بن آثال لأتباعه: في الحقيقة، والله إنني لن أبقى مع الذين تصرفوا بشكل آثم، إن الله سيعاقبهم بمحنة لن يتعافوا منها. أعتقد أننا لن نتخلف عن أولئك المسلمين، وبخاصة حين يمرون أمامنا ونحن نعرف وجهتهم. لقد حان الوقت للالتحاق بهم ومن يريد عمل ذلك، يجب أن يغادر. لذلك غادروا إلى البحرين وانضموا إلى العلاء، انظر ابن الأثير، **كامل**، الجزء 2، ص241. انظر أيضًا الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص269، ابن عبد البر، **استيعاب**، الجزء 1، ص213.

في ذلك الوقت كانت اليمامة تتعرض لخطر حقيقي من جهة تميم، التي كانت ترئسها النبية المزيفة سجاح. وما نملكه من مادة موثقة حول سجاح وتعاليمها أقل حتى مما لدينا عن مسيلمة. والمرجع المؤكد الوحيد عنها لدى الطبري هو في كلمات سيف ابن عمر، بأنها كانت «... قوية في المسيحية» وتعلمت كثيرًا بين القبائل المسيحية في تغلب. وقد قادت حملة ضد مسيلمة بصورة خاصة بقصد جلب الدمار لمنطقة غنية. ويتحدث أبو الفرج الأصفهاني عن هذا بأسلوب أكثر تفصيلًا من الطبري، قائلًا إن سجاح تقدّمت حتى وصلت إلى حجر نفسها. إن هذا الظرف وحده لا بد أن يكون قد دفع مسيلمة إلى التفاوض معها[1].

تمّ التوصل إلى اتفاقية بين النبي المزيف والنبية المزيفة، وتلقت سجاح وفقًا لها نصف محصول اليمامة. بالإضافة إلى ذلك، كان مسيلمة ملزمًا بإعطائها محصول السنة التالية. بعد ذلك عادت سجاح مع أتباعها إلى منطقة ما بين النهرين. ولم تترك الروايات الإسلامية أي تفاصيل عن هذه المعاهدة إلا ما كان يتعلق بالزواج المخزي الذي قيل إنه حدث بين النبيين المزيفين. على أي حال، إن التقارير المتعلقة بهذا الزواج لا بد أن تكون خيالية. لأن مثل هذا الزواج كان سيُعتبر متناقضًا بشكل صارخ مع تعاليم مسيلمة.

وصل الجيش الإسلامي الأول إلى اليمامة بقيادة قائد بارع، هو عكرمة بن أبي جهل، لكنه تعرض لهزيمة مخزية بعد معركة

(1) ابن الأثير، **كامل**، الجزء 2، ص369، والزبيدي، **تاج**، الجزء 7، ص203.

قصيرة. تبع ذلك الجيش الإسلامي الثاني الذي كان بقيادة زعيم متحمس، هو شرحبيل بن حسنة. وتعرض هذا الجيش أيضًا لهزيمة فاجعة أمام جيش مسيلمة. وقد كان الحماس، والرغبة في الحصول على شرف إنهاء حركة مسيلمة، قد ساهما في هزيمة الجيشين الإسلاميين[1]. ولسوء الحظ، لا تذكر المصادر الإسلامية سوى القليل من التفاصيل عن الجيشين. ويمكن فقط للمرء أن يخمّن بأن النصر الذي ناله بنو حنيفة قد منحهم القوة النفسية والثقة بزعيمهم، وهو ما كانوا بحاجة إليه للمستقبل.

كانت الهزيمة الإسلامية في اليمامة كبيرة ومؤلمة. ولهذا السبب قرر أبو بكر إبادة سكان المنطقة كلهم، بمن فيهم أغلبية بني حنيفة. ولتنفيذ هذه الاستراتيجية، أمر أبو بكر أقوى جيش لديه، الذي كان بقيادة القائد العربي البارع، خالد بن الوليد، أن يتحرك بسرعة وبصورة فعالة باتجاه اليمامة. على أي حال، كان خالد يقود حملة في البطاح ضد بني تميم عندما تلقى أمر الخليفة. لذلك، كما يذكر الواقدي، كان لا بد أن يستخدم دليلًا يوجه

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص269 ـ 75؛ الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 14، ص88 (1958). لا ترد قصة سجاح في أي مكان آخر كاملة؛ ولا يُعرف أي شيء عنها قبل ظهورها المفاجئ، والقليل هو المؤكد بعد ذلك. هنالك، على أي حال، عدة روايات للحادثة الرئيسية التي تشارك فيها. من أجل بحث وتحليل أكثر تفصيلًا حول النساء في بداية الإسلام انظر ن. أبوت، «النساء والدولة عشية الإسلام»، **المجلة الأميركية للغة والأدب الساميين**، 8، (تموز/ يوليو 1941)، رقم 3، ص281.

جيشه نحو الطريق الأسرع والأقصر إلى اليمامة[1]. يذكر الطبري، على أي حال، أن خالدًا غادر البطاح نحو المدينة قبل انطلاقه إلى اليمامة[2]. ويبدو أن رواية الطبري تتفق مع الأحداث التاريخية بدقة أكثر، لأن خالدًا كان قد تجاوز سلطته، وكان عليه أن يقدم تقريره إلى الخليفة شخصيًا حول الأعمال التي لم يُخوّل القيام بها، والتي نفذها في البطاح.

بينما كان خالد في طريقه إلى اليمامة، كان برفقته سرعي ابن الحكم السعدي من تميم دليلًا[3]. وكان الجيش، وفقًا للروايات المختلفة، يُقدر بحوالى 4000 رجل مقاتل، يتضمنون 500 من قبائل قريش وأسد وطي، وعدة أفراد بدو من نجد[4]. كما أرسل الخليفة مجموعتين قويتين أيضًا من الجنود بقيادة السليط بن عمرو وجرير بن عبد الله البجلي. ولا تتفق التقارير حول ما إذا كان الثاني قد شارك في القتال إلى جانب جيش خالد بسبب مغادرته المتأخرة[5].

يقدّر الطبري أن جيش بني حنيفة كان كبيرًا يصل إلى 40

---

(1) من أجل الأول انظر الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص282، واليعقوبي، **تاريخ**، الجزء 2، ص146. ومن أجل الثاني انظر ابن الأثير، **كامل**، الجزء 2، ص244، وياقوت، **معجم**، الجزء 2، ص44.

(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص278 والبلاذري، **فتوح**، ص89.

(3) ابن حجر، **إصابة**، الجزء، ص266.

(4) المرجع السابق، ص20.

(5) حسين بن محمد ديار بكري، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، (القاهرة 1866)، الجزء 2، ص209. في ما بعد ديار بكري، **تاريخ**.

ألف مقاتل[1]. ويذكر تقرير آخر وضعه رافع بن خديج أن عدد المقاتلين لم يزد على 4 آلاف[2]. ويمكن اعتبار رواية الطبري موضع ثقة. من المعروف أن جيش بني حنيفة لم يتضمن بني حنيفة فقط، ولكن أغلب عشائر قبيلة ربيعة أيضًا، ومن بينهم بنو عجيل، وبنو قيس بن ثعلبة، وبنو يشكر[3]. حاول مسيلمة كسب بعض فئات بني تميم. وقد يفسر هذا مفاوضاته الودية مع بعض الشخصيات الرفيعة من بني تميم مثل الأحنف بن قيس وعمّه. وأما بنو أسيد من تميم فقد نالوا حرية التصرف الكاملة في مزارع بني حنيفة مكافأة لهم على الانضمام إلى جيش مسيلمة[4].

كانت أهم ثغرة في حرب اليمامة هي اتفاقية مسيلمة وسجاح. فبسبب هذه الاتفاقية اتخذت أغلبية بني تميم موقعًا محايدًا، ولم تقدم المساعدة إلى أي من الطرفين[5]. وعلى أي حال، لم تدم اتفاقية مسيلمة وسجاح طويلًا، وانضم بنو تميم إلى الجيش الإسلامي. ولا تهتم المصادر، على أي حال، بمثل هذا الدليل، ولا بالأسباب الكامنة وراء إخفاق الاتفاقية. والسبب المحتمل وراء إخفاق المعاهدة هو أن الوعد الإسلامي بالغنيمة

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص282؛ ديار بكري، **تاريخ**، الجزء 2، ص344.

(2) ديار بكري، **تاريخ**، الجزء 2، ص237.

(3) البلاذري، **فتوح**، ص91.

(4) إيكلمان، «**مسيلمة**»، ص39.

(5) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص269 ـ 70؛ الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 17، ص165.

والنشاط العسكري قد أقنع بني تميم بالانضمام إلى الجيش الإسلامي[1].

معركة عقرباء

عقرباء هو اسم السهل الذي واجه فيه الجيش الإسلامي، في معركة دامية، جيش بني حنيفة القوي الذي يضم 40 ألف مقاتل. وهو يقع بين وادي قرّان إلى الشمال وأباض إلى الجنوب. كان الموقع استراتيجيًّا. فالقرى السكنية تقع وراء عقرباء لذلك كان من السهل على بني حنيفة تلقي التموين من دون خوف من أن يعزلهم الجيش الإسلامي[2]. ويُعتقد أن الجيش الإسلامي زحف إلى اليمامة على امتداد طريق الأحيسي، الممر الطبيعي الوحيد في المنطقة. وعلى أي حال، كانت في الأحيسي قوة من بني حنيفة يقودها مجاعة بن مرارة، ربما خرجت في مهمة استطلاع، وقد

---

(1) شوفاني، **الردة**، ص34. انضم بعض قادة تميم إلى جيش المسلمين. مثال على ذلك الأقرع بن حابس، انظر ابن حجر، **إصابة**، الجزء 1، ص59. يعتقد حمد الجاسر أن الفارق في المستوى الاقتصادي والاجتماعي لأهل اليمامة، مثل الحضري وغير الحضري، وغياب قرابة الدم بين مجموعات مختلفة في اليمامة، يمكن أن يوضح الحافز الذي دفع البدو للالتحاق بجيش المسلمين. انظر حمد الجاسر، «تحديد منازل القبائل القديمة...»، **العرب**، 8، (الرياض 1973)، ص597.

(2) خليفة، **تاريخ**، الجزء 1، ص72؛ ديار بكري، **تاريخ**، الجزء 2، ص234؛ الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص288، وياقوت، **معجم**، الجزء 3، ص694. من أجل وصف المعركة انظر محمد أبو الفضل إبراهيم، **أيام العرب في الإسلام**، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية 1986)، ص161 ـ 7.

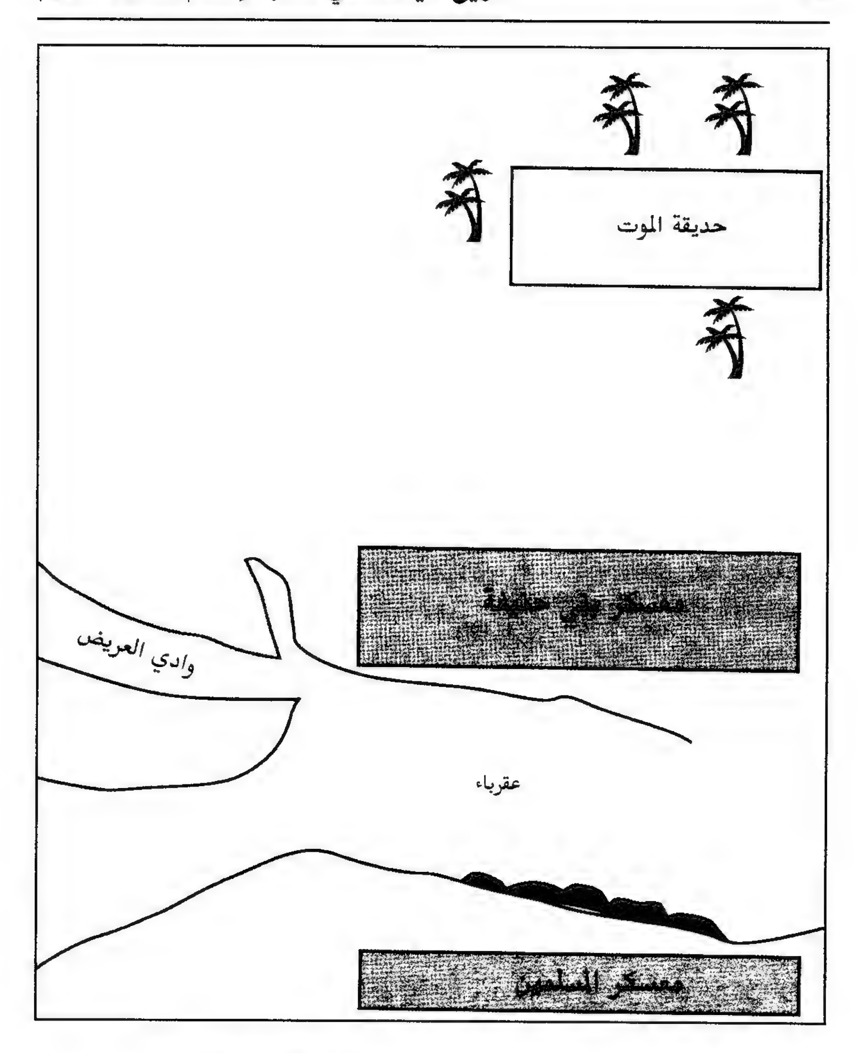
أسرها المسلمون (انظر الخريطة 11)[1]. وقد أُعدم جميع أفراد القوة ما عدا مجاعة الذي أُبقي عليه، بسبب مكانته النبيلة، من أجل المفاوضات المستقبلية المحتمل حدوثها مع بني حنيفة.

إن حقيقة بقاء مجاعة وحده حيًّا في النهاية تشير في حد ذاتها إلى استعداده لأن يكون ذا نفع للجيش الإسلامي. ويؤكد ابن سعد، في **الطبقات**، جازمًا أنه كان في الأصل شريفًا، وطمأن خالدًا، منذ البداية، بأنه ظل في قلبه دائمًا مسلمًا ونصيرًا للنبي محمد ﷺ. وردًّا على سؤال خالد حول سبب عدم تركه مسيلمة، وعدم خروجه إلى خالد، وعدم قوله الأشياء التي قالها ثمامة بن آثال، لم يكن مجاعة قادرًا على تقديم أي رد. لقد طلب العفو فقط، وحصل عليه. وعلى الرغم من ذلك ظل مجاعة، وفقًا للبلاذري والطبري، مقيدًا حتى تحقق النصر للمسلمين، لأنه كان بالنسبة إلى خالد على نحو ما مجرد رهينة[2]. ويبدو أن جيشي المسلمين وبني حنيفة قد انتظرا كي يستعدا للمعركة أو ليتلقيا

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص286 ـ 7.

(2) كان مجاعة بن مرارة من الأشراف، ابن حجر، **إصابة**، ص716؛ أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، **معجم الشعراء**، تحقيق أ. أ. فرج (القاهرة، دار إحياء الكتب 1960)، ص472. في ما بعد المرزباني، **معجم**. انظر أيضًا وثيمة، **الردة**، ص21، كان مجاعة قد أقطعه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أراضٍ في اليمامة. ابن سلام، أبو عبيد القاسم، **كتاب الأموال**، خلال حرب اليمامة، تعرض مجاعة للأسر ووُضع في القيود حتى انتهت الحرب. الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص286، والكلاعي، **حروب الردة**، ص153.

تفاصيل أكثر كل عن الآخر، على الرغم من أن الجيش الإسلامي كان متمركزًا في موقعه قبل أن يفعل جيش بني حنيفة ذلك. وقد شن بنو حنيفة الحرب في صباح مشمس. واستمرت المعركة حتى المساء عندما حقق بنو حنيفة نصرًا. وبدت هزيمة الجيش الإسلامي قاسية وخسائرهم كبيرة. ولكن هذه المعركة، على أي حال، بيّنت للمسلمين مقدرة بني حنيفة وقوتهم حين تمكنوا من الوصول ودخول مقر القيادة الإسلامية حيث كان يقيم خالد وعائلته.



الخريطة 11: مخطط تخيّلي لمعركة عقرباء

هناك روايتان مختلفتان عن أسباب هزيمة المسلمين. لقد اعتبر سيف بن عمر أن المهاجرين (أهل مكة) والأنصار (أهل المدينة) يجب أن يلاموا على الهزيمة. أما البدو، بشكل رئيسي من بني تميم، قبيلة سيف، فقد قاتلوا بشجاعة وإخلاص[1]. ويعتبر ديار بكري، من ناحية أخرى، أن البدو كانوا سبب هزيمة المسلمين. فالبدو، كما ذكر ديار بكري، لم يعرفوا كيف يحاربون بني حنيفة الحضر، ولم يكن لديهم إيمان قوي بالإسلام لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام[2]. ولكن مهمًّا يكن سبب هزيمة الجيش الإسلامي في عقرباء، فإنه ربما كان مقسمًا في بداية القتال إلى ثلاث وحدات رئيسية: المهاجرون والأنصار والبدو. ويبدو أن الفروق والخلافات بين الوحدات كانت جدية لذلك أمر خالد الوحدات أن تنفذ المعركة بشكل منفصل كي يعرف، كما عبر خالد عن ذلك «... من هو الضعيف ومن ليس كذلك»[3].

شن الجيش الإسلامي هجومًا ثانيًا بعد أن تمكن بالتدريج من دفع بني حنيفة خارج معسكراتهم. عندئذ تمكنت وحدات الجيش الإسلامي الثلاث بشكل جماعي من كسب المعركة حين هاجمت بعنف جيش مسيلمة الذي أُجبر على الانسحاب من ساحة المعركة إلى أباض. ولحق الجيش الإسلامي ببني حنيفة المهزومين

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص292.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق، ص293.

وأجبروهم على الفرار إلى داخل حديقة الرحمن (حديقة الرحمن، مزرعة مسيلمة، التي أُطلق عليها آنذاك اسم حديقة الموت)، التي وجههم نحوها مُحكم اليمامة، ولكن في الطريق سقط المُحكم بعد إصابته بسهم أطلقه عبد الرحمن بن أبي بكر. وقبل أن يتمكن بنو حنيفة من الاختباء في الحديقة وقفل الباب، طلب أحد المحاربين المسلمين، وهو البراء بن مالك، أخو خادم النبي ﷺ المشهور براوية الحديث، أنس بن مالك، أن ينزلوه من فوق السور إلى داخل الحديقة. وعلى الرغم من مهاجمة بني حنيفة له، فقد تمكن من فتح الباب ورمي المفتاح فوق السور. وقد قُتل مسيلمة، ربما داخل الحديقة. وقد زعم شرف قتله أكثر من عشرة أشخاص، ولكن يبدو إن وحشيًّا بن حرب، الحبشي نفسه الذي قتل عم النبي، حمزة، في معركة أحد، هو الشخص الذي يغلب ذكره أنه قاتل مسيلمة، لأنه يُذكر عن وحشي قوله « لقد قَتلت خير الناس [بعد رسول الله ﷺ] وقتلت شر الناس»[1].

في فتوح البلدان، يقدر البلاذري الحد الأدنى لعدد الذين قُتلوا من الجيش الإسلامي بأنه 700، والحد الأقصى بأنه 1700

(1) البلاذري، **فتوح**، ص88 ـ 9، 93. ادعى شرف قتل مسيلمة أكثر من شخص واحد. بعض الذين ادعوا قتله: خالد بن بشير؛ عبد الله بن زيد؛ أبو دجانة سماك بن خرشة؛ عبد الله بن زيد بن عاصم، أخو حبيب الذي أعدمه مسيلمة؛ وحشي الحبشي؛ معاوية بن أبي سفيان. جميع هؤلاء الرجال قيل إنهم شاركوا في قتله. انظر الواقدي، **مغازي**، الجزء 2، ص683، وزين الدين عمر بن الواقدي، **تاريخ ابن الوردي**، تحقيق محمد مهدي (النجف 1969) الجزء 2، ص190.

شخص[1]. وفي رواية أخرى، ذكرها السري، يقدر عدد المسلمين القتلى بحوالى 360[2]. ويذكر سهل أن 300 قد قُتلوا من المهاجرين وحدهم. ويذكر المسعودي أن 23 من المهاجرين و70 من الأنصار قد قُتلوا[3]. وأخيرًا يقدر رافع بن خديج أن القتلى بلغ عددهم 70 من المهاجرين، و70 من الأنصار، و500 من مجموعات أخرى[4]. ويحتمل أن يكون بنو حنيفة تكبدوا خسائر جسيمة. ووفقًا للسري، فقد قتل أو أُعدم 10 آلاف رجل[5]. ويقدر سهل أن نحو 7 آلاف قُتلوا في عقرباء، و7 آلاف في حديقة الرحمن، و7 آلاف في أماكن مختلفة من اليمامة[6]. وذكر الزهري أن بني حنيفة فقدوا بين 700 و7000 رجل[7]. ويظل من الصعب التوصل إلى عدد إصابات كل من المسلمين وبني حنيفة. وعلى الرغم من أن الخسائر الإسلامية كانت بالتأكيد أقل من خسائر بني حنيفة[8]، فإن الأثر كان مريرًا لدى كل من الجانبين. وعلى سبيل المثال، لقد طلب أبو بكر جمع القرآن للمرة الأولى بسبب عدد الوفيات بين الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن.

---

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص288.
(2) البلاذري، **فتوح**، ص92 ـ 3.
(3) المسعودي، **تنبيه**، ص.285.
(4) ديار بكري، **تاريخ**، الجزء 2، ص238، 244 ـ 5.
(5) المرجع السابق، ص245.
(6) المرجع السابق.
(7) المرجع السابق، ص244.
(8) الكلاعي، **حروب الردة**، ص180.

وبالنسبة إلى بني حنيفة، أدت الهزيمة إلى تغييرات دراماتيكية في الخريطة السكانية لليمامة. فقد أُفرغت عدة قرى بالقوة وقُتل أهلها، أو أُخذوا وفقًا لمعاهدة السلام ونُقلوا إلى مواقع أخرى.

وفقًا لرواية ابن إسحق، كان خالد قد تفقد ساحة المعركة برفقة مجاعة، الذي رافقه مقيدًا، ليقتنع بأن مسيلمة قد قُتل فعلًا. وحين وصل إلى جثة مُحكم، وهو رجل بارز ووسيم، افترض خالد أنه نبي اليمامة المزيف، لكن مجاعة أجابه: «كلا، أقسم بالله، إن هذا أفضل وأنبل من مسيلمة، وهو مُحكم اليمامة». في ما بعد دخلا الحديقة ووجدا جثة رجل قزم أصفر اللون أفطس الأنف. وقال مجاعة: «ذاك هو عدوك، لقد تخلصت منه». فسأل خالد: «هل تعني القول حقًا إن هذا القزم الصغير قد فعل معنا ما فعل؟» أجاب مجاعة: «ذلك ما حدث، يا خالد، لكنني أقسم بالله إن القادة الأوائل [أو الأفراد الأوائل] فقط قد خرجوا ضدك، بينما ظل الأشخاص البارزون في قلاعهم»[1].

استعمل البلاذري، على لسان راوية من اليمامة، الكلمات نفسها تقريبًا لوصف مظهر مسيلمة الخارجي. فقد كان قصيرًا، أصفر البشرة وشاحبًا جدًّا وذا أنف مفلطح. وحتى مؤذنه، حجير، اعتاد السخرية منه، قائلًا وقت الأذان للصلاة: «أشهد أن مسيلمة يؤكد أنه رسول الله». وفي ما بعد أصبحت كلمات مسيلمة، «أفصح القول يا حجير». نوعًا من القول المأثور[2].

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص292 ـ 300.

(2) البلاذري، **فتوح**، ص90.

معاهدة السلام

منذ البداية، تجدر الملاحظة أن اليمامة لم تكن مسألة سهلة للمسلمين. ولو أن بني حنيفة نجحوا، لكان مجرى التاريخ الإسلامي سيتغير. كان الجيش الإسلامي حسن الإعداد. وقد عرف الخليفة نفسه قوة بني حنيفة ومقدرتهم. وفي رسالته إلى خالد، يكتب أبو بكر: «في الحقيقة، يجب أن تعرف أنك لم تواجه من قبل عدوًّا مثل بني حنيفة»، وتتابع الرسالة لتصف بالتفصيل شجاعة بني حنيفة وخبرتهم في ساحة المعركة. وفي نهاية الرسالة، يأمر أبو بكر خالدًا بما يلي: «عندما تقرر مكان المعركة وزمانها، اشتبك معهم شخصيًّا وتذكر أن ما من مساعدة ستأتي إليك»[1].

هناك تقارير مختلفة حول التحدي الصعب الذي واجهه المسلمون في اليمامة[2]. وحتى بعد هزيمة بني حنيفة، كان أغلبية الجنود المسلمين يمانعون في دخول قلاعهم، أو معاقلهم أو بعض القرى بسبب ضعف جيشهم وإنهاكه، وربما بسبب خوفهم من بني حنيفة. كما أن بعض المسؤولين الكبار في الجيش الإسلامي، بمن فيهم خالد بن الوليد، تجنبوا دخول القلاع بسبب حالة الجيش الإسلامي. ويروي تقرير آخر أن خالدًا أراد أن يستكمل الغزو بدخول القلاع لكن حالة جنوده منعته من ذلك[3].

(1) ديار بكري، **تاريخ**، الجزء 2، ص237.

(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص290.

(3) المرجع السابق.

ويعتقد آخرون أن خالدًا كان سيدخل القلاع لو أن مجاعة لم يخدعه[1].

في الحقيقة، لم تكن الظروف في اليمامة قبل أن يوقع خالد على المعاهدة واضحة جدًّا. أما الواضح فهو أن أوامر أبي بكر إلى خالد كانت تقضي بإعدام كل بالغ من بني حنيفة. على أي حال، لم ينفذ خالد تعليماته، مفترضًا أنه تلقاها بعد توقيع المعاهدة. وقيل إن خالدًا واجه معارضة قوية بقيادة أسيد بن حضير وأبو نائلة من الأنصار اللذين أصرا على تنفيذ أوامر الخليفة[2].

ويبدو أنه كان ثمة اتجاهان مختلفان في الجيش الإسلامي. كان الأول يؤيد استمرار المعركة ودخول القلاع. وكان هؤلاء في أغلبيتهم من المهاجرين برئاسة عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأسيد بن حضير، وأبي نائلة. وكان الاتجاه الثاني، الذي أيد السلام، هو الذي كان يرئسه القائد العام خالد بن الوليد. وكان خالد، قبل بدء مفاوضات السلام مع ممثلي بني حنيفة برئاسة مجاعة بن مرارة، وفي تنازل قدمه إلى الذين عارضوا السلام، قد أمر بعض وحدات جيشه بأن يبحثوا عن المقاتلين الذين هربوا من المعركة ويأسروا جميع سكان القرى التي دخلوها. ويبدو أن الوحدات الإسلامية هاجمت منطقة واسعة تمتد من سدوس في الشمال وحتى جنوبي العرض[3]. وعلى الرغم من أن العديد من الناس ـ الرجال والنساء والأطفال ـ قد

(1) ديار بكري، **تاريخ**، الجزء 2، ص243.

(2) الكلاعي، **حروب الردة**، ص157 ـ 8.

(3) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص289 ـ 95.

استسلموا، فإن فكرة محادثات السلام مع بني حنيفة كانت غير مرغوب فيها من الأنصار الذين اعتقدوا أن خالدًا قد تجاوز سلطته، ومنع المسلمين من الحصول على قدر كبير من الغنيمة عندما لم يسمح لهم بمواصلة القتال واقتحام القلاع.

نتيجة ذلك، استغل مجاعة الحالة الضعيفة للجيش الإسلامي بأن أوحى إلى خالد إمكانية عقد محادثات السلام[1]. وقيل إن مجاعة قد استعمل خدعة ليجعل خالدًا يقبل رأيه. فقد طلب من جميع الكبار في السن ومن النساء داخل القلاع أن يرتدوا الثياب العسكرية بحيث عندما يراهم المسلمون، يستطيع مجاعة القول إن هؤلاء كانوا مجرد عدد قليل من الرجال المقاتلين، وأن الآخرين لم يتعرضوا للهزيمة، وأنه من الأفضل عدم مهاجمة القلاع. وهكذا وافق خالد على بدء المفاوضات من أجل عقد معاهدة السلام.

على الرغم من هذا، كانت هناك فئة معارضة بين بني حنيفة رفضت فكرة محادثات السلام مع خالد. وكانت هذه المجموعة بقيادة سلمة بن عمير، وهو رجل متشدد عارض شروط المعاهدة بتصميم. فقد بدا له أن الصراع يمكن إطالته، على أمل النجاح، بدعوة القرويين والعبيد إلى التضامن باعتبار أن القلاع قوية وآمنة، وتموين الطعام وافر والشتاء يقترب[2]. وعلى أي حال، أقنع

(1) المرجع السابق، الجزء 3، ص295.

(2) المرجع السابق، ص299؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون العرب**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة 1970)، الجزء 29، ص95. في ما بعد النويري، =

مجاعة بني حنيفة بألا يستمعوا إلى سلمة، وأن يوافقوا على الشروط المقدمة. وكان سلمة نفسه، كما يبدو، يحتل مركزًا اجتماعيًّا رفيعًا بين قومه وكان مجبرًا على المشاركة في الوفد المتجه إلى خالد. ويأتي ذكر سلمة في الموقع الثاني، بعد مجاعة، في نص الاتفاقية. وربما كان يترأس الفئة الشعبية بعد موت مسيلمة والرحال ومحكم اليمامة، مثلما كان مجاعة يترأس الفئة الأرستقراطية. وفي الحقيقة، يطلق سيف بن عمر، في روايته عن أحداث الحرب، على مجاعة لقب «سيد بني حنيفة»، بحيث ينسب إليه بين بني حنيفة المكانة نفسها التي كان أبو سفيان يحتلها في قريش[1]. وعلى الرغم من مشاركته في وضع المعاهدة، فقد حاول سلمة عدة مرات اختراق معسكر خالد كي يقتله. وفي المرة الأخيرة، لحق به أحد الحرس، وطارده حتى وصل إلى قطعة مسورة من الأرض حيث أقدم على الانتحار بقطع أوداجه بسيفه وسقط داخل بئر[2].

تقدم المصادر عدة روايات مختلفة حول المعاهدة، لكن هذه يمكن تلخيصها ضمن فئتين. وفقًا للأولى، كان على بني حنيفة أن يسلموا ذهبهم وفضتهم وسلاحهم ونصف أسراهم «الذكور والإناث والأطفال»[3]. والثانية مماثلة لها ما عدا أن ربع

= **نهاية**. كان والد سلمة مشهورًا باستقامته العالية بين قومه. انظر ابن حبيب، **المحبر**، ص301.

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص289، وبارثولد، **مسيلمة**، ص509.

(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص299.

(3) المرجع السابق.

الأسرى (بدلًا من نصفهم) كانوا سيسلمون[1]. وفي رواية الطبري، على أي حال، كانت المستوطنات قد مُنحت معاهدة سلام ما عدا تسع عشرة قرية، بما في ذلك الثقب، والسيوح، وعقرباء، والغبرة، وفيشان، ومرات، والمصانع، ومنفوحة، والهدار، وثرمداء، والفقي، التي تم الاستيلاء عليها بالقوة، وبذلك فإن معاهدة السلام كانت تتعامل مع أسرى تلك القرى فقط[2]. وتقول رواية أخرى، قدمها ديار بكري، إن أغلبية الغنيمة أتت من الأماكن التي فتحها المسلمون، بما في ذلك نصف الأسرى[3]. ولكن وفقًا للزبيري، كان خالد قد حصل على أغلبية غنيمته نتيجة معاهدة السلام التي عارضها المسلمون في المدينة وأدانها عمر بن الخطاب.

يشير تحليل هذه الروايات إلى أن خالدًا أرسل خُمس عدد الأسرى، أو 500 شخص، على أنهم حصة الدولة من الغنيمة إلى المدينة. ولو أن خالدًا أخذ ربع الأسرى فقط، وهو ما يبدو أكثر احتمالًا، فإن الرقم الإجمالي سيكون عندئذ 2500 شخص من تسع عشرة مستوطنة مستولى عليها، كما اعتقد ياقوت. ويتضمن هذا الرقم النساء والأطفال فقط، لأن الرجال كان لا بد أن يعتنقوا الإسلام، أو يُقتلوا وفقًا للقانون الإسلامي. ومع ذلك فإن عدد الأسرى صغير جدًا بالنسبة إلى تسع عشرة مستوطنة، لذلك فإما أن العدد كان أكبر من المذكور أو أن عدد المستوطنات التي

---

(1) البلاذري، **فتوح**، ص90.

(2) الطبري، **تاريخ**، الجزء 3، ص299.

(3) ديار بكري، **تاريخ**، الجزء 2، ص244.

لم تُمنح معاهدة سلام كان أصغر مما ذُكر. على أي حال، وفقًا للهمداني، لقد دخل خالد حصنين فقط بالقوة[1]، ولم يدخل أي مستوطنات، مما يمكن أن يدعم النتيجة المذكورة آنفًا. ولكن، بالحجة نفسها، هل كان بإمكان قلعتين فقط أن تُسكنا بمثل هذه العدد الكبير مع أسرهم؟

لم تُستقبل معاهدة السلام جيدًا في المدينة، وبخاصة من الأنصار وبعض المهاجرين. وربما يمكن تفسير هذا بحقيقة أن الأنصار فقدوا في معارك اليمامة رجالًا أكثر مما فقد المهاجرون. وكان الشعور العام نحو معاهدة السلام مع اليمامة ناجمًا عن مرارة المسلمين وسخطهم بسبب خسائرهم العالية. ولم يكن لأن خالدًا قلل من فرصتهم في الحصول على غنيمة كبيرة حين قرر عدم اقتحام القلاع. لقد اعتبر المسلمون في المدينة أن خالدًا عصى أوامر الخليفة، وأنه كان عديم الحس بالنسبة إلى المطالبة بالانتقام بين جنوده. لقد لام المسلمون في المدينة خالدًا على عمله لأن رسالة أبي بكر لم تكن بحاجة إلى أي حكم أو تفسير مستقل. وقالوا إن الرسالة كانت واضحة جدًّا. وتقول: ... يجب أن تقتل كل شخص من بني حنيفة وصل إلى سن البلوغ[2]. وقد تم إرسال الرسالة إلى خالد مع سلامة بن سلمة بن وقش. وبالإضافة إلى ذلك، كان عدد من الناس البارزين في المدينة قد بعثوا الرسائل والعرائض التي تحثّ خالداً كي لا يوقع معاهدة

(1) الزبيري، **نسب**، ص321.

(2) الهمداني، **صفات**، ص285.

السلام مع بني حنيفة، بل يقتلهم[1]. لكن حجة خالد كانت، على أي حال، إما أنه وقع المعاهدة قبل استلام الرسالة من الخليفة أو أنه، باعتباره القائد العام، كان يملك الحق في تسيير عمله وفقًا للظروف، وليس وفقًا لموقف أهل المدينة من بني حنيفة.

يلخص البلاذري موقف أبي بكر نحو المرتدين كما يلي: ... على المرتدين أن يختاروا بين أمرين: إما السلام مع الإذلال أو الحرب[2]. وكان معنى السلام مع الإذلال، كما يقول البلاذري، هو أن المسلمين يعرضون السلام إذا وافق الأعداء على الآتي: (1) التخلي للمسلمين عن جميع أموالهم وأملاكهم الأخرى؛ (2) إعادة كل ما أخذوه من المسلمين خلال المعارك؛ و(3) الاعتراف علنًا بحقيقة أنهم كانوا مذنبين، وأن موتاهم مصيرهم جهنم، وأن المسلمين كانوا على حق، ولذلك فهم شهداء[3].

على الرغم من أن خالدًا لم يتبنَّ خطة الخليفة حرفيًا، فقد وقع معاهدة السلام مع بني حنيفة بعد أخذ حالة الجيش بعين الاعتبار. وربما كان قد تعرض للخداع خلال المفاوضات، لكنه حقق الهدف النهائي للدولة، وهو أن تصبح اليمامة تحت سيطرة المدينة. وتجدر الملاحظة أن المعاهدة لم توضع موضع التنفيذ حتى قتلت الوحدات الإسلامية عددًا كبيرًا من الناس، إما في

(1) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** (القاهرة 1941)، ص39.

(2) البلاذري، **فتوح**، ص64.

(3) المرجع السابق.

ساحات المعركة، أو خلال الهجمات التي قامت بها على مناطق واسعة. وقد تبنى خالد خطة تقتضي تفريغ بعض القرى من سكانها من بني حنيفة وإعادة إسكان بعض الأجانب فيها. أدى هذا العمل إلى تغييرات دراماتيكية في الحالة الاجتماعية والسكانية لليمامة، وأضعف في النهاية التضامن العشائري، وقلل من المشاعر المتعلقة بالحكم الذاتي الإقليمي. وضمن إدراك متأخر، يبدو أن معاهدة السلام كانت جيدة بالنسبة إلى المدينة والمسلمين، كما كانت بالنسبة إلى بني حنيفة باعتبار أنها سهّلت الأمر على المسلمين كي يسيطروا على اليمامة.

ـ 8 ـ

إدارة اليمامة

مدخل

من المستحيل تقرير ما إذا كانت أسماء الأماكن في اليمامة، والتي ذكرها المؤرخون والجغرافيون العرب، تشير إلى الوحدات الإدارية أم أنها مجرد أسماء أماكن في عصر ما قبل الإسلام. ويعتقد مؤرخ حديث، هو صالح العلي، أن بعض الأسماء في شبه الجزيرة العربية ربما كانت تشير إلى بعض الوحدات الإدارية في أزمنة مختلفة[1]. وعلى سبيل المثال، إن تعبير العروض (مفردها العارض أو العرض) يستعمله الكتّاب العرب الكلاسيكيون حين يتحدثون عن منطقة اليمامة[2]. ويقولون إن شبه الجزيرة العربية كانت تتألف من خمسة أقسام: تهامة،

(1) صالح العلي، «تحديد الحجاز عند المتقدمين»، **العرب**، 1، (الرياض 1968) في مواضع متفرقة.

(2) ياقوت، **معجم**، الجزء 2، ص161، والجزء 4، ص1027. يأتي ذكر تعبير العرض كثيرًا في شعر ما قبل الإسلام مثل شعر الأعشى الذي يقول [ما معناه]، ألا ترى أن العرض قد بدأت في إنتاج أشجار النخيل والعشب والنباتات المختلفة، **ديوان**، ص201.

والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن. ويبدو أن اليمامة، بسبب موقعها بين اليمن والبحرين، كانت تدعى العروض، لأن تعبير العروض يأتي من كلمة عارض، وتعني الذي يعترض. لذلك يمكن اعتبار أن اليمامة هي الأرض التي تعترض المنطقة بين اليمن والبحرين. والمشكلة هي أن تعبير «عروض» تعني أحيانًا المنطقة بكاملها من اليمامة إلى الخليج، بما في ذلك البحرين، وأحيانًا تعني ببساطة واديًا أو منطقة أو قرية. ولهذا يفسر صالح العلي تعبير «العروض» بالمعنى الإداري بدلًا من المعنى الجغرافي. ويعتقد أن بعض الأسماء في شبه الجزيرة العربية كان يمكن أن تكون أسماء الدول التي وُجدت في عصر ما قبل الإسلام[1].

يعتقد الحربي، وهو جغرافي عربي، أن اليمامة لم تكن وحدها تدعى باسم العروض، ولكن نجد والبحرين وعُمان أيضًا[2]. وقد اعتبر المدائني، وهو مؤرخ عربي، أن الأرض الواقعة بين البحرين وتهامة كلها هي العروض[3]. وإضافة إلى ذلك، كان أبو عبيدة، العالم اللغوي العربي، يعتقد أن العروض كان اسمًا لمكة والمدينة واليمن والأرض المحيطة بها[4]. وبالنسبة إلى الأصمعي، وهو عالم لغوي أيضًا، كانت مكة والمدينة

---

(1) صالح العلي، «تحديد الحجاز عند المتقدمين»، **العربي**، 1، (الرياض 1968) في مواضع متفرقة.

(2) الحربي، **مناسك**، ص537.

(3) القلقشندي، **نهاية**، ص16.

(4) الزبيدي، **تاج**، الجزء 4، ص23.

والطائف واليمامة فقط هي العروض[1]. ولا تدخل اليمن في تعريفه.

عند مراجعة هذه الروايات حول تعبير «العروض» يتضح أنه غامض، وكان يمكن استعماله أنه تعبير جغرافي وإداري في آنٍ. ويبدو أن تعبير «اليمامة» لم يكن مستعملًا من قبل المسلمين لأي منطقة أو إقليم إداري. وبدلًا من ذلك كان تعبير «العروض» يُستعمل بمعنى منطقة أكبر بكثير تتضمن الأرض الواقعة بين اليمامة والبحرين، وربما تتضمن البحرين نفسها. ومن المحتمل أن يكون هذا التطور قد ظهر في حقبة ما بعد حروب الردة، التي مال فيها المسلمون إلى التقليل من أهمية تعبير «اليمامة».

عصر ما قبل الإسلام

إن المعلومات الوحيدة المتوفرة التي يمكن استعمالها لدراسة إدارة اليمامة في عصر ما قبل الإسلام توجد في الأعمال المعجمية العربية، لكن حتى هذه لا تعطي سوى تفاصيل قليلة. ويبدو أنه خلال حكم هوذة بن علي، ملك اليمامة، كانت تمارس سياسة أشبه بسياسة رجال الدولة. ولا تعطي المصادر أي إشارة حول ما إذا كان هوذة قد عين ممثلين له في القرى المختلفة، أم أنه اكتفى بتأسيس علاقات جيدة مع رؤساء العشائر ومالكي الأراضي الكبار في القرى. ويمكن الافتراض أن حكم هوذة لم

(1) خليفة، **التاريخ**، الجزء 1، ص129، ابن عبد البر، **استيعاب**، الجزء 2، ص641.

يكن موضع ترحيب جيد من أنصاف البدو، مثل عشيرة ثمامة بن آثال، الذي اختار، بعد موت هوذة، أن ينحاز إلى المسلمين بدلًا من دعم مسيلمة. ويبدو أن هوذة لم يكن يثق بأهل اليمامة الرحّل. لقد كان يفضل السكان المستقرين، وهذا يفسر إصراره على الاحتفاظ بكتيبة فارسية يقودها مرزبان وجنود فرس لمساعدته في السيطرة على البدو في اليمامة وحولها[1]. وعلى الرغم من أن الوجود العسكري للفرس في اليمامة قد وفر بعض الأمن للمنطقة، فإنه لم يكن مقبولًا لدى كل من السكان الحضر والبدو. ولم يكن سكان المدينة يحبون ذلك لأنهم شعروا أن اليمامة أصبحت محمية فارسية. كما اعتبر البدو ذلك إذلالًا وترتيبًا قلّل من قدرتهم على الحركة. وكانت القبائل العربية حول اليمامة لا تزال تتذكر أن بني حنيفة لم يشاركوا أو يدعموا إخوتهم ضد الفرس في معركة ذي قار. وقد ساهم غياب بني حنيفة خلال تلك المناسبة في تقوية الروابط بين بني حنيفة والفرس[2].

أدرك مسيلمة، على أي حال، مثل هذه المشاعر، واستعملها لتأمين الدعم لقيادته ونبوته. ويفسر هذا شعبيته الساحقة وقدرته على استدعاء 40 ألف مؤيد لمعركة واحدة في عقرباء.

---

(1) كان المرزبان حاكم المنطقة أو الإقليم الساساني. كانت الكلمة تعني أيضًا زعيم المنطقة. انظر اليعقوبي، **تاريخ**، الجزء 1، ص203.

(2) أ. ب. كاوسين دي بيرسيفال، *Essai sur l'histoire des Arabs avant L'Islamisme*، (باريس 1847)، الجزء 2، ص171 ـ 85، انظر أيضًا **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية تحت كلمة «ذي قار» تأليف L. Veccia Vaglieri.

ومع ذلك لم يتمتع مسيلمة بحكم سلمي. فبعد أن استولى على السلطة، كان لا بد أن يواجه طموحات المدينة. وقد تزعم اليمامة لفترة تقل عن ثلاث سنوات وكانت هذه سنوات تعبئة مستمرة. وربما كان العمل الوحيد الذي يمكن أن ينسب إليه في مجال الإدارة هو مغادرة القوات الفارسية لليمامة. وقد يكون هذا التحرك ناجمًا إما عن سياسة مسيلمة الإدارية أو عن الحالة في بلاد فارس بعد موت حليفها هوذة. وربما كان الأمر يتعلق أيضًا بالحالة في اليمن، حيث كان عامل فارسي آخر، هو باذان، قد اعتنق الإسلام وطلب من القوات الفارسية مغادرة الإقليم. وثمة إمكانية أخرى هي أن المرزبان الفارسي في اليمامة لم يرغب في مواجهة المسلمين.

كانت معركة عقرباء هي نقطة التحول في تاريخ اليمامة. فالمسلمون لم يحطموا طموحات مسيلمة فحسب، لكنهم قتلوا أيضًا أغلب مؤيديه البارزين. أما مؤيدوه الآخرون، فإنهم إما انتحروا أو تبعثروا في شبه الجزيرة العربية. وبعد المعركة، تغير كليًّا وجه الإدارة في اليمامة ـ أو الحالة كلها في المنطقة في الحقيقة. لذلك، فإن المعلومات المتوفرة عن هذه الحقبة لا يمكن استعمالها لوصف الحالة الإدارية قبل المعركة. وفي الحقيقة قد يستنتج المرء أن معركة عقرباء، التي وصفها الجاحظ وكتاب آخرون بأنها «الفتح الكبير» كانت نقطة تحول ليس بالنسبة إلى اليمامة فحسب، ولكن في تاريخ الإسلام بكامله[1].

---

(1) خليفة، **التاريخ**، الجزء 1، ص129، الجاحظ، **العثمانية**، تحقيق عبد السلام. هارون، (القاهرة، دار الكتاب العربي 1955)، ص94.

العصر الإسلامي

تعتبر التعليمات الإدارية عادة الناتج الأدبي لأي نظام سياسي. والإدارة المستقرة هي نتيجة النظام السياسي القوي والمستقر. والإدارة الإسلامية ليست استثناء، لذلك فإن تفحص الاستقرار الإداري لليمامة تحت حكم المسلمين سيكشف الدرجة التي تقبل بها أهل اليمامة الحكم الإسلامي.

على الرغم من أن النبي محمد ﷺ لم يسبق له أن سيطر على اليمامة، فإن ممارسته الإدارية في المدينة وضعت نماذج ثابتة كي يتبعها المسلمون. كان النبي ﷺ يختار عادة أمراءه ـ ممثليه في منطقة أو قبيلة معينة ـ من سكان المنطقة أو رئيس القبيلة المعنية. إضافة إلى ذلك، وبالإضافة إلى الأمير كان يُعيِّن عامل لتنظيم الزكاة (الصدقات) وللمحافظة على النشاطات الدينية. وكان يُعين عادة من المهاجرين أو الأنصار، وكان لديه عادة بعض الخبرة والمؤهلات الإدارية.

يعتبر عمر، الخليفة الثاني، عادة المؤسس الحقيقي للإدارة الإسلامية. وقد استخدم عدة عناصر فيها مثل القوانين الإسلامية والعادات العربية والممارسات الأجنبية. واعتبر أن قوة الشخصية أمرًا أساسيًّا للقيادة. وخلال حكم الخلفاء الراشدين، كانت الإدارة الإسلامية تُدار وفقًا لممارسة النبي ﷺ وتجديدات عمر.

هناك الكثير مما يقال عن الإدارة تحت حكم الخلافة الأموية لكن يمكن اعتبار الآتي ميزاتها الرئيسية: (1) اللامركزية،

بحيث تمتع الولاة بحرية أكبر مما كان لديهم تحت حكم الخلفاء الراشدين؛ (2) أصبحت الثقة والقرابة أكثر أهمية من المؤهلات، ما قد يفسر حقيقة أن أغلب الولاة والعمال والأمراء كانوا على علاقة بشكل ما مع الخليفة؛ و(3) فصل بيت المال عن مكتب الوالي (كان للموظفين الماليين إمكانية الوصول المباشر إلى الخليفة، ما أتاح للخليفة السيطرة على الخزينة).

تشير ميزات الحكومة الإسلامية هذه إلى أن أقاليم الخلافة الإسلامية كان من المحتمل أن يسيطر عليها موظفان. الأول ـ المعروف عادة بالوالي أو الأمير، وهما مصطلحان إسلاميان ـ كان مسؤولًا عن الشؤون الدينية والعسكرية والإدارية. وخلال العصر الأموي، كان للأمير سلطات إدارية ومالية. وكان الأمراء يتلقون علاوات، لكن بعضهم كان يبحث عن مصادر دخل أخرى[1]. وكان مسكن الأمير، المعروف باسم دار الإمارة، في مركز المدينة عادة. وكان الموظف الثاني هو صاحب الخراج، والذي يدعى أحيانًا باسم عامل الخراج. وكان مسؤولًا عن الضرائب وتوزيعها وحصة الدولة. وكان هذا التعبير يعني حاكم إقليم، ولكن في العصر الأموي، كان منصب العامل منفصلًا عن الأمور الإدارية الأخرى، وأصبح يعني مدير الشؤون المالية في الأقاليم[2]. وكانت الإدارة في اليمامة تتبع هذا النموذج.

(1) **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية، تحت كلمة «أمير» تأليف س. م. ستيرن.

(2) **موسوعة الإسلام**، الطبعة الثانية، تحت كلمة «أمير» تأليف أ. دوري.

لم تكن اليمامة تعتبر قط وحدة إدارية في ظل الحكومة الإسلامية. وبعد أن وقع بنو حنيفة معاهدة السلام مع المسلمين، عيّن خالد بن الوليد سمرة بن خلف العنبري مسؤولًا عن شؤون اليمامة[1]. وكان العامل الرسمي الأول في اليمامة هو السليط بن قيس (أو السليط بن عمرو) الذي عينه أبو بكر[2]. ويبدو أن السليط كانت لديه معرفة باليمامة، لأنه خدم في إدارة النبي ﷺ بصفة رسوله إلى اليمامة[3]، ثم أصبحت الإدارة بشكل تدريجي أقل أهمية بسبب نقل مركز الخلافة من المدينة إلى دمشق.

كان لدى الوالي أو العامل في اليمامة عادة قوة عسكرية لمساعدته ـ وكان بإمكانه أن يطلب تعزيزات من العاصمة في حالة الثورة أو العصيان. فمثلًا عندما عُيّن نوح بن هبيرة واليًا على اليمامة خلال خلافة سليمان بن عبد الملك، كان بصحبته فرقة صغيرة تقدر بألف رجل[4]. وكذلك، عندما ذهب علي بن المهاجر إلى اليمامة بصفة والٍ خلال خلافة هشام بن عبد الملك، كان بصحبته 600 جندي سوري[5]. كذلك، كان بإمكان الوالي أو العامل أن يجند الشرطة من السكان المحليين كما فعل إبراهيم بن

(1) البلاذري، **فتوح**، ص90.

(2) خليفة، **التاريخ**، الجزء 1، ص. 107.

(3) المرجع السابق، ص73

(4) البلاذري، **أنساب**، الجزء 5، ص346.

(5) الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 20، (إعداد أ. ن. ناصيف، 1973)، ص141.

العربي عندما عين عبد الله بن الحكم مديرًا للشرطة. وقد جند الأخير أغلب رجال شرطته من عشيرته[1].

لا يمكن تقرير لماذا كان الوالي أو العامل يصطحب مثل هذه القوة معه. هل كان المواطنون المحليون غير جديرين بالثقة؟ أو هل كانت اليمامة تحت الحكم العرفي خلال العصر الأموي؟ من المعروف أن أكثر الولاة والعمال في الإمبراطورية الإسلامية كانوا يجنّدون القوات من بين السكان المحليين، ولم يكونوا بحاجة إلى إحضار قوة معهم إلا في المناطق التي كانت تتطلب مثل هذا الإجراء، مثل الكوفة أو البصرة. على أي حال، إن الخطوة التي اتخذها إبراهيم بن العربي عندما عين قوات الشرطة للمرة الأولى من بين المواطنين المحليين تدل على أن الثقة كانت راسخة بين الحكومة المركزية وأهل اليمامة. ولو لم يكن إبراهيم ابن العربي من اليمامة، لكانت الحالة ستستمر حتى يصل شخص مثل إبراهيم إلى السلطة.

اليمامة تحت حكم الخلفاء الراشدين

كانت اليمامة هي سلة الخبز بالنسبة إلى المدينة، وبخاصة قبل أن تجد حنطة مصر وسوريا طريقها إلى تلك البلد. لكن موقعها الاقتصادي لم يدفع أبا بكر ليجعل تلك المنطقة إقليمًا

---

(1) الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 16، ص15؛ ياقوت، **معجم**، الجزء 2، ص301.

مساويًا في الأهمية للطائف أو اليمن. وفي الحقيقة، لقد نفذ أبو بكر عدة سياسات، مثل مصادرة بعض الأراضي الزراعية، بقصد تقليل الأهمية السياسية والاقتصادية لليمامة عقابًا لما فعله بنو حنيفة نحو الإسلام والمدينة. وبالإضافة إلى الدمار الهائل الذي ظل بعد مغادرة الجيش الإسلامي لليمامة، فقد منع أبو بكر بني حنيفة من الانضمام إلى الجيش الإسلامي سواء في العراق أو في سورية. وربما كان هذا العمل هو أشد عقاب نفسي يمكن فرضه على الرجل العربي، الذي تعني له الخدمة العسكرية الكثير، بما في ذلك الفخر والفروسية والفوائد الاقتصادية.

وكما أتى ذكره سابقًا، عندما استقبلت اليمامة أول موظف رسمي معيّن لديها، كان أنصاريًا، وكانت وظيفته عاملًا، وليس واليًا. وربما كان تعيين أحد الأنصار، وليس المهاجرين متوقعًا. لقد عانى الأنصار كثيرًا في معارك اليمامة. كما أنهم عارضوا معاهدة السلام مع بني حنيفة، وغضبوا عندما وقعها خالد. إضافة إلى ذلك، من المحتمل أن الأنصار كانوا أكثر كفاءة من المهاجرين عندما يتعلق الأمر بعمل في اليمامة لأن المهاجرين لم تكن لديهم أي معرفة بأمور الزراعة، الركن الأساسي في اقتصاد اليمامة. وأخيرًا، لم يكن الأنصار على علاقات طيبة مع بني حنيفة مثل المهاجرين، الذين عرفوا اليمامة وكانوا على علاقة لفترة طويلة مع بني حنيفة. ويبدو أن موظفًا قويًا كان ضروريًا ليزيل الآثار بعد الحرب، وينفذ سيطرة المدينة على المنطقة، وكان الأنصار أفضل من يقوم بهذه المهمة.

لقد كان السليط بن قيس (أو السليط بن عمرو) أول عامل رسمي في اليمامة. وقد خدم لفترة قصيرة ثم استُبدل بسمرة بن عمرو الذي كانت فترة خدمته في هذه الوظيفة قصيرة أيضًا[1].

صرف الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، المؤسس الحقيقي للإدارة الإسلامية، عامل أبي بكر من اليمامة وعيّن سلامة بن وقش[2]. ويبدو أن سلامة بن وقش كان خبيرًا في شؤون اليمامة. فقد كانت لديه تجربة مع بني حنيفة بسبب خدمته خلال حكم النبي ﷺ وأبي بكر. وكانت وظيفة سلامة برتبة والٍ[3]. وبتعيينه برتبة الوالي بدلًا من رتبة عامل كانت اليمامة إما قد أصبحت إقليمًا مهمًّا، وهذا بعيد الاحتمال، أو كما يعتقد الطبري، أن البحرين واليمامة قد اعتبرتا إقليمًا واحدًا آنذاك[4].

من غير المحتمل أن تكون اليمامة قد أصبحت إقليمًا مهمًّا لمجرد أن أبا بكر غاب عن مسرح الأحداث. وفي الحقيقة، لقد أبقى عمر واتبع استراتيجية أبي بكر نفسها. بالإضافة إلى ذلك، كان عمر ضد معاهدة السلام مع بني حنيفة. وهكذا لن يتوقع المرء أي تغيير عن سياسات سلفه في التعامل مع بني حنيفة. لكن

(1) اليعقوبي، **تاريخ**، الجزء 2، ص56؛ صالح العلي، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري**، (بيروت، دار الطليعة 1969)، ص399.
(2) خليفة، **التاريخ**، الجزء 1، ص156.
(3) ذكر الطبري أن سلامة كان واليًا في كل من اليمامة والبحرين، **تاريخ**، الجزء 3، ص623.
(4) المرجع السابق.

عمر، على أي حال، سمح لبني حنيفة بالانضمام إلى الجيش الإسلامي، ما يمكن اعتباره عملًا حكيمًا. ولم تكن الجيوش في كل من العراق وسوريا بحاجة إلى المزيد من الجنود، ولا بد أن إضافة بني حنيفة قد حسّنت تقريبًا القوة الإسلامية. كذلك كانت بادرة طيبة من المدينة أن تغفر لبني حنيفة بحيث يمكن أن تقوم بمساهمات للقضية الإسلامية. كما شجع ذلك بني حنيفة على الهجرة إلى العراق، ما سهل فتح تلك البلاد.

يبدو أن سلامة خدم حتى عام 15/ 636، عندما عُيّن العلاء بن الحضرمي، بطل غزو البحرين وعُمان، حاكمًا على العروض (اليمامة والبحرين). كان هذا التطور أول تغيير يحدث في وضع اليمامة الإداري بعد معركة عقرباء[1]. وقد حلّ عثمان بن أبي العاص الثقفي محل العلاء عام 17 الهجري. وخدم لمدة ثلاث سنوات حلّ بعدها محله قدامة بن مظعون[2]، الذي ظل في منصبه لفترة قصيرة، ثم عُزل بعد إدانته بتهمة شرب النبيذ[3].

بعد ذلك عُيّن أبو هريرة لحكم العروض (اليمامة والبحرين)، وخدم لمدة ثلاث سنوات. وفي عام 22/ 642 نُقل أبو هريرة من منصبه بسبب سوء سلوكه. وأعيد تعيين عثمان بن أبي العاص الثقفي ليحلّ محل أبي هريرة. وظلّ عثمان في منصبه حتى عام 23/ 643 عندما اغتيل الخليفة عمر[4].

(1) المرجع السابق، الجزء 4، ص39.

(2) المرجع السابق، ص94

(3) المرجع السابق، ص112

(4) المرجع السابق، ص241

خلال حكم عثمان بن عفان، الخليفة الثالث، أُبقي عثمان بن أبي العاص الثقفي في منصبه والياً على العروض. وكان عثمان بن عفان يبقي عادة بعض من عينهم سلفه، وبخاصة من لم يكن يتولى منصبًا مهمًا. ويبدو أن عثمان بن أبي العاص شغل منصب والي اليمامة والبحرين لفترة قد تصل إلى اثنتي عشرة سنة. وتبين لنا فترة الخدمة الرائعة هذه أن أهل اليمامة لم يظهروا أي مقاومة خلال الاثنتي عشرة سنة تلك، وأن بني حنيفة كانوا إما راضين عن حاكمهم أو أنهم لم تكن لديهم فرصة للتمرد.

خلال حكم الخليفة الرابع، علي بن أبي طالب، عُيّن عبيد الله بن العباس حاكمًا العروض[1]. وعندما حدثت الفتنة الأولى، عُزل عبيد الله بن العباس وأجبره عمير بن سلامة، زعيم بني يربوع التابعين لبني حنيفة، على ترك المنطقة[2]. واستغل عمير بن سلامة ضعف المدينة واندلاع الصراع المدني لأول مرة، واستولى على السلطة في اليمامة. وقد كان هذا التمرد أول محاولة من نوعها بقيادة شخص من بني حنفية ضد الدولة الإسلامية في المدينة منذ معركة عقرباء الشهيرة عام 11/ 632.

لا تقدم المصادر أي معلومات عن عمير وحكمه لليمامة. ويمكن أن يخمّن المرء بأن عميرًا ظل في السلطة حتى تمكن معاوية بن أبي سفيان، مؤسس الخلافة الأموية وأول خليفة لها، من استرداد اليمامة. وقد قُتل عمير على الأرجح (لأننا لا نسمع عنه بعد ذلك). ويحتمل أن الفترة التي كان عمير مسؤولًا فيها عن

---

(1) المرجع السابق، الجزء 6، ص155

(2) الهمداني، **صفة** ص140.

شؤون اليمامة لم تشهد أي تطورات جديدة في سياستها أو اقتصادها. ويبدو أن بني حنيفة لم يكونوا سعداء بوجود عمير حاكمًا عليهم. ولا يقدم أي من المصادر، على أي حال، سببًا لاستيائهم، سوى أن عميرًا كان من عشيرة بني يشكر التي لم تكن لها شعبية في اليمامة بعد موت زعيمها، هوذة بن علي، حليف بلاد فارس.

اليمامة تحت حكم الخلافة الأموية

تحت حكم الأمويين، انتقلت عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق. ونتيجة ذلك أصبحت أغلبية شبه الجزيرة العربية، وليس اليمامة فقط، أقل أهمية في أولويات النظام الجديد. وأصبحت اليمامة إداريًا جزءًا من المدينة أو البصرة، بحسب حجم القوة الممنوحة من الحكومة المركزية إلى والي تلك الأقاليم.

عين معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم واليًا على المدينة، الذي وضع بدوره أحد مساعديه وأصدقائه المقربين، وهو يزيد بن أبي حفصة، مسؤولًا عن شؤون اليمامة[1]. ونتيجة السياسة الأموية، كان الولاة والعمال كثيرًا ما يُستبدلون بسبب الصراعات الدينية والسياسية بين الحكومة ومعارضتها. وعندما أصبح زياد ابن أبيه حاكمًا للعراق، كانت اليمامة ملحقة بحكمه. وقد عين زياد، على أي حال، الشماخ عاملًا في اليمامة.

خلال الفتنة الثانية التي استمرت من خلافة يزيد بن معاوية

---

(1) الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 10 (1938)، ص28.

حتى خلافة عبد الملك بن مروان (62 ـ 71/ 681 ـ 690)، استطاع أحد زعماء الخوارج، وهو نجدة بن عمرو، من بني حنيفة، الاستيلاء على السلطة بسهولة، وطرد المسؤولين الأمويين. كان هذا هو التمرد الثاني على الدولة الإسلامية. وقد استطاع نجدة وخليفته، أبو فديك، تأسيس حكم مستقل ذاتيًا في اليمامة والبحرين لمدة عشر سنوات تقريبًا. وقد حمل نجدة لقب خليفة، واستطاع خلال خمس سنوات توسيع حكمه الذاتي، ونقل قاعدته من اليمامة إلى البحرين. ثم دفع الحماس فئة الخوارج إلى تحدي المدّعين السياسيين الآخرين في موقع الأحداث، من أمويين وزبيريين. وكانت الفترة القصيرة لحكم الخوارج، والنزاعات الداخلية ضمن طائفتهم، وخيبة أمل بني حنيفة حين نقل نجدة مركز الحكومة من اليمامة، قد ساهم في سقوطهم الدراماتيكي على يد الأمويين[1].

عندما أصبح عبد الملك بن مروان قادرًا على إعادة الخلافة الأموية، عادت اليمامة إلى سلطة الحكومة المركزية. وأما الخوارج فقد قُتلوا أو طُردوا[2]. وعُيّن يزيد بن هبيرة المحاربي

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 6، ص289.

(2) مع اعتبار وجود اختلافات طفيفة في فترة تعيين يزيد وإبراهيم. توافق أغلبية المصادر، على أي حال، على أن إبراهيم يسبقه يزيد. للمزيد من التفاصيل انظر خليفة، **التاريخ**، الجزء 1، ص393، ابن سعد، **طبقات**، الجزء 5، ص25؛ ابن كثير، **بداية**، الجزء 9، ص3؛ حمد الجاسر، «حول اليمامة وولاتها»، **العرب**، 8 (الرياض 1966)، ص276 ـ 9.

واليًا على اليمامة. وظل هناك لفترة قصيرة، ثم حل محله إبراهيم بن العربي. وحين أُلحقت اليمامة أخيرًا بالعراق، تحوّلت مسؤولية هذا القرار إلى الحجاج، الحاكم العام للعراق، الذي كان عليه أن يقمع الحركات المعادية للأمويين، مثل حركات الخوارج والشيعة. وأضاف الحجاج أمر إدارة اليمامة وحكمها إلى مسؤوليات والي البصرة، الحكم بن أيوب الثقفي.

يبدو أن الحكم لم يعين عاملًا في اليمامة، لكنه جعل نويرة المازني ممثله هناك. ويحتمل أن الحكم بقي في اليمامة لبعض الوقت، لأنه ثمة دليل على أن أهل اليمامة اعتادوا الاتصال بالحجاج مباشرة عند حدوث خلاف مع الحكم. ويبدو أن الحكم لم يرسخ سلطته بحزم في اليمامة والبحرين. وفي النهاية، أعاد الخليفة عبد الملك تعيين إبراهيم بن العربي واليًا على العروض. وذهب إبراهيم إلى اليمامة، وأرسى قواعد السلطة الأموية هناك بنجاح.

بدأ عصر جديد بتعيين هذا الوالي ذي الأصل اليمامي. وعلى الرغم من أنه ليس من الواضح إن كان على إبراهيم أن يستشير الحجاج أو يوجه مراسلاته إلى العاصمة المركزية، فإن المرء يفترض أن علاقاته باتت طيبة مع عبد الملك ومع ابنه، الوليد، ما جعله يتمتع بامتيازات أكثر بكثير من سلفه[1]. وكان إبراهيم قادرًا على إعادة ترسيخ الوجود الأموي وإنقاذ المنطقة من حالات التمرد، التي كان يمكن بالتأكيد أن تسبب الأذى لاقتصاد اليمامة. وقد نقل العاصمة من حجر، العاصمة التقليدية لليمامة،

(1) البلاذري، **فتوح**، ص321.

إلى قرية صغيرة في الشمال تسمّى العقير حيث أنشأ سجن الدوار الشهير. ويمكن فهم هذه الخطوات في ضوء حقيقة أن إبراهيم هو الذي أمّن الوجود الأموي في اليمامة[1].

استمر إبراهيم بن العربي واليًا على العروض خلال خلافة الوليد[2]، ما مكنه من تثبيت نفسه بقوة. وعلى الرغم من هذا، فقد حل محل إبراهيم سفيان بن عمرو العقيلي، ثم نوح بن هبيرة[3]. وقد تولى نوح المنصب خلال حكم سليمان بن عبد الملك. ثم عيّن عمر بن عبد العزيز ضرار بن عبد الرحمن واليًا على اليمامة[4]. وبعد ذلك عُيّن إبراهيم بن العربي مرة ثالثة بسبب أحداث مزعجة كانت تواجهها اليمامة مثل تمرد نوح بن هبيرة، الوالي السابق، الذي يبدو أنه تعرض للوم بسبب فشله في القضاء على تمرد مسعود بن أبي زينب[5].

كان إبراهيم بن العربي هو الرجل الذي تحتاج إليه اليمامة، لأن الفترة الطويلة التي أمضاها في منصبه، وخبرته، وعلاقاته بالبيت الأموي، قد مكنته من الحصول على اهتمام أكثر من الحكومة المركزية. فقد كان يحل المشاكل الداخلية بسهولة

---

(1) حمد الجاسر، جحدر العكلي، **العرب**، 1، 2، (الرياض 1976)، ص73 ـ 4.

(2) خليفة، **التاريخ**، الجزء 1، ص315.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق، ص325

(5) المرجع السابق، ص329

وبأسلوب ودّي. وكان قادرًا على فعل هذا بواسطة اتصالاته الشخصية على المستوى المحلي وبسبب أصله. وقد خدم حتى عزله هشام بن عبد الملك، وعيّن مكانه المهاجر بن عبد الله الكلابي[1]. توفي المهاجر خلال خلافة الوليد بن يزيد. بعد ذلك أصبح ابنه علي واليًا. وفقدت اليمامة من جديد أهميتها بعد أن ترك إبراهيم بن العربي منصبه. وعلى أي حال، فقد جعل الخليفة، الوليد بن يزيد، اليمامة جزءًا من العراق وخراسان اللتين كان يحكمهما في ذلك الوقت يوسف بن عمرو الثقفي (حوالى عام 120/ 737). وربما كان يوسف وراء تعيين علي بن المهاجر الكلابي[2].

خلال حكم علي بن المهاجر الكلابي، اندلع تمرد ضد الأمويين بقيادة المهير بن سلامة من بني حنيفة، وذلك عام 126/ 743. وكان المهير من عشيرة مسيلمة ونجدة. وكان هذا التمرد هو الثالث من نوعه بعد معركة عقرباء.

لقد هبّ بنو حنيفة لمساعدة المهير على أمل تحقيق حلمهم بإعادة حكمهم الذاتي. وحاولوا ألا يتسببوا بإراقة الدماء، ولهذا السبب تفاوضوا مع علي بن المهاجر الكلابي، الحاكم الأموي. وطالب المهير بأن يكون أمام الحاكم الأموي ثلاثة خيارات: (1) أنه يجب أن يتخلى عن منصبه؛ (2) أنه يجب أن يغادر منطقة

---

(1) المرجع السابق، ص376

(2) ابن خلدون، **العبر**، الجزء 3، القسم 4، ص234.

اليمامة؛ أو (3) أنه يجب أن يظل في بيته ويصبح من عامة الناس[1]. رفض الحاكم الأموي هذه الخيارات لذلك قاد المهير بني حنيفة في معركة مشهورة، هي معركة القاعين، التي تعرض فيها الحاكم وجيشه للهزيمة وفرّا من المنطقة.

تلقت اليمامة الخبر برضا كبير، ونُظّمت القصائد المختلفة للاحتفال بالمناسبة[2]. ومن المحتمل أن يكون حكم المهير قد اقتصر على اليمامة لأنه لا توجد أي دلالة على أنه وسع سلطته إلى البحرين. ويبدو أنه لم يعش طويلًا. وبعد موته خلفه كل من عبد الله بن النعمان، وعمرو بن الوزاعي الحنفي، وعبد الله بن مسلم على التوالي[3].

عيّن الخليفة الأموي الأخير، مروان بن محمد، يزيد بن عمر بن هبيرة حاكمًا على العراق. وجعل يزيد ابنه، المثنى، واليًا جديدًا على اليمامة. وكان المثنى قادرًا على قمع تمرد المهير، وسيطر على المنطقة حتى عام 132/ 749 عندما أُجبر على التخلي عن منصبه مع وصول الخلافة العباسية الجديدة.

في السنوات الأولى للخلافة العباسية، كانت اليمامة ملحقة بالمدينة، وكان يحكمها والي المدينة، زيد بن عبد الله الحارثي،

---

(1) خليفة، **التاريخ**، الجزء 2، ص431.

(2) كان من بين الشعراء يحيى بن أبي حفصة وشقيق بن عمرو السدوسي، انظر ابن خميس، **معجم**، الجزء 1، ص40.

(3) نزار، «اليمامة»، ص225.

الذي أرسل إبراهيم بن حسن السلامي مع جيش لانتزاع المنطقة من الحاكم الأموي، المثنى[1].

عند مناقشة الوضع الإداري في اليمامة، يجب تمييز أن تعبير «اليمامة» كان نادرًا ما يستعمل. وكانت العروض (اليمامة والبحرين) تشكل وحدة إدارية واحدة. وقد أُلحقت اليمامة بالمدينة في بداية الخلافة الأموية. وعندما أصبح زياد ابن أبيه واليًا على العراق، أُضيفت اليمامة إلى منطقة حكمه[2]. وعلى أي حال، لم يكن هذا هو النموذج دائمًا. فقد كان إبراهيم بن العربي أحد حكام اليمامة الذين حافظوا على استقلال أكثر واسترعوا اهتمامًا كبيرًا من الحكومة المركزية.

الوحدات الإدارية في اليمامة

إن معرفة الجغرافيا التاريخية، مثل مواقع الأماكن، وأسماء المستوطنات، والمسافات بين المواضع أمر لا غنى عنه في أي دراسة للجغرافية الإدارية في اليمامة. يتحدث الجغرافيون العرب بالتفصيل عن المدن والأماكن في المنطقة بما في ذلك حجر وجو والعروض ومنفوحة والوبر والعمارية وقران وأباض[3]. وقد استنتج بعض العلماء الحديثين أن أسماء الأماكن كانت كذلك وحدات إدارية وُجدت في فترات مختلفة[4]. ويرد ذكر تعبير منبر كثيرًا

---

(1) الجاحظ، **بيان**، الجزء 2، ص233.

(2) نزار، **اليمامة**، ص194.

(3) ابن خرداذبه، **المسالك**، ص15؛ البكري، **معجم**، ص1185.

(4) نزار، **اليمامة**، ص169.

أيضًا. والمعنى التقني لهذا التعبير هو مكان وجود منبر. والمنبر يستعمله عادة الإمام الذي يتقدم المسلمين في صلاة الجمعة، وهو المكان الذي يلقي منه خطبة الجمعة. وهنالك أكثر من ثلاثين مكانًا تسمّى المنبر، بما في ذلك أُشي، وذات غسل، وعقرباء، وحجر، وسدوس[1].

من أجل دراسة الوضع الإداري، من الضروري تعريف المصطلحات المختلفة مثل العرض (جمعها العروض)، والمحاضر (مفردها محضر)، وعمال (مفردها عامل)، ومنابر (مفردها منبر)، وقارعة، والقارعة الجامعة، ومياه (مفردها ماء). من السهل التمييز بين هذه المصطلحات إذا فُهمت أنها ليست أكثر من كلمات عادية. وهي، على أي حال، كثيرًا ما تحمل معاني مختلفة، بحسب السياق، أو يكون لها أكثر من تعريف واحد. وعلى سبيل المثال، إن كلمة عامل (جمعها عمال)، تعني في المعجم العربي العمل أو الجهد، لكنها استُعملت في بداية الإسلام للدلالة على رتبة الحاكم، وهي عادة منصب حاكم منطقة صغيرة أو غير مهمة. ويعرفها الزبيري وياقوت، على أي حال، أنها مكان صغير مسكون[2].

ويعتقد الأصمعي، وهو عالم لغوي عربي، أن العرض كانت قرية، وأن المحاضر كانت بئرًا للري تقع قرب القرية. وربما كانت العرض منطقة كبيرة توجد فيها عدة قرى تحتوي على آبار.

---

(1) الحربي، **مناسك**، ص615 ـ 20؛ لغدة، **بلاد**، ص357.

(2) نزار، **اليمامة**، ص199.

وكلمة منبر، كما ورد سابقًا، هي تعبير عن مكان حيث يلقي الإمام خطبة الجمعة. وعلى أي حال، هناك شروط قانونية للمكان كي يكون فيه منبر، بما في ذلك عدد الناس الذين يحضرون صلاة الجمعة. ويعتقد الحربي أن تعبير منبر كان يدل على مكان إقامة الوالي[1]. ويبدو، على أي حال، أن التعبير لم يكن مستعملًا لغايات إدارية، بل كان بالأحرى تعبيرًا قانونيًا لأنه كانت هناك مدن كبيرة وقرى صغيرة على السواء تدعى بالمنبر. وتجدر الملاحظة أن تأسيس المنبر، في أوائل الحكم العباسي، كان طريقة لترسيخ الوجود الحكومي. كما يحتمل أن يكون تعبير القارعة الجامعة مماثلًا لتعبير المنبر حيث كانت تُقام صلاة الجمعة.

هناك معلومات حول العديد من الأشخاص الذين تولوا منصب المنبر في اليمامة بمن فيهم أبو الربيع عبد الله العمري[2]. أما عقبة بن شريق، الذي كان مسؤولًا عن منبر العقيق خلال حكم المهاجر بن عبد الله الكلابي، فقد سبقه أبو لطيفة بن مسلم العمري[3].

النظام الضريبي في اليمامة تحت الحكم الإسلامي

لا تقدم المصادر القديمة أي معلومات عن النظام الضريبي في اليمامة قبل الإسلام، ما عدا الأتاوة التي كانت تُدفع لغايات

---

(1) الحربي، **مناسك**، ص620.

(2) الجاحظ، **بيان**، الجزء 2، ص259.

(3) الأصفهاني، **أغاني**، الجزء 7، (1935)، ص109، 116، وابن عبد ربه، **العقد**، الجزء 2، ص489.

مختلفة مثل الحماية. وفي بداية العصر الإسلامي، كان النظام الضريبي مسألة مهمة. ويعتقد عبد العزيز الدوري أن بعض الضرائب والممارسات المالية قد بدأت خلال حياة النبي ﷺ، وأصبحت في ما بعد ممارسة دائمة[1]. ومع ذلك ففي العصر الأموي أصبح النظام الضريبي أمرًا أكثر تنظيمًا بكثير، وكان له تأثير في النظام المالي للدولة[2]. وتتحدث المصادر عن الأراضي الكبيرة التي كان يجب تحصيل الضريبة عنها من قبل جابي الضرائب في اليمامة. ويبدو أن مسؤوليات الجابي كانت تغطي مناطق أكبر مما تغطيه مسؤوليات والي اليمامة. وفي البداية، وبما أن اليمامة كانت منطقة صغيرة ذات أهمية قليلة بالنسبة إلى الحكومة المركزية في دمشق، فمن الجدير بالذكر أنه كان من عادة والي المدينة أو البصرة أن يرسل شخصًا موثوقًا فيه إلى اليمامة للقيام بوظيفة كل من القاضي والجابي.

وكان بإمكان الوالي أن يستخدم بعض الأشخاص لمساعدته في جمع الضرائب، على الرغم من أن هذه لم تكن الحالة دائمًا. وهناك كثير من الدلائل على أن الخليفة نفسه كان يرسل جابيًا أو

---

(1) عبدالعزيز الدوري، «ملاحظات حول النظام الضريبي في بداية الإسلام»، مجلة **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق**، 17، (1974)، ص136 ـ 44، ومحمد حميد الله، «وضع الميزانية والنظام الضريبي خلال عصر النبي ﷺ»، **مجلة تاريخ الباكستان**، القسم 3 (1955)، ص1 ـ 11.

(2) متي موسى، «ديوان عمر بن الخطاب»؛ **دراسات في الإسلام**، 2، الجزء 2، (نيسان/ أبريل 1965)، ص67.

جباة إلى اليمامة. وكان هؤلاء الجباة مستقلين عن الوالي. وربما كانت هناك عدة أسباب لهذا: الأول هو أنه في سنوات الحصاد الجيد، كان الخليفة يرسل الجابي للسيطرة على الخراج. والثاني هو أن النزاعات التي ربما حدثت بين أهل اليمامة وجباتهم كانت سياسية واقتصادية ودينية. وكان يُنظر إلى الجابي في الجزيرة العربية خلال القرن السابع باحترام شديد، وكان دوره مهمًّا من الناحية الاقتصادية. وكان رجال القبيلة والسكان الحضر على حد سواء يكافحون للفوز بمنصب مثل منصب الجابي. ومن الواضح أن إحدى القضايا خلال حروب الردة كانت الزكاة وجمعها. وفي ضوء هذا، يمكن أن يفهم المرء الاستبدال المتكرر للجباة والولاة في التاريخ الإسلامي.

وكان للوالي عادة سلطة على الموظفين المحليين باستثناء القاضي، وربما الجابي، اللذين كان يُعيّنهما عمومًا الخليفة مباشرة للمحافظة على العدالة وللتأكد من أن الوالي لم يتدخل. على أي حال، إذا كان الوالي قويًّا وطموحًا بما فيه الكفاية، كان يستطيع السيطرة على منصب القاضي والجابي كما فعل إبراهيم بن العربي في اليمامة لفترة طويلة. وكان جابي اليمامة على ما يبدو مسؤولًا عن جمع الضرائب من البدو المحيطين بها، والذين كانوا يعتمدون على اليمامة من أجل طعامهم وتجهيزاتهم الأخرى. وهذا في حد ذاته يوضح المساحة الكبيرة التي كان على الجابي أن يحصل الضريبة فيها[1].

(1) لغدة، **بلاد**، ص325.

وتذكر المصادر أسماء بعض الجباة في اليمامة[1]. ويبدو أنه كان هناك في كل زمان عدة موظفين لجمع الزكاة. وقد يفترض المرء أن الجابي كان واحدًا فقط، وأن الآخرين كانوا مساعدين له. وكذلك، تسجل المصادر المبلغ الصافي الذي جُمع في سنة واحدة من اليمامة خلال فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الأموي الأول: وهو 15 ألف دينار، والذي كان مبلغًا عاليًا جدًّا[2].

الخاتمة

في العصر العباسي، لم يتخلّ أهل اليمامة عن محاولاتهم وطموحهم من أجل استعادة حكمهم الذاتي، على الرغم من عدم وجود شخص من بني حنيفة لقيادتهم بعد المهير. وقد أصبحت منطقتهم أقل أهمية بسبب السياسة العباسية في إحلال أشخاص من غير العرب محل العنصر العربي، بمن في ذلك بنو حنيفة، في إدارة الدولة والجيش. كذلك لم تُظهر الحكومة المركزية في بغداد أي رغبة في تبديد المال والجهد من أجل السيطرة على الأجزاء البعيدة من الخلافة، باستثناء مكة والمدينة، اللتين كانت لهما أهمية دينية طبعًا. ونتيجة ذلك، كان ولاة هذه المناطق يتمتعون باستقلال كبير، ولم يكن والي اليمامة استثناء.

في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ورغم حالة

(1) الزبيري، **نسب**، ص305.
(2) اليعقوبي، **تاريخ**، الجزء 2، ص777.

الحرب بين قبائل المنطقة والكساد الاقتصادي، كان بنو حنيفة على ما يبدو يحتلون المساكن نفسها ويشكلون أغلبية السكان. ومع ذلك، فقد أدت السياسة العباسية والشروط المسترخية في المناطق التي كانت القبائل المحيطة باليمامة تتمتع بها، إلى وجود فراغ سياسي وأمني. وكانت الحالة تشكل دعوة إلى أنصاف البدو المجاورين من أجل مهاجمة اليمامة. ومع زيادة مثل هذه الاضطرابات، التي بدأت تهدد طرق الحج، أُرسل القائد التركي المشهور بُغا لوضع حد للاضطراب، وكان قادرًا بنجاح على قمع البدو[1].

بعد ذلك، لاحظ زعيم علوي، هو محمد بن الأخيضر، أن اليمامة كانت مكانًا مناسبًا لتأسيس إمارة علوية. وبعد تعرضه للهزيمة في الحجاز أمام الجيش العباسي، هرب محمد إلى اليمامة حيث أقام في منطقة الخضارم. وهناك جمع رجاله، وأعلن عن قيام دولة مستقلة، وجعل الجو (أو جو الخضارم) عاصمته[2]. ويحتمل كما يبدو أن بني حنيفة رحبوا بهذا التحرك، آملين أن يستعيدوا استقلالهم من الخلافة العباسية. ولو أن بني حنيفة لم يساعدوا بني الأخيضر لما كان هؤلاء قادرين على تصعيد ثورتهم في اليمامة.

لم يكن بنو حنيفة كلهم على ما يبدو قد أيدوا بني

(1) الطبري، **تاريخ**، الجزء 7، ص334.

(2) حمد الجاسر، **مدينة**، ص69.

الأخيضر، وبخاصة الذين احتلوا الجزء الشمالي من اليمامة. ويحتمل أنهم اعتبروا الأخيضريين غرباء يمكن لطموحاتهم الطائفية ألا تتلاءم مع توقعاتهم الخاصة، وبخاصة في ضوء ذكرياتهم عن دولة الخوارج. وقد أصبح هذا الخوف حقيقة عندما بدأ أهل اليمامة يعانون من سوء الإدارة والكساد الاقتصادي اللذين أصابهم بهما النظام الجديد. إضافة إلى ذلك، وبدافع من الحماس الطائفي، خاض بنو الأخيضر صراعًا داميًّا مع البدو المحيطين بهم، ومع الدولة القرمطية في البحرين. وقد أُخضع بنو الأخيضر لسلطة القرامطة بعد معركة طويلة.

أدى حكم الأخيضريين، كما سجل المؤرخون، إلى هجرة واسعة النطاق من اليمامة إلى العراق وسوريا ومصر[1]. وربما يكون المهاجرون قد عانوا من الشروط السيئة في أماكن سكنهم. وبالإضافة إلى ذلك، كانت حقيقة أن من بينهم كان عدد من عمال المناجم الذين توجهوا إلى مصر حيث عملوا في المناجم المصرية، ما يعني أن مناجم اليمامة ربما كانت قد استُنزفت.

إن هدف المخطط السابق هو عرض استمرار الطموح السياسي لبني حنيفة ومحاولاتهم من أجل بناء دولة مستقلة ذاتيًّا. ومنذ بداية القرن السادس حتى الربع الثالث من القرن السابع الميلاديين، كان الوعي والتصميم السياسي لدى أهل اليمامة ملحوظًا. هذا الوعي لم ينتهِ بوصول الخلافة الأموية، لكنه ظل

(1) ياقوت، **معجم**، الجزء 2، ص46، ابن حوقل، **صورة**، ص38.

باقيًا بين مجموعات وأفراد مختلفين. وكانت الطوائف والفئات المختلفة تأتي وتذهب عبر القرون حتى تمكّنت منطقة اليمامة أخيرًا في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي من تحقيق هدفها بأن تتحد تحت راية دينية وسياسية واحدة، هي الحركة الوهابية والدولة السعودية. ولم تقم الوهابية فقط بدعم تأسيس دولة مستقلة ذاتيًّا في اليمامة، والتي سمّيت باسم نجد في ما بعد، لكنها حولت المنطقة إلى مركز قوة يسيطر على أغلبية شبه الجزيرة العربية، بما في ذلك المدينة المنورة ومكة المكرمة والبحرين[1].

(1) ابن حوقل، **صورة**، ص38.

خاتمة الخواتيم

كانت الغاية من هذا الكتاب هي الحصول على فهم أوضح لعدد من الأحداث التاريخية، بما في ذلك الحركة السياسية التي قادها المتنبي مسيلمة، وحروب الردة وحركات تمرد الخوارج في اليمامة خلال العصر الأموي. وبحسب وجهة نظر المؤلف، كانت جميع هذه النزاعات إظهارًا للشعور الإقليمي المستمر لدى أهل اليمامة. وعلى الرغم من أن هذا الشعور الإقليمي كان يجري التعبير عنه بطرائق مختلفة من فترة إلى أخرى، ولذلك كان يبدو «عشائريًّا» مرة، و«دينيًّا» في المرة الثانية، و«طائفيًّا» في الثالثة، فقد كان في كل حالة يتعلق بسكان اليمامة المحليين وهم يكافحون من أجل تقدم المصالح الاقتصادية في منطقتهم.

إن تفحصًا دقيقًا للجغرافيا والبيئة والسكان في اليمامة يجعل الأساس الاقتصادي للشعور الإقليمي واضحًا. أولًا، لقد كانت اليمامة وحدة جغرافية، لأنها تتألف من سلسلة طويلة من الجبال التي تحيط بها مساحات شاسعة من السهل الرملي. وكانت المياه والأراضي القابلة للزراعة الوحيدة توجد على منحدرات جبل العارض، بينما كانت المنطقة المحيطة عديمة الفائدة اقتصاديًّا. وكانت جميع المستوطنات تحصل على مياه الشرب والري من الوديان، التي تجري هابطة من منحدرات جبال العارض. لذلك

كانت قريبة من بعضها بعضًا وتفصلها عن بقية الجزيرة العربية الرمال الجافة.

ثانيًا، لقد شجع تنوع المناطق البيئية ضمن سلسلة جبال العارض ونظام وديانها على التخصص في الزراعة. وكانت بعض المستوطنات مشهورة بالتمر، وأخرى بالحنطة، بينما ظلت غيرها لا تنتج أي مواد غذائية على الإطلاق، لكنها شغّلت المناجم في مناطقها، واستبدلت الطعام بالمنتجات المعدنية.

كما شجع التنوع البيئي على التخصص الاقتصادي، الذي بدوره جعل كل مستوطنة متخصصة تعتمد على الأخريات من أجل السلع التي يمكن أن تنتجها بنفسها.

وأخيرًا، إن طبيعة إمداد المياه في اليمامة جعلت من الصعب على أي مستوطنة أن تكون مكتفية ذاتيًّا. ففي كل وادٍ كان يوجد كثير من المستوطنات المختلفة على امتداد مجراه، ولم يكن بإمكان أي مستوطنة أن تنشئ سدًّا على الوادي وتستعمل مياهه كلها وحدها. وكان لدى المستوطنات الموجودة عند رأس كل وادٍ، من ناحية أخرى، كمية من المياه أكثر مما تستطيع استعماله.

كان ثمة أساس آخر للتضامن الإقليمي هو التجارة. فقد كان مزارعو اليمامة ينتجون كمية من الحبوب والتمر أكثر مما تستطيع المنطقة استهلاكه، لذلك كانوا يصدرون الفائض لديهم إلى مكة والبحرين والعراق. وربما كان تجار اليمامة، الذين ينتمون أصلًا إلى قبيلة بني حنيفة، يتعاقدون مع مزارعي اليمامة من أجل محاصيلهم ويعيدون بيع هذه المحاصيل إلى التجار المكيين أو

العراقيين. وقد نشأ التضامن بين مالكي المزارع والتجار، وبين تاجر يمامي وآخر، نتيجة التجارة مع مختلف مناطق الجزيرة العربية.

كان أهل اليمامة، وبخاصة بنو حنيفة، يتعاونون مع بعضهم بعضًا لتنظيم التجارة التي تعبر منطقتهم. وكان تجار العراق واليمن يأتون بسلعهم عبر شبه الجزيرة لبيعها في اليمامة أو يمرون في طريقهم إلى مكة، ويتوقفون في اليمامة ليرتاحوا ويجددوا نشاطهم.

حتى عندما لم يكن أهل اليمامة متحدين، فإن نزاعاتهم كانت تنجم عن هذه العوامل الاقتصادية نفسها. وتخبرنا المصادر التي تعود إلى القرون الوسطى أن النزاعات «العشائرية» بين قبيلتي تميم وبني حنيفة كانت تندلع أحيانًا. وعند تحليلها بشكل صحيح، على أي حال، فإن هذه النزاعات كانت في الحقيقة بين الفئات البدوية من تميم وبين المزارعين المقيمين والتجار من بني حنيفة. وكان الخلاف الأساسي يتعلق بالوصول إلى المياه والأرض الصالحة، ولم يكن مجرد مسألة غيرة عشائرية. وكان البدو والمزارعون يتنافسون على المصادر النادرة نفسها.

كان التكافل الاقتصادي لدى أهل اليمامة يكتمل بالثقافة المشتركة، والاهتمام المشترك بالطموحات السياسية لغير أهل اليمامة، والتقاليد الدينية المشتركة. وكانت اليمامة مطوقة بحلقة من الأنظمة السياسية العربية الأخرى، التي كانت جميعها تتمنى السيطرة على المنطقة. وكانت نخبة مجتمع أهل اليمامة، وبخاصة الذين يمتلكون المستوطنات الزراعية والمناجم، في قلقهم لحماية

مصادر دخلهم، قد حاولوا منع هذه الأنظمة السياسية من إحراز السيادة كاملة من طريق تقليص التحالفات مع بعض القوى الخارجية، مثل بلاد فارس، ومن طريق معارضة الآخرين. وعندما كان أهل اليمامة يدخلون في مثل هذه التحالفات، كانوا يحاولون كسب فوائد الحماية من دون أن يعانوا في الوقت نفسه من التبعية السياسية والاقتصادية.

كانت المحافظة على هذا التوازن الدقيق صعبة. وكان كثير من الصيغ المعدّة للقيام بذلك تُقترح في أوقات مختلفة، ومنها اقتراحات هوذة بن علي ومسيلمة ونجدة بن عمير. وقد عكست التحالفات التي شكلها هؤلاء الزعماء المختلفون والاستراتيجيات الذي اتبعوها حالات متبدلة في شبه الجزيرة العربية.

فقد عقد هوذة بن علي تحالفًا مع بلاد فارس، مطالبًا أن يعترفوا بملكه مقابل ضمان المرور الآمن عبر اليمامة للتجار الفارسيين. وكان من الضروري تعديل استراتيجية هوذة من أجل ضمان استقلال اليمامة وزيادة هيبته في ضوء التطورات الجديدة داخل شبه الجزيرة ـ وهي هزيمة الجيوش البيزنطية وظهور نظام جديد، هو الدولة الإسلامية في الحجاز. وكانت مساعي هوذة لعقد تسوية مع محمد ﷺ باقتراحه أن يعتنق الإسلام مقابل تنازلات سياسية أساسية قد رُفضت. والأسوأ من ذلك، كانت محاولته لقمع أعدائه، بني تميم، قد آلت إلى الفشل على المدى البعيد، لأنه كان عليه الاعتماد على حُماته الفرس لعمل ذلك. لهذه الأسباب، عندما مات هوذة، حاول خليفته مسيلمة إعادة العلاقات الطيبة مع بني تميم، وحاول مواجهة الطموحات

الإسلامية بطريقة جديدة، وهي استعمال عقيدة دينية يمكن مقارنتها بالرسالة الإسلامية.

حصل المتنبي مسيلمة على دعم أهل اليمامة لأنه قدم إليهم فرصة جديدة لصون استقلالهم. وكان مسيلمة معروفًا بأنه متعبد وكاهن قبل موت هوذة، وحتى قبل أن يبدأ محمد ﷺ رسالته. وعندما مات هوذة بحث أهل اليمامة عن زعيم بديل، ورفضوا الاستمرار مع النظام المدعوم من الفرس، وأملوا أن تتمكن عقيدة مسيلمة الدينية من كسب المؤيدين له من بين بني تميم وإبطال أثر دعوة محمد ﷺ. وظنوا أن مناشدات مسيلمة لتضييق التعصب العشائري والإقليمي (محمد نبي قبائل مضر، لكن مسيلمة هو نبي ربيعة) سيثبت أنها أكثر جاذبية من تحذيرات محمد حول جهنم وإصراره على التضحية وتطهير الذات.

أخفقت مقاومة مسيلمة للدولة الإسلامية، على أي حال، وتعرضت اليمامة للتدمير على يد الجيوش الإسلامية الغازية. وقد قُتل المئات من مقاتلي بني حنيفة في المعركة أو أُعدموا أو استرقوا. كذلك صودرت معظم أملاك نخبة مجتمع اليمامة، وطوال سنوات بعد ذلك لم يُسمح لأحد من بني حنيفة أن يشارك في الفتوحات التي كانت توسع الإمبراطورية الإسلامية. ونتيجة لذلك، خمد الشعور الإقليمي واختفى.

خلال منتصف العصر الأموي، على أي حال، ظهر شعور يمامي إقليمي مرة ثانية في مظهر جديد ـ تجلى في زعيم خارجي، هو نجدة بن عمير، الذي أسّس سلطة طائفية في اليمامة، وأعلن

أن المنطقة أصبحت مستقلة. وكان مدعومًا بحماس من الناس المحليين، ليس لأنهم قبلوا عقيدته الخارجية، ولكن لأنهم لم يرغبوا في أن يظلوا إقليمًا فقيرًا ضمن الإمبراطورية الأموية.

تغيرت العلاقات بين أهل اليمامة والغرباء عندما أصبحت المنطقة تحت حكم المسلمين. وكان أهل اليمامة، قبل هزيمتهم في معركة عقرباء، يعتبرون المنافسين الرئيسيين لأهل مكة. وكان الميدان السياسي صغيرًا ويتضمن بضعة أنظمة عربية متساوية القوة (أو متكافئة بشكل جيد على الأقل). وبعد الفتح الإسلامي اتسع الميدان السياسي كثيرًا جدًّا، وأصبحت اليمامة منطقة ضعيفة وعديمة الأهمية. ومن أجل تحررهم من الإمبراطورية، كان أهل اليمامة بحاجة إلى حليف قوي وحسن التنظيم يمكنه أن يتحدى الدولة الأموية عسكريًّا وأيديولوجيًّا.

كانت سلطة الخوارج على اليمامة قصيرة الأجل، ولكن ليس لأن الدولة الأموية هزمتهم، ولكن لأن زعماءهم أصبحوا طموحين جدًّا. وبدلًا من أن يعززوا قوتهم بتشجيع المؤيدين المحليين، حاول زعماء الخوارج توسيع سيطرتهم لتضم أجزاء أخرى من الجزيرة العربية مثل البحرين. كان هذا أكثر مما أراده أهل اليمامة، ولذلك سحبوا دعمهم بشكل تدريجي، وحولت دولة الخوارج الضعيفة عاصمتها إلى البحرين. وبعد هذا فقط تمكنت الجيوش الأموية من سحقها.

حدثت ثورات أخرى حركها الشعور الإقليمي اليمامي. وكانت إحداها متأخرة جدًّا خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع

الميلادي. ورغم أن هذه الثورة لم تناقش بالتفصيل هنا، فإنها دليل على استمرارية الشعور الإقليمي في اليمامة. ولا يعتبر من المبالغة القول أنه حتى الحركة الوهابية الحديثة اعتمدت على السكان المحليين. وبكلمة أخرى، لقد استمر الشعور الإقليمي اليمامي قويًّا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.



فهارس عامة

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن



فهرس الأعلام

أ



فهرس الأماكن

ي

المصادر الأولية

التاريخ

البغدادي، عبد القادر بن طاهر،

- **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد عبد الحميد، (القاهرة، مطبعة المدينة 1964).

البلاذري، احمد بن يحيى،

- **أنساب الأشراف**، ج 1 تحقيق محمد حميد الله، (القاهرة، دار المعارف 1959).
- **أنساب الأشراف**، ج 3 تحقيق عبد العزيز الدوري (Weisbaden, Franz Steiner 1978)
- **أنساب الأشراف**، ج 4 قسم A تحقيق Max Scholessinger (Weisbaden, Franz Steiner 1978)
- **أنساب الأشراف**، ج 5 قسم A تحقيق D.F. Goitein, (Jersulem 1936)
- **فتوح البلدان** تحقيق M.J.de Goeje, 1866 (Leiden, E. J. Brill)

الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن،

- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، تحقيق حسين محمد الحسن القاهرة، المكتبة الوهبية 1866).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله،

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي البيجاوي (القاهرة، مكتبة نهضة مصر 1960).

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد،

- **الكامل في التاريخ في التاريخ**، تحقيق G.J. Tornberg Leiden E.J. Brill 1867

- **أسد الغابة في تمييز الصحابة**، تحقيق محمد صبحي وآخرون (القاهرة، المكتبة التعاونية 1964).

ابن حبيب، محمد بن حبيب،

- **كتاب المحبر**، تحقيق أبو سعيد الحسن السكري (حيدر آباد، دائرة المطبوعات العثمانية الشرقية 1942).
- **كتاب المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد فارق (حيدر آباد، دائرة المطبوعات العثمانية الشرقية 1964).

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني،

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق محمد البيجاوي (القاهرة، دار نهضة مصر 1970).

ابن هشام، محمد بن عبد الملك،

- **سيرة النبي**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة، 1937، الرياض طبعة مصورة).

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر،

- **البداية والنهاية**، تحقيق م . النجار (الرياض مكتبة الفلاح 1963)
- **السيرة النبوية**، تحقيق م. عبد الواحد (القاهرة، عيسى البابي الحلبي 1964).

ابن خلدون، أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد،

- **المقدمة (بيروت 1961).**
- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت 1971).**

ابن سعد، محمد،

- **كتاب الطبقات**، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار بيروت للطباعة للطباعة والنشر 1978).

ابن شبة، أبو زيد عمر النميري،

- **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق محمود شلتوت (جدة، دار الأصفهاني 1393هـ).

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر،

- **تاريخ ابن الوردي**، تحقيق محمد مهدي الخرساني (النجف، المطبعة الحيدرية 1969).

خليفة ابن خياط، أبو عمر العصفري،

- **كتاب التاريخ**، تحقيق سهيل زكار (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1967).

الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى،

- **الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء**، تحقيق أحمد غنيم (القاهرة دار الاتحاد العربي 1981).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن،

- **كتاب التنبيه والإشراف** ، تحقيق أحمد الصاوي (بيروت، مكتبة خياط 1965).

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد

- **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (بيروت**، دار إحياء التراث 1973).

السهيلي، أبو القاصي عبد الرحمن بن عبد الله،

- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق عبد الرحمن الوكيل (القاهرة، دار الكتب الحديثة 1967).

الطبري، محمد بن جرير،

- **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، دار المعارف 1970).

الواقدي، محمد بن عمر،

- **كتاب المغازي**، تحقيق ماردسن جونز (أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد 1966).

وثيمة، أبو يزيد بن موسى،

- **كتاب الردة**، تحقيق وليهام هونرباك (Meinz, Verlag der Akadmie der Wissengchaften and der Literature 1951).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب،

- **تاريخ**، تحقيق (M. T. Houtsma ليدن، مطبعة بريل 1883).

الزبيري، مصعب بن عبد الله،

- **كتاب نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة، دار المعارف 1953).

Mirkhwand, Muhammad b. Khavendshah b. Ahmed,

- *The Rauzatus-Safa* (Garden of purity) tr. Into English E. Rehatsek and called by him «Sacred and Profane History According to the Muslim Belief» ed. F.E. Arbuthnot (London, The Royal Asiatic Siciety 1891-1894).

الجغرافيا

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل،

- **كتاب تقويم البلدان**، تحقيق M. Reinuad et al (Paris, L'imprimerie Riyal Press 1840).

البكري، أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز،

- **معجم ما استعجم**، تحقيق مصطفى السقا (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر 1945 ـ 1974).

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني،

- **مختصر كتاب البلدان**، تحقيق M. J. de Goeje (Leiden, E.J. Brill 1885).

الفيروزآبادي، مجد الدين بن يحيى،

- **المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق حمد الجاسر (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر 1969).

الهمداني، الحسن بن أحمد،

- **كتاب صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد علي الأكوع (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر 1979).

الحربي، إبراهيم بن إسحاق،

- **المناسك واماكن طرق الحج**، تحقيق حمد الجاسر (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر 1979).

ابن حوقل، أبو القاسم محمد،

- **صورة الأرض**، تحقيق .M. J. de goeje (Leiden, E.J. Brill 1873)

ابن خرداذبه، أبو القاسم عبد الله،

- **المسالك والممالك**، تحقيق M. J. de goeje (Leiden, E.J. Brill 1889)

الإدريسي، محمد بن عبد الله الشريف،

- **نزهة المشتاق**، تحقيق إبراهيم شوكة (المتعلق بالجزيرة العربية طبع في مجلة الأكاديمية للعلوم الجزء 21، بغداد 1971).
- **أنس المهج** ، تحقيق إبراهيم شوكة (المتعلق بالجزيرة العربية طبع في مجلة الأكاديمية للعلوم الجزء 21، بغداد 1971).

لغدة الأصفهاني، الحسن بن عبد الله،

- **بلاد العرب**، تحقيق حمد الجاسر (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر 1968).

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن الحسن،

- **أحسن التقاويم في معرفة الأقاليم**، تحقيق M. J. de goeje (Leiden, E.J. Brill 1889).

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود،

- **آثار البلاد وأخبار العباد**، (بيروت، دار صادر 1960).

شيخ الربوة، شمس الدين بن محمد الدمشقي،

- **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، تحقيق مهران (ليبزج 1923).

الدين

الألوسي، محمد بن عبد الله،

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق محمد النجار (القاهرة، مؤسسة الحلبي 1964).

البخاري، محمد بن إسماعيل،

- **صحيح البخاري**.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل،

- **تفسير القرآن العظيم (بيروت**، دار الأندلس 1966).

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد،

- **زاد المعاد في هدى خير العباد**، تحقيق طه عبد الرؤوف (القاهرة، مكتبة الحلبي البابي 1965).

ابن القرطبي، محمد بن أحمد،

- **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق إبراهيم أطفيش (القاهرة، مطبعة دار الكتب 1961).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن،

- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت 1972).

الطبري، محمد بن جرير،

- **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، مطبعة الحلبي البابي 1954).

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن،

- **البيان في تأويل القرآن (النجف**، المطبعة العلمية 1957).

الأدب

أبو عبيدة، معمر بن المثنى،

- **نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق Anthony Ashley Bevan (Leiden, E.J. Brill 1905).

الأعشى، ميمون بن قيس،
- **ديوان الأعشى الكبير**، تحقيق محمد حسين (بيروت، دار النهضة العربية 1972).

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد،
- **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وآخرون (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف 1950).

ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم،
- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهلية**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، دار المعارف 1963).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين،
- **كتاب الأغاني**، 24 جزء (القاهرة الأجزاء 1 ـ 16 طبعة دار الكتب 1923 ـ 1959 الأجزاء 17 ـ 34 طبعة الهيئة المصرية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون 1970 ـ 1974).

الجاحظ، عمرو بن بحر،
- **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، دار الكتاب العربي 1975).
- **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، دار الكتاب العربي 1968).
- **العثمانية**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، دار الكتاب العربي 1955).

الجمحي، ابن سلام محمد بن سلام،
- **كتاب طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف 1972).

المدائني، أحمد بن محمد،
- **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد عبد الحميد (القاهرة، مطبعة السعادة 1955).

المبرد، محمد بن يزيد،

- **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق محمد أبو الفضل غبراهيم (القاهرة، دار نهضة مصر 1956).

المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى،

- **معجم الشعراء**، تحقيق عبد الستار فراج (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية 1960).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،

- **نهاية الرب في فنون الأدب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة 1970).

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن عبد الله،

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق عبد اللطيف حمزة (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة 1962).

- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر 1959).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم،

- **الشعر والشعراء** (بيروت، دار الثقافة 1964).

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد،

- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، دار نهضة مصر 1965).

علوم أخرى

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود،

- **كتاب النبات**، تحقيق B. Lewin (Weisbaden, franz Steiner 1974).

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن،

- **كتاب الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية 1958).

ابن حزم، علي بن أحمد،

- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، دار المعارف 1972).

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم،

- **لسان العرب (بيروت 1955).**

ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم،

- **كتاب الأنواء في مواسم العرب (حيدر آباد**، دائرة مطبوعات العثمانية الشرقية 1956).

ابن سلام، أبو عبيد القاسم،

- **كتاب الأموال**، تحقيق محمد هراس (القاهرة، دار الشروق 1969).

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل،

- **المخصص**، (القاهرة، المطبعة الكبرى المصرية، بولاق 1316).

ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي،

- **كتاب النخل**، إبراهيم السامرائي (نشر في مجلة الموارد جزء 1، عدد 1 ـ 2 ، بغداد 1971).

خسرو، ناصر،

- **سفر نامة**، تحقيق بارفيز ناتل خان لاري (طهران بدون تاريخ).

الرازي، أبو حاتم حامد بن حمدان،

- **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية**، تحقيق حسين الهمداني (القاهرة، دار الكتاب العربي 1957).

الزبيدي، سيد المرتضى،

- **تاج العروس**، (الكويت، مطبعة الحومة 1965).

مراجع عربية حديثة

أبو العلاء، محمد طه

- **جغرافية شبه الجزيرة العربية**، (القاهرة، 1965).

العلي، صالح

- **التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري**، (بيروت، دار الطليعة 1969).

الألوسي، محمود شكري،

- **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجت الأثري (القاهرة 1342هـ).

العسكري، حسين

- **عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى** (بغداد 1388).

شيخو، لويس،

- **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية** (بيروت 1913 ـ 1919، 1923).

الغنيم، عبد الله،

- **جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيدة البكري** (الكويت 1977).

الحديثي، نزار،

- «**اليمامة وردة مسيلمة**» (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد 1971).

ابن بليهد، محمد،

- **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، تحقيق محمد عبد الحميد (بيروت 1972).

ابن خميس، عبد الله بن محمد،

- **معجم اليمامة**، (الرياض 1987).

إبراهيم، محمد أبو الفضل،

- **أيام العرب في الإسلام** (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية 1968).

علي، جواد،

- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (بيروت، دار العلم للملايين 1968).

كحالة، عمر،

- **جغرافية شبه الجزيرة العربية** (القاهرة 1964).

محمدين، محمد،

- **التراث الجغرافي الإسلامي** (الإسكندرية، مطبعة شريف 1401هـ).

السيف، عبد الله بن محمد،

- **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي** (بيروت 1983).

آل ياسين، محمد حسن،

- **نصوص الردة في تاريخ الطبري (بيروت 1972).**

الريماوي، عبد الله

- **الإقليمية الجديدة (بيروت 1970).**

مراجع أجنبية حديثة

Allred, B.W.,

- *Range Management Training*: handbook for Saudi Arabia (Rome 1968).

Becker, Carl Heinrich,

- *Islamstudien von Verden und Wess der Islamisschen Welt*, (Leipzig 1924).

Brockelmann, C.,

- *Geschichte der Arbischen Litterature*, (Leiden 1943, 1949).

Caetani, Leonard,

- *Studi di Storia Orientale*, (milano University 1911).

Caussin de Perceval, A. P.,

- *Essai sur L'histoire des Arabs avant L'Islamism*, (Paris 1847).

Donner, F.M.,

- *The Early Islamic Conquest*, (Princeton, NJ 1981).

Doughty, C.M.,

- *Travels in Arabia Deserts*, (New York 1936).

Goodenough, Ward H.,

- *Culture Language and Society*, (California 1981).

Gurr, T.R.,

- *Why Men Rebel*, (Princeton, NJ 1970).

Hamidullah, M.,

- *Documents sur la diplomatic musulmane a' l'e'poque du prophet et des khalifs arthodxe* (Cairo 1941).

Hudson, Michael,

- *Arab Politics: The search for legitimacy*, (New Haven 1977).

Juynboll, G. (ed.),

- *Studies on the First Century of Islamic Society*, (Carbondale, III., 1982).

Palgrave, W. G.,

- *Narrative of a Year's Journey Through Central and eastern Arabia*, (London 1866).

Parmelee, Maurice,

- *Geo-economic Regionalism and World federation*, (New York 1949).

Philby, Henrys T. John,

- *The Empty Quarter* (new York 1933).
- *The Background of Islam*, (Alexandria, Whitehead Morris 1947).
- *The Heart of Arabia: A Record of Travel and Exploration*, (London 1923).

Rentz, George,

- *The Arabian Peninsula*, (Dhahran, ARAMCO, n.d.).

Shoufani, Elias,

- *Al-Ridda and Muslim Conquest of Arabia*, (Toronto 1972).

Sprenger, Aloys,

- *Das lebens und die Lehre des Mohammad,* (Berlin 1861-65).

Thomas, Bertram,

- *Arabia Felix* (New York 1932).

Watt, M.,

- *Muhammed at Medina* (Oxford 1951).

Wellhausen, J.,

- *The Religio-Political Faction in Early Islam,* tr. R.C. Ostle et al., (Amsterdam 1975).

Wilkinson, J. C.,

- *Water and Tribal Settlement in South - East Arabia*: A Study of the Falaj of Oman, (Oxford 1977).

المقالات العربية

العلي، صالح أحمد،

- «تحديد الحجاز عند المتقدمين» **مجلة العرب**، العدد الأول، (الرياض 1968).

بيضون، إبراهيم،

- «تشكيل في الحجاز وعلاقاتها بطرق التجارة قبل الإسلام» **الباحث** العدد الخامس، (السنة الرابعة 1982).

الدوري، عبد العزيز،

- «أنساب وتاريخ الجزيرة» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني** 5، 6 (1979).

الهاشمي، محمد يحيى،

- «المناجم في القرون الوسطى وأماكن وجودها في البلاد العربية» **العرب** العدد الرابع، (الرياض 1967).

الجاسر، حمد

- «المصادر الجغرافية القديمة» **العرب** العدد الثاني عشر، (الرياض 1969).

- «نظرات في معجم اليمامة لابن خميس» **العرب**، العدد الرابع عشر، (الرياض 1980).
- «جحدر العكلي» **العرب**، العدد الاول والثاني، (الرياض 1967).
- «تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارها» **العرب** العدد الثالث عشر، (الرياض 1973).

ابن جنيدل، سعد،

- «شبة جزيرة العرب» **العرب** (الرياض 1979).

النص، عزة،

- «المزاج الطبيعي لمنطقة نجد» **حولية كلية الآداب**، جزء 1، (جامعة الرياض 1970).

زغلول، سعد،

- «الأنبياء والمتنبئون قبل الإسلام» **عالم الفكر**، العدد الثاني عشر، (الكويت 1982).

المقالات الأجنبية

Abbott, N., «Women and the State on the Eve of Islam», *American Journal of Semitic Language and Literature*, VIII, No.3 (July 1941).

Barthold, V.V., «Musaylima», *Bulletin de L'Academie des Sciences de L'Union des Republique Sovietiques Socialistes, XIX,* (Sept. and Nov. Leningrad 1925).

Buhl, M., «Musaylima», *Encyclopdia of Islam* ist ed. (Leiden 1936).

Caskel, W., «Bakr b. Wa'il, *Encyclopdia of Islam*, 2nd ed. (Leiden 1960).

Dayton, John, «The Problem of Climatic Change in the Arabian Peninsula».

Arabian Studies, V, (Proceedinge of the 3rd - 5th Seminar, London). Donner, F. Mcgraw, «The Bakr b. Wa'il Tribes and Politics

in North Eastern Arabia on the Eve of Islam», *Studia Islamica*, LI, (1980).

AL-Duri, A.,

——— «Notes on Taxation in Early Islam», *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, 17 (Leiden 1974).

——— «Amil» Encyclopdia of Islam, 2nd ed. (Leiden 1960).

Eickelman, Dale, «Musaylima»: An Approach to the Social Anthropology of Seventh - Century Arabia», *Jouenal of the Economic and Social History of the Orient*, X, Part 1, (July 1967).

Gardet, L, «Basmala» *Encyclopedia of Islam*, 2nd ed. (Leiden 1960).

——— «Allahumma» *Encyclopedia of Islam*, 1st ed. (Leiden 1913).

Grohman, Adolf, «al-Yamama», *Encyclopedia of Islam*, 1st ed. (Lieden 1934).

Hamidullah, M., «Budgeting and Taxation in the Time of the Holy Prophet», *Journal of Pakistani History*, sec. 3 (1955).

Hinds, Martin, «Sayf b. 'Umar's Sources on Arabia», *Studies in the History ofArabia*, I, part 2 (Riyadh 1979).

Kawar (Shahid) Irfan, «'KInda», *Encycopedia of Islam*, 2nd edition, (1979).

——— «The Arabs and the Peace Treaty of AD 561», *ARABICA*, III (1951).

Khan Ahmad, «The Cottage Industry in Pre-Islamic Arabia», *Journal of the Pkistan Historical Society* 19 (April 1971).

Kister, M., «Mecca and Tamim», *journal of the Economic and Social History of the Orient, 8 (1965).*

Macdonald, D. B., «Allah», *Encyclopedia of Islam*, 1st ed. (Leiden 1913).

matti, moosa, «The Dwan of 'Umar Ibn al-Khattab», *Studies in Islam*, 2, vil. II (April 1965).

Mordtman and Muller, «Ein Monotheistische Sabaische In-

schrift», *Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlandes*, X, (Wien 1896).

Mottahedeh, Roy, «The Shu'ubiya Controversy and the Social History of Early Islamic Iran», *International Journal of Middle East Studyes* VII, (April 1976).

Philby, St. John, «Motor Tracks and Sabaen Inscriptions in Najd», *Geographical Journal* CXVI, (1950).

Ryckmans, G., «Heaven and Earth in the South Arabian Inscriptions», *Journal of Semitic Studies*, (MAnchester University 1958).

Schleifer, J., «Bakr b. Wa'il», *Encyclopedia of Islam*, 1st ed. (Leiden 1913).

Stern, M., «Amir»', *Encyclopedia of Islam*, 2nd ed. (Leiden 1960).

Sweet, Louise, «Camel Raiding among the Bedouins of North Arabia: a mechanism of ecological adaption», *American Anthropologist* LXVII, (October) 1965).

Tritton, A. S., «Notes on Religion in Early Arabia», *Le Museon*, 72 (Louvain 1950).

Veccia, Vaglieri L., «Dhu Kar», *Encyclopedia of Islam* 2nd. ed. (Leiden 1965).

Von Grunebaum, G., «Nature of Arab Unity before Islam» *Arabica*, 10, (Leiden 1963).

Watt, M., «Hanifa», *Encyclopedia of Islam*, 2nd ed. (Leiden 1971).

Wilkinson, J. C., «Arab-Persian Land Relationship in Sasanid Oman»,

Proceedings of the Sixth Seminar for Arabian Studies (London 1973).

Zaghlul, Sa «d, «Al-Anbiya» wa al-Mutanubiun Qabl Zuhur al-Islam», «Alim al-Fikr», 12 (Kuwait 1982).